

للشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)

إعداد:

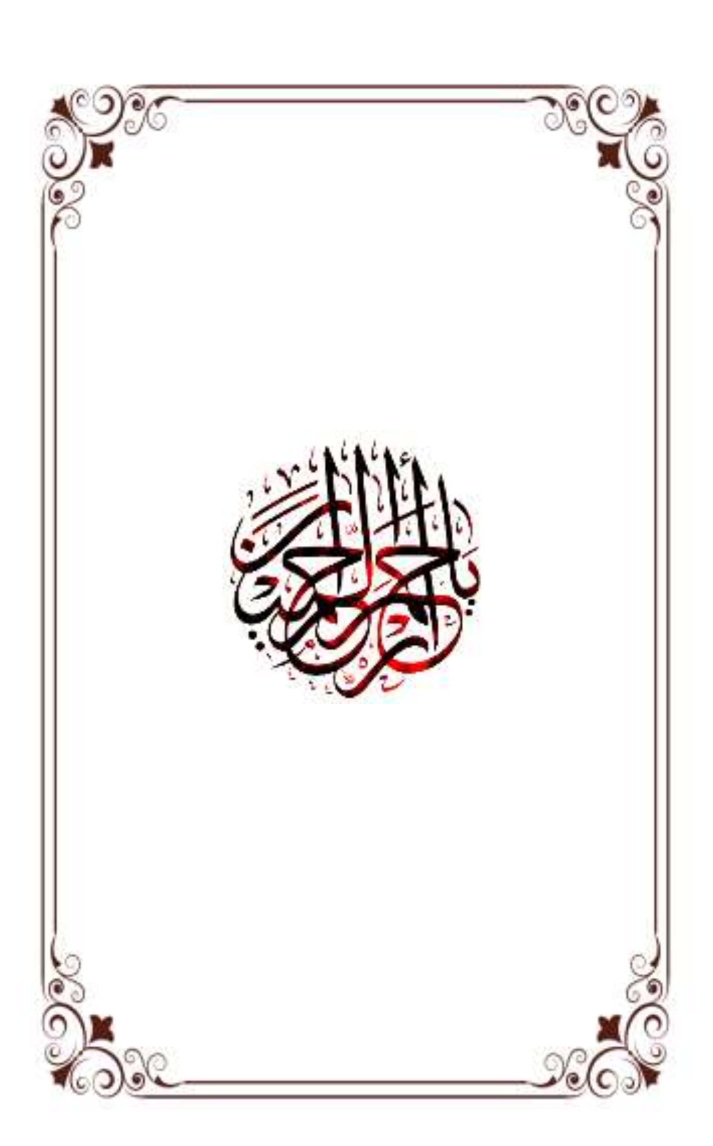
تركي بن علي بن عبدالله الميمان

(غفر الله له ولوالديه)

المجموعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

صفحة الردمك



فهرس الخطب

مُقَدِّمَة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. **أما بعد:** فنظراً لما للعقيدة من أهمية بالغة في حياة الناس وفي عباداتهم وقبول أعمالهم؛ وكذا لما لكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀، من اهتمام بتقرير توحيد العبادة الذي ضل به كثير من الناس الأولين والآخرين.

فقد كتبت **(خطباً شاملة لأبواب كتاب التوحيد)**، وعددها سبعة وستون (٦٧) بابًا، وألقيتها على منبر الجمعة في جامع العجلان بالخبراء، ورتبت في كل شهر خطبة:

وذلك لأهمية مسائل العقيدة وحاجة الناس للتذكير بها بين الفينة والأخرى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا ﴾[الإسراء:٤١]، أي: نوَّع الأحكام ووضَّحها وأكثر من الأدلة والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكَّر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرهم فيدعوه[(١)].

وكتاب التوحيد كتاب تعليم -فيه أوامر ونواهي؛ أوامر بالدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، ونواهي وذلك بالنهي عن الشرك، أو الوسائل الموصلة إليه-؛ والتعليم هو من الوعظ المناسب إلقاؤه على منبر الجمعة على مسامع الناس.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل:٩٠].

فقوله: ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ضَابِطَ الْوَعْظِ: هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي تَلِينُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَأَعْظَمُ مَا تَلِينُ لَهُ قُلُوبُ الْعُقَلَاءِ أَوَامِرُ رَبِّهِمْ وَنَوَاهِيهِ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْأَمْرَ

(١) تفسير ابن سعدي.

خَافُوا مِنْ سَخَطِ اللهِ فِي عَدَمِ امْتِثَالِهِ، وَطَمِعُوا فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي امْتِثَالِهِ. وَإِذَا سَمِعُوا النَّهْيَ خَافُوا مِنْ سَخَطِ اللهِ فِي عَدَمِ اجْتِنَابِهِ، وَطَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي اجْتِنَابِهِ؛ فَحَدَاهُمْ حَادِي الْخَوْفِ وَالطَّمَعِ إِلَى الِامْتِثَالِ، فَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ لِلطَّاعَةِ خَوْفًا وَطَمَعًا[1].

وكانت المدة الزمنية ما يقارب من سبع سنوات.

وسوف تجدون رابطاً صوتياً (الرمز الرقْمي) لكل خطبة عند نهايتها بإذن الله.

وفي الختام أشكر الله جَلَّ وَعَلَا أولاً وآخراً على إتمام هذا العمل؛ ثم الشكر للوالدين على دعائهما المستمر بالتوفيق والسداد، ثم الشكر لكل من أبدى من ملاحظات أو اقتراحات أو ساهم في تسجيل أو إخراج أو غيره.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/ تركي بن علي بن عبدالله الميمان

القصيم- الخبراء

محرم ١٤٤٧هـ

Email: tm3001@gmail.com

(١) أضواء البيان: للشنقيطي (٣/٣١٩).

كتاب التوحيد (١)

مقدمة - حق الله على العباد

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذل، وما كان معه من إله، ولا خالق غيرُه ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المستحق لجميع أنواع العبادة، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسولُه البشير النذير؛ بعثه الله ﷻ رحمةً للعالمين، وأنزل عليه كتابه المهيمن والنور المبين، والشركُ مضطرمةٌ نارُه، طائرٌ شراره، مرتفعٌ غباره؛ فقام بتبليغ الرسالة حق القيام، وجاهد في الله حق جهاده إعلاءً لكلمة الله الملك العلّام، حتى جاء الحق وزهق الباطل، وأدبر ليل الكفر والضلالة، وانفجر فجر الإيمان والإسلام، ونُشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانُه وأشرقت أنوارُه، ونُكِّست رايةُ الشرك وانكسرت شوكته، وخمدت ناره؛ صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن اتبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين وسلم تسليما[١].

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، واستجيبوا لأمره انقياداً ومبادرة ودعوة إليه، واجتنبوا نهيه، فإن في ذلك حياة القلوب، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهَِّ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

---

(١) معارج القبول (١/٣٥، ٤٥).

عباد الله: اعلموا أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاة ولا حياة طيبةً، ولا سعادة في الدارين، ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروضٍ عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله ﷻ له وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خُلقت الدنيا والآخرةُ والجنةُ والنارُ، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تُنصب الموازينُ وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور:٤٠][١].

وذلك الأمرُ-عباد الله- هو التوحيد المطلوب الذي يشمل ما أمر الله به في كتابه من توحيده، وهو أنواع ثلاثة[٢]:

فالنوع الأول: توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله؛ وأفعاله كثيرة، منها: الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وتدبير الملك، والنفع والضر، والشفاء والإجارة، وإجابة دعوة المضطر، وإجابة دعوة الداعي، ونحو ذلك من أفراد الربوبية، فالمتفرد بذلك على الكمال هو الله جل وعلا.

والنوع الثاني: توحيد الألوهية: وهو توحيد العبادة: وهو توحيد الله بأفعال العبد المتنوعة، التي يوقعها على جهة التقرب، فإذا توجه بها لله وحده، كان موحداً توحيد الإلهية، وإذا توجه العبد بها لله ولغيره كان مشركاً في هذه العبادة؛ وهذا النوع كفر به وجحده أكثر الخلق.

---

(١) معارج القبول (١/٤٥-٤٦).

(٢) معارج القبول (١/٤٥-٤٦).

والنوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو أن يعتقد العبد أن الله ﷻ واحدٌ في أسمائه وصفاته لا مماثل له فيهما؛ فالواجب أن نؤمن بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فإنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١](١).

عباد الله: قال الله تعالى مبيناً الحكمة من خلقنا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] أي: إلا ليوحدون؛ قال الناظم الحكمي:

اعلم بأن الله جل وعـلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا

بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهـيـة يـفـــردوه

قال ابن كثير رحمه الله: أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم؛ ومعنى الآية: أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشدّ العذاب(٢).

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله، وكمال الذل لله(٣).

وقال تعالى مبيناً عظم شأن التوحيد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي

---

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد: صالح آل الشيخ (ص ٢٣-٢٥)- متن العقيدة الواسطية.

(٢) تفسير ابن كثير- سبيل الرشاد (٢/٣٠٢) القسم الأول.

(٣) قرة عيون الموحدين (ص ٩١-٩٢).

﴿الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦] قال ابن كثير رحمه الله: أخبر الله تعالى أنه بعث ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي: في كل طائفة من الناس رسلاً وكلهم يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوحاً، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد رسول الله ﷺ، الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥][١].

فالله سبحانه وتعالى ابتعث الرسل بهاتين الكلمتين ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

ففي قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ إثبات، وفي قوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ نفي؛ وهذا هو معنى التوحيد المشتمل على إثبات ونفي، وهذا يتضمن معنى قول: (لا إله إلا الله)[٢].

فالحكمة من إرسال الرسل هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، وإقامة الحجة على الناس[٣].

وقال تعالى تنبيهاً لأعظم قضية أمر بها -وهي توحيده-: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣]، والآية معناها: الإخبار بأن الله سبحانه وتعالى،

---

(١) تفسير ابن كثير- سبيل الرشاد (١/٥٩٦) القسم الثاني.
(٢) التمهيد شرح كتاب التوحيد: صالح آل الشيخ (ص ٣٣-٣٤).
(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد: للفوزان (ص ١١-١٢).

أمر ووصى على ألسن رسله أن يُعبد وحده دون ما سواه، وأن يحسن الولد إلى والديه إحساناً بالقول والفعل، ولا يسيء إليهما؛ لأنهما اللذان قاما بتربيته في حال صغره وضعفه، حتى قوي واشتد.

فالتوحيد هو آكد الحقوق وأوجب الواجبات على العبد، ولذلك بدأ الله به في الآية؛ وعظمة حق الوالدين حيث جاء في المرتبة الثانية بعد حق الله[(١)].

وقال سبحانه مبيناً أعظم الأوامر وأقبح المحرمات: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، فالله سبحانه يأمرُ عباده بعبادته وحده لا شريك له، وينهاهم عن الشرك، ولم يخص نوعاً من أنواع العبادة، لا دعاءً ولا صلاةً ولا غيرهما، ليعم الأمر جميع أنواع العبادة، ولم يخص نوعاً من أنواع الشرك، ليعم النهي جميع أنواع الشرك[(٢)].

وهذه الآية تبين العبادة التي خُلقوا لها أيضًا، فإنه تعالى قرن الأمر بالعبادة التي فرضها، بالنهي عن الشرك الذي حرمه، وهو الشرك في العبادة، فدلت هذه الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة، فلا تصح بدونه أصلاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقرر تعالى هذا التوحيد بقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:١١]؛ والدين هـو العبـادة بفعل الأوامر وترك النواهي[(٣)].

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد: للفوزان (ص ١٣-١٤).

(٢) الملخص في شرح كتاب التوحيد: للفوزان (ص ١٥).

(٣) قرة عيون الموحدين (ص ٩٧).

ولا يجوز أن يشرك مع الله أحد في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صالح من الأولياء، لعموم النهي عن الشرك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه يا ذا الجلال والإكرام.

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله الملك الحق المبين، أحمده سبحانه وأشكره، تفرد بالربوبية والألوهية على خلقه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: ولأهمية التوحيد، فقد وصى الله به في الوصايا العشر في سورة الأنعام التي ابتدأها بالنهي عن الشرك؛ فقال سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ

أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ -إلى قوله- ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا...﴾.

أي حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فالشرك أعظم ذنب عُصي الله به أكبره وأصغره.

وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك، الذي هو أعظم المحرمات، كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، عبدوا القبور والمشاهد، والأشجار والأحجار، والطواغيت والجن، كما عبد أولئك اللات والعزى ومناة وهبل، وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك ديناً، ونفروا إذا دُعوا إلى التوحيد أشد نفرة، واشتد غضبهم لمعبوداتهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥][1].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ

---

(١) قرة عيون الموحدين (ص ٩٨-٩٩).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ﷻ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»[١].

والشاهد من هذا الحديث أنه أتى فيه بلفظ (حق) الذي في قوله: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»؛ وهذا الحق حق واجب لله جل وعلا، لأن الكتاب والسنة، بل ولأن المرسلين جميعاً أتوا بهذا الحق وبيانه، وبيان أنه أوجب الواجبات على العباد[٢].

فمن صرف شيئاً من العبادة التي هي حقه سبحانه لا يستحقها أحد سواه لغيره، كالدعاء والاستعانة، فقد آمن بالطاغوت وأشرك بالله وكفر.

وقوله: «وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ﷻ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»: ليس على الله حق واجب بالعقل، لكن الله سبحانه أحقَّ ذلك على نفسه تفضلاً وإحساناً على الموحدين المخلصين، الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده[٣].

فلنتق الله تعالى ولنخلص العبادة لله، فإن في ذلك طمأنينة القلب، والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح

---

(١) رواه البخاري (٦٢٦٧) ومسلم (٣٠)، ح٤٩، وهذا لفظه.

(٢) التمهيد شرح كتاب التوحيد: صالح آل الشيخ (ص٣٧).

(٣) قرة عيون الموحدين (ص١٠٥).

لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد.




كتاب التوحيد (٢)

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ، وما كان معه من إله؛ لا إله إلا هو، ولا خالق غيره ولا ربّ سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة، ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، بعثه الله رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وأخلصوا أعمالكم له، وعلقوا قلوبكم به، فإنه لا يستحق العبادة أحد سواه، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

عباد الله: التوحيد نور على البشرية ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، والتوحيد له فضل عظيم على أهله، ومن أعظم فضله أنه به تُكَفَّر الذنوب جميعا؛ لأن التوحيد حسنة عظيمة، لا تقابلها معصية إلا وأحرق نور تلك الحسنة أثر تلك المعصية إذا كمل ذلك النور. فمن كمَّل التوحيد بأنواعه الثلاثة -توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات-، فإنه تُكَفَّرُ عنه ذنوبه[1].

(١) التمهيد: صالح آل الشيخ.

والموحدون المخلصون -عباد الله- هو الآمنون المهتدون، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢]، أي: الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يخلطوا توحيدهم بشرك هم الآمنون من المخاوف والمكاره يوم القيامة، المهتدون للسير على الصراط المستقيم في الدنيا[١].

ومعنى ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ أي:بشرك، كما ورد عَنْ عَبْدِاللهَّ بن مسعود ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهَّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)»[٢].

وهذا يدل على أن من فضائل التوحيد وثمرته في الدنيا والآخرة: استقرار الأمن؛ وأن الشرك ظلم مبطل للإيمان بالله إن كان أكبر، أو منقص له إن كان أصغر؛ وأن الشرك لا يُغفر، ويسبب الخوف في الدنيا والآخرة[٣].

ومما يبين فضل التوحيد -عباد الله-، وأنه سبب لدخول الجنة وتكفير الذنوب؛ حديث عُبَادَةَ بن الصامت ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُّ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»[٤].

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد: الفوزان.
(٢) رواه البخاري (٦٩٣٧) واللفظ له، ومسلم (١٢٤).
(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد: الفوزان.
(٤) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

"مَنْ شَـــهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ": فالشهادة لا تكون شهادة إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع، فيكون الشاهد والحالة هذه كاذباً لجهله بمعنى الذي شهد به؛ قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]، فكم ضلَّ بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون، فقلبوا حقيقة المعنى؛ فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نُفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد، والطواغيت والأشجار والأحجار، والجن وغير ذلك، واتخذوا ذلك ديناً، وشبهوا وزخرفوا، واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروا على من دعاهم إليه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ. وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

قال ابن القيم رحمه الله: "الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً، وإنابة وإكراماً، وتعظيماً وذلا، وخضوعاً وخوفا، ورجاء وتوكلا".

وقال ابن رجب رحمه الله:"الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له، وإجلالاً ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول (لا إله إلا الله)، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك"(١).

وشهد:"أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ": بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم

(١) قرة عيون الموحدين: عبدالرحمن بن حسن، (ص١١١-١١٢).

أمره ونهيه، ولزوم سنته ﷺ وأن لا تعارض بقول أحد؛ والله أمرنا بطاعته والتأسي به، والوعيد على ترك طاعته بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]؛ وقد وقع من التفريط في متابعة النبي ﷺ وتركها، وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ، على قول النبي ﷺ. والله المستعان.

«وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»: فعيسى عبد الله، ورسول من عنده سبحانه، لا كما تقوله النصارى:من أنه الله، أو ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا؛ و«كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»: أي خلقه الله بكلمة (كن) فكان، فهو روح من الأرواح التي خلقها الله تعالى.

وشهد بالجنة والنار، «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»: يحتمل معنيين: أحدهما: أدخله الله الجنة وإن كان مقصراً وله ذنوب؛ لأن الموحد لا بد له من دخول الجنة. وثانيهما: أدخله الله الجنة وتكون منزلته فيها على حسب عمله[١].

واعلموا-عباد الله-أنه لا يكفي النطق بكلمة التوحيد من غير اعتقاد القلب بها، والإخلاص لله بها؛ كما في حديث عتبان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»[٢].

وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك؛

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد: الفوزان.

(٢) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

فالصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإنَّ من لم يكن مخلصاً فهو مشرك، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق؛ وهذا هو أساس التوحيد الذي قال فيه الخليل عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [البقرة:١٢٨]؛ وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر، كما ترى عليه أكثر الخلق، فهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها، فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفياً وإثباتاً[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر:٦٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

عباد الله: ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: «قال موسى: يا رب علمني

---

(١) قرة عيون الموحدين: عبدالرحمن بن حسن، (١٢١-١٢٢).

شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله؛ قال يا رب، كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله»[(١)].

ومعنـــاه: أنه لو تصور أن ذنوب العبد بلغت ثقل السموات السبع وما فيها من العباد والملائكة، وثقــــل الأرض لكانت (لا إله إلا الله) مائلة بذلك الثقل من الذنوب؛ وهذا هو الذي دل عليـــه حديث البطاقـــة حيث جعل على أحد العصاة سجلات عظيمة، فقيل له هل لك من عمل؟ فقال: لا، فقيل له: بلى، ثم أخرجت له بطاقــــة فيها (لا إله إلا الله)، فوضعت في الكفة الأخرى، فطاشت سجلات الذنوب، وثقلت البطاقة[(٢)].

وهذا هو الذي دل عليه حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، يَقُولُ: «قَالَ اللهُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[(٣)].

فالتوحيد-عباد الله- من أسباب مغفرة الذنوب؛ وهو السبب الأعظم؛ فمن فقده، فقد المغفرة، ومن جاء به؛ فقد أتى بأسباب المغفرة.

فمن جاء (مع التوحيد) بقراب الأرض -وهو ملؤها، أو ما يقارب ملئَها- خطايا؛ لقيهُ الله بقرابها مغفرةً، لكنَّ هذا مع مشيئة الله جل جلاله، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلَّدَ في النار؛ بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة؛ كما قال

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم وصححه -كتاب التوحيد-.

(٢) التمهيد:صالح آل الشيخ.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن- كما في الأربعين النووية.

تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٨]، وقوله في الحديث هنا «لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» هذا إذا شاء الله، وأما إذا لم يشأ فإنه يعاقب المذنب بذنبه.

وهذا يبين عظمة التوحيد، وتحقيق التوحيد، وتصفية التوحيد من شوائب الشرك صغيره وكبيره، ومن البدع ومن المعاصى ليدخل الجنة وينجو من النار؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

فكثير من العصاة -عباد الله-،إذا سمعوا مثل هذه الأحاديث ألقى الشيطان في نفوسهم التهاون بالمعاصي، وفهموا من ذلك أن معاصيهم لا تضرهم، وأن توحيدهم يمنعهم من العذاب، ويوجب لهم دخول الجنة، وهذا لا شك جهل واغترار، جهل بالمراد من هذه النصوص، واغترار برحمة الله ومغفرته[1].

عباد الله: ما لم يتحقق التوحيد وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم، فلا تقبل صلاة ولا زكاة، ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكو أيُّ عمل يُتقرب به إلى الله، قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨].

وإذا لم يتحقق التوحيد ويصدق الإخلاص فلا تنفع شفاعة الشافعين، ولا دعاء الصالحين، حتى ولو كان الداعي سيد المرسلين محمد ﷺ، اقرءوا إن شئتم: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٨٠][2].

فلنحقق التوحيد -عباد الله-، ولنخلص العبادة لله وحده؛ فإن النجاة والفلاح يوم

---

(١) كلمة الإخلاص: لابن رجب، مع شرح البراك (ص٤١).

(٢) من خطبة أسباب مغفرة الذنوب.

القيامة مقرون بذلك، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد...




كتاب التوحيد (٣)

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، خلق الخلق ليعبدوه، وبالإلهية يفردوه، أمر عباده بطاعته، ونهاهم عن معصيته، أحمده سبحانه وأشكره، ومن مساوي عملي أستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جاءنا بالنور والهدى ودين الحق، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وأفردوه بالعبادة، وتوكلوا عليه، وعلقوا قلوبكم به، ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:٦٥].

عباد الله: تحقيق التوحيد، مطلب رئيس للنجاة يوم القيامة؛ وهو عزيز في الأمة، وهو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفا، وإنابة وتوكلا، ودعاءً وإخلاصا، وإجلالاً وهيبة، وتعظيماً وعبادة؛ وتحقيق التوحيد يكون بإخلاص العمل لله تعالى، وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وتكميله بفعل السنن وترك المكروهات. وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله؟ وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود. وما أحسن ما قال ابن القيم:

فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ ... أعني سبيل الحق والإيمان

وذلك هو حقيقة الشهادتين، فمن قام بها على هذا الوجه فهو من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب[١]. ولا يوجد تحقيق التوحيد إلا في أهل الإيمان الخلَّص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه، كما قال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، وهم في صدر هذه الأمة كثيرون، وفي آخرها هم الغرباءُ وقد قلُّوا، وهم الأعظمون قدراً عند الله، وقال تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩]، فدلت هذه الآية العظيمة على أن كمال الإخلاص، إنما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله[٢].

وقال الله تعالى -مادحاً خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، فالله تعالى وصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات الجليلة التي هي أعلى درجات تحقيق التوحيد، ترغيباً في اتباعه في التوحيد، وتحقيق العبودية باتباع الأوامر، وترك النواهي، فمن اتبعه في ذلك، فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما يدخلها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الأولى: أنه كان أمة؛ أي: قدوة وإماماً معلماً للخير، وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين تنال بهما الإمامة في الدين.

الثانية:أنه كان قانتاً لله؛ أي خاشعاً مطيعاً، دائماً على عبادته وطاعته.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٩٩).

(٢) قرة عيون الموحدين (ص١٣٣-١٣٤).

والثالثة: أنه كان حنيفاً؛ أي مائلاً منحرفاً قصداً عن الشرك إلى التوحيد.

والرابعة: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ فقد فـــارق المشركين بالقلب واللسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته، وكسر الأصنام،-تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وصبر على ما أصابه في ذات الله، وهذا هو تحقيق التوحيد، وهو أساس الدين ورأسه، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١].

وأنت تجد أكثر من يقول: لا إله إلا الله ويدَّعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته؛ بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين، والطواغيت والجن وغيرهم، ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، وينكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعد التوحيد علماً ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته، فالله المستعان[1].

وحث الله تعالى -عباد الله- على صفات أهل الخير بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٥٩]؛ فوصف المؤمنين الســـابقين إلى الجنة، وأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها أنهـم ﴿بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾؛ قــال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أن لا إله إلا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأنه لا نظير له ولا كفء له[2]. ا.هـ

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٩٩-١٠٠) - قرة عيون الموحدين (ص١٣٦).

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير.

فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد بمعرفته على الحقيقة، ومحبته وقبوله والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَّ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآَبِ﴾ [الرعد:٣٦][(١)].

وعن حصين بن عبدالرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً-وذكروا أشياء-، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: (هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: (أنت منهم) ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: (سبقك بها عكاشة)»[(٢)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص١٠١) - قرة عيون الموحدين (ص١٣٦-١٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤١٠) ومسلم (٢٢٠)- ورد بألفاظ مفرقا (المصدر كتاب التوحيد).

فهذا الحديث في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهذه صفة من صفاتهم، وتلك الصفة خاصة بهم، ولا يلتبس أمرهم بغيرهم؛ لأن هذه الصفة كالشامة يعرفون بها. فهؤلاء هم الذين حققوا التوحيد، (هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فذكر أربع صفات لهم:

الأولى: أنهم (لا يسترقون): أي لا يطلبون الرقية؛ لأن الطالب للرقية يكون في قلبه مَيْلٌ للراقي، حتى يُرفع ما به من جهة السبب.

والثانية: (ولا يكتوون): والكي مكروه في أصله؛ لأن فيه تعذيباً بالنار، مع أنه مأذون فيه شرعاً. فصار تعلق القلب بهذا الكي من جهة أنه سبب يؤثر دائماً؛ فلا يسألون غيرهم أن يكويهم، استسلاماً للقضاء وتلذذاً بالبلاء.

الثالثة: (ولا يتطيرون): أي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها؛ فلا يقدم على أمر أو يحجم عنه، تطيراً وتشاؤماً، بسبب أمر حدث أمامه.

الرابعة: (وعلى ربهم يتوكلون): ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد، الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضا به رباً وإلهاً، والرضا بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء، وعده من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء، والله ذو الفضل العظيم[1].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص١٠٨-١١٠)- التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٦١-٦٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتوكلوا عليه، ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن:١٣].

واعلموا -عباد الله- أن الحديث - في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب- لا يدل على أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظنه الجهلة؛ فإن مباشرة الأسباب أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣] أي كافيه؛ إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله، كالاسترقاء والاكتواء، فتركهم له ليس لكونه سبباً لكن لكونه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت.

وأما نفس مباشرة الأسباب، والتداوي على وجه لا كراهية فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعاً، لما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[(١)].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ، قَالَ: قَالَتْ الْأَعْرَابُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ:"نَعَمْ يَا عِبَادَ اللهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً ، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ:الْهَرَمُ»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع والعطش، والحر والبرد: بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضية لمسبباتها قدراً وشرعاً، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة. ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل. فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٨) واللفظ له، ومسلم (٢٢٠٤).

(٢) رواه الترمذي (٢١٥٩) وقال: حديث حسن صحيح. ط الرسالة.

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص١١٠-١١١)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٦١-٦٣)، زاد المعاد (٤/١٤-١٥).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنخلص العمل له سبحانه، ولنتوكل عليه ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم:١٢].

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد...





كتاب التوحيد (٤)

باب الخوف من الشرك

الخطبة الأولى:

﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١]، أحمده سبحانه وأشكره، ومن مساوي عملي أستغفره، خلقنا لعبادته﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، ونهانا عن معصيته ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام:١٥]، وحذرنا من الشرك ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء:٣٦]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل الموحدين، وإمام المتقين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، وأفردوه بالعبادة، ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣].

عباد الله: كل إنسان حريص على تحقيق توحيده مع الله جل وعلا، حتى ينجو يوم القيامة، وكل من حقق التوحيد لا بد أن يخاف من الشرك؛ ولهذا كان سيد المحققين للتوحيد محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يكثر من الدعاء بأن يبعد عنه الشرك، وكذلك كان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يكثر من الدعاء؛ لئلا يدركه الشرك، أو عبادة الأصنام[١].

والشرك أمره عظيم-عباد الله-، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

(١) التمهيد، صالح آل الشيخ.

ﵟمَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُﵞ [النساء:٤٨، ١١٦].

قال ابن كثير ﵀: أخبر تعالى أنه ﵟإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِﵞ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهـو مشرك، ﵟوَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُﵞ أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده. ا.هـ

فتبين بهذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة: إن شاء غفره لمن لقيه به، وإن شاء عذبه به، وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله؛ لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم، وتنقص لرب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به، كما قال تعالى: ﵟثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَﵞ [الأنعام:١]، ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، مناف له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته، والذل له، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك. ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية: من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلق الدعاء، والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده؛ فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، شبيهاً بمن له الحمد كله، وله الخلق كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله، فأزمَّة الأمور كلها بيده سبحانه ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمة ﵟفَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُﵞ [فاطر:٢][1].

---

(١) فتح المجيد.

ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه. وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشية والدعاء، والرجاء والإنابة، والتوكل والتوبة والاستعانة، وغاية الحب مع غاية الذلِّ: كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكون لغيره. فمن فعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له، ولا مثيل له، ولا ندَّ له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله، فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفر الشرك، مع أنه كتب على نفسه الرحمة[١].

فبعض العلماء -عباد الله- يرى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، أنه يشمل كل شرك، سواء كان شركاً أكبر؛ أو شركاً أصغر: كالحلف بغير الله، وتعليق التميمة، وكقولك: ما شاء الله وشئت، ونسبة النعم إلى غير الله؛ وذلك لعظم خطيئة الشرك؛ وعلى كل حال فيجب الحذر من الشرك مطلقاً صغيره وكبيره، لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر[٢].

فإذا علم العبد المسلم أن الشرك بأنواعه لا يُغفر، وأنه مؤاخذ به، وأن الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان: لا تُكَفِّرُ ذنبَ الوقوع في الشرك الأصغر؛ بل لا يُغفر إلا بالتوبة الصادقة مع الله، فإن لم يتب فثمة الموازنةُ بين الحسنات والسيئات؛ ولا ريب أنه لا ينجو إلا من عظمت حسناته؛ ولا شك أن هذا يوجب الخوف من الشرك بعامّة[٣].

---

(١) فتح المجيد (ص٥٧-٥٨) كلام ابن القيم.

(٢) ابن عثيمين.

(٣) التمهيد.

وقال الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، أي: اجعلني وبنيَّ في جانب عن عبادة الأصنام. وباعد بيننا وبينها، وقد استجاب الله دعاءه، وجعل بنيه أنبياء وجنبهم عبادة الأصنام. وقد بين ما يوجب الخوف من ذلك بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦] فإنه هو الواقع في كل زمان. فإذا عرف الإنسان أن كثيراً وقعوا في الشرك الأكبر وضلوا بعبادة الأصنام: أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفره الله. قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده، فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق، وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه، والوعيد على فعله، والثواب على تركه، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه، نسأل الله الثبات على الإسلام، والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟، «قال: الرياء». يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»[٢].

قوله: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» هذا من شفقته ﷺ بأمته ورحمته

---

(١) قرة عيون الموحدين.

(٢) رواه أحمد، والطبراني...(حديث حسن بمجموع طرقه).

ورأفته بهم، فلا خير إلا دلهم عليه، ولا شرَّ إلا حذرهم منه؛ فإذا كان الشرك الأصغر مخوفاً على أصحاب رسول الله ﷺ مع كمال علمهم وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟ خصوصاً إذا عُرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقرَّ به المشركون، وما عرفوا معنى الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله.

والشرك الأصغر هو الرياء: وهو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيمدحونه عليها؛ سواء كان عملاً كالصلاة، أو سماعاً كالقراءة، أو غيرها مما لا يريد به وجه الله تبارك وتعالى[١].

والرياء ينقسم باعتبار إبطاله للعبادة إلى قسمين: أولها: أن يكون في أصل العبادة، أي: ما قام يتعبد إلا للرياء؛ فهذا عمله باطل مردود عليه، كما في الحديث الصحيح: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[٢]. وثانيها: أن يكون الرياء طارئاً على العبادة؛ أي أصل العبادة لله، لكن طرأ عليها الرياء؛ فإن دافعه-يعني الرياء- ورجا ما عند الله، فإنه لا يضره؛ وأما إن استرسل معه؛ فكل عمل ينشأ عن الرياء، فهو باطل؛ كما لو أطال القيام، أو الركوع، أو السجود، أو تباكى؛ فهذا كل عمله حابط. والعياذ بالله[٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد.

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٣) ابن عثيمين: بتصرف.

النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك؛ اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: روى عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[١].

قال ابن القيم ﷺ: الند: هو الشبيه؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢].

قوله: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا» أي يجعل لله نداً في العبادة، يدعوه ويسأله ويستغيث به، دخل النار.

فمن دعا ميتاً أو غائباً وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورهبة منه، سواء سأله أو سأل به، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، ولهذا حرم الله تعالى اتخاذ الشفعاء وأنكر على

---

(١) رواه البخاري (٤٤٩٧) وهذا لفظه؛ و(١٢٣٨)، (٦٦٨٣).

من فعل ذلك أشد الإنكار، لكونه ينافي الإخلاص، الذي هو إقبال القلب والوجه على الله في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به[١].

واعلموا -عباد الله- **أن اتخاذ الند على نوعين: أولها:** أن يجعل لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها؛ وهو شرك أكبر، صاحبه مخلد في النار.

وثانيها: ما كان من الشرك الأصغر؛ كقول الرجل: (ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت). وكيسير الرياء؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده»[٢]؛ وهذا لا يوجب التخليد في النار وإن دخلها.

وروى مسلم في صحيحه عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللهَّ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ، يُشْرِكُ بِهِ، دَخَلَ النَّارَ»[٣].

قوله: «مَنْ لَقِيَ اللهَّ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قال القرطبي: أي لم يتخذ معه شريكاً في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة. ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة؛ وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذاب، ولا تصرُّم آماد.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعلم أن الشرك أمره عظيم، فلا يتهاونَنَّ أحد به، لأن من تهاون بالشرك وبالتوحيد، فإنه يكون متهاوناً بأصل دين الإسلام- الذي هو

---

(١) قرة عيون الموحدين.

(٢) حديث صحيح أو حسن- كتاب التوحيد.

(٣) رواه مسلم (٩٣)، ١٥٢.

دين الأنبياء والمرسلين-؛ فأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد...




كتاب التوحيد (٥)

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، اتقوه في السر والعلانية، فهي وصية الله للأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

عباد الله: «كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ:أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[١].

فمن عرف حقيقة التوحيد وفضله، فلا ينبغي له أن يقتصر على نفسه، ويبخل بتعليمه لغيره، بل يجب عليه الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم، كما قال الحسن البصري لما تلا قوله تعالى:

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٦).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فقال: (هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله)[1].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال السعدي في تفسيره: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (قُلْ) للناس: (هَذِهِ سَبِيلِي) أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ) أي: أَحُثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأُرَغِّبُهُم في ذلك، وأُرَهِّبُهُم مما يبعدهم عنه. ومع هذا فأنا (عَلَى بَصِيرَةٍ) من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية (وَ) كذلك (مَنِ اتَّبَعَنِي) يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره (وَسُبْحَانَ اللَّهِ) عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصاً له الدين. ا.هـ

والتوحيد-عباد الله- هو أول ما يجب أن يدعى إليه الناس؛ وتحذيرهم من ضده وهو الشرك؛ فالتوحيد هو أساس الدين، وهو أهم ما يجب أن يعتني به الدعاة إلى الله تعالى؛ كما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/١١٧-١١٨).

اللَّهُ،-وفي رواية: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»- فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[1].

قال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ ﷺ: أنه ﷺ بعثه إلى اليمن مبلغاً عنه، ومفقهاً ومعلماً وحاكماً.

قوله: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب» قال القرطبي: يعني به اليهود والنصارى، لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب، وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم.

والعمل الصالح -عباد الله-، الذي أعظمه التوحيد، يشترط لقبوله شرطان هما: الإخلاص لله في دعوته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾. قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ: أن الدعوة طريق من اتبع رسول الله ﷺ، والتنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه. والشرط الثاني لقبول دعوته: المتابعة للرسول ﷺ.

وكانت البداءة في الدعوة بالتوحيد -عباد الله-: لأن التوحيد هو أول الواجبات؛ ولأن التوحيد هو مفتاح الدخول في الإسلام؛ وأن الله تعالى لا يقبل أي عمل وإن كان في ظاهره صالحاً إلا بالتوحيد؛ وأن الدعوة إلى التوحيد هو منهج الأنبياء والمرسلين.

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

قـال شيخ الإسـلام: وقـد علـم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخـلق: شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فبذلك يصير الكافر مسلما، والعـدو ولياً، والمباح دمـه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبـه فقـد دخـل في الإيمان، وإن قـاله بلسـانه دون قلبه فهـو في ظاهر الإسـلام دون باطـن الإيمان. قـال: وأمـا إذا لم يتكلم بها مع القـدرة فهو كـافر باتفـاق المسـلمين باطناً وظاهراً، عند سـلف الأمـة وأئمتها وجماهير العلماء اهـ.

والإنسان قد يكون عالماً وهو لا يعرف معنى (لا إله إلا الله) أو يعرفه ولا يعمل به. فما أكثر هؤلاء – لا كثرهم الله تعالى.

«فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»؛ يبدأ في دعوته بالتدريج، فيبدأ بالأهم فالأهم؛ فيدعو الناس إلى إصلاح العقيدة أولاً ثم يبدأ بتعليم شرائع الإسلام.

وفضل الدعوة إلى الإسلام عظيم، كما ورد عن سَهْل بْن سَعْدٍ ﷺ، أَنّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُّ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُّ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهَّ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ»، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهَّ فِيهِ، فَوَاللهَّ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُّ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا

خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[(١)].

قوله: (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فيه فضيلة عظيمة لعلي ﷺ. قال شيخ الإسلام: ليس هذا وصف مختصاً بعلي ولا بالأئمة، فإن الله ورسوله يحبان كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله.

ومما يدل عليه هذا الحديث: الأدب عند القتال، وترك العجلة والطيش والأصوات التي لا حاجة إليها؛ ومنها: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة؛ ومنها: وجوب الدعوة إلى الإسلام لا سيما قبل قتال الكفار؛ وأن من امتنع عن قبول الدعوة من الكفار وجب قتاله؛ ومنها: الإيمان بالقضاء والقدر لحصول الراية لمن لم يسع إليها، ومنعها ممن سعى إليها؛ ومنها: فضيلة من اهتدى على يديه رجل واحد.

قال العلامة بن القيم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥] ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإنه إما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه. فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال. وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.وإما أن يكون معانداً معارضاً، فهذا يُجَادَل بالتي هي أحسن. فإن رجع وإلا انتُقِلَ معه إلى الجدال إن أمكن. ا.هـ

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: من المواقف التي سطرها التاريخ، موقف للنبي ﷺ في الدعوة إلى الله، لنقتدي به في رفقه وتعامله ودعوته، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:"مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:"مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ:"مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ:"أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ"، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ

اللهَّ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِـــرَ، فَلَمَّا قَـــدِمَ مَكَّـــةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُـــولِ اللهَّ ﷺ، وَلَا وَاللهَّ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَـةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»[1].

فأقسم ثمامة أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة، لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمنِّ بغير مقابل. فلنكن دعاة وهداة إلى دين الله، في بيوتنا، في وظائفنا ومدارسنا، في طرقنا وبين جيراننا.

وللدعـوة إلى التوحيــد فضائل - عباد الله- منها: أن الـدعوة إلى التوحيـد وظيفـة الرسل عليهـــم السلام؛ ومنها:أن هدايـــة شخص واحد إلى الإسلام خير مـن المـال الكثير يملكه الشخص؛ ومنها: أن الدعــــوة إلى التوحيـد أفضـل الأعـمال وأحسـنها؛ ومنها: أن الدعـــوة إلى التوحيد إنقاذ للناس مــــن نار جهنم؛ ومنها: أن مـن اهتـدى على يديه شخص إلى الإســــلام فكل ما يعمله من الصـالحات مـن التوحيـد والصـلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها فله مثل أجره، من غير أن ينقص مـن أجـر هـذا المـدعو شيئا. (من دعا إلى هدى كان له من الأجـر مثـل أجـور مـن تبعـه، لا يـنقص ذلـك مـن أجورهم شيئا).

فلنتق الله تعالى -عباد الله- ولنكن دعاة إلى هذا الدين العظيم، بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين؛ وكذلك دعوة غير المسلمين إلى الإسلام بالرفق واللين والمعاملة الحسنة؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعنا، فإنها سفينة النجاة من الهلاك بإذن الله ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد.




كتاب التوحيد (٦)

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

الخطبة الأولى:

الحمدلله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، البشير النذير، ختم الله به الرسالات، وأوضح به معالم الدين، فكان الناصح الأمين؛ أقام به التوحيد، وأرشد إلى حق الله على العبيد، فاتضحت به الحجة والمحجة، وكملت به الشريعة، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، واحذروا سخطه وغضبه، باجتناب معاصيه، واجتهدوا في ما يرضيه من عباده ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥].

عباد الله: إن التوحيد هو الأصل الذي يقوم عليه الدين، وينطلق منه الداعية في دعوته، وما بُني من الدين على غير أساس التوحيد فلا قيمة له ولا بقاء؛ والتوحيد هو أعظم أصول الدين وأساسها، فإن انتفى هذا الأصل بارت الأعمال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣](١).

فمن أراد تحقيق توحيده -عباد الله- فلا يتضح ذلك إلا بمعرفة أمرين: أحدهما: معنى التوحيد؛ والثاني: ما يضاد التوحيد وينافيه، وهو الشرك.

---

(١) كنوز رياض الصالحين (٦/٣٣٦-٣٣٧).

وهناك معتقدات فاسدة تضاد التوحيد، يجب على المسلم أن يجتنبها ويكون منها على حذر، حتى تصلح أعمالـــه، وتستقيم أحواله؛ كما قال الله في الحديث القـدسي: «يَـا ابْـنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُـمَّ لَقِيتَنِـي لَا تُشْـرِكُ بِي شَـيْئًا لَأَتَيْتُـكَ بِقُرَابِهَـا مَغْفِرَةً»[1].

فأول المعتقدات الفاسدة التي تضاد التوحيد-عباد الله-: عدم البراءة من كل ما يُعبد من دون الله؛ فالتوحيد الخالص الذي لا يقبل الله تعالى غيره لا يكون إلا بإخلاص العبادة لله، والبراءة من جميع الآلهة الباطلة، فلا يكفي في التوحيد مجرد التلفظ بكلمة (لا إله إلا الله)، بل لا بد أن يضاف إليه الكفر بما يُعبد من دون الله، والأدلة على هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

فقد تبرأ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو إمام الحنفاء والموحِّدين من جميع الآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى، ثم استثنى إلهاً واحداً فقط هو الله جل وعلا، الذي خلقه وأوجده من العدم.

ففي هذه الآية الكريمة تفسير التوحيد: حيث دلت على أن حقيقة التوحيد مركَّبة من أمرين: أولها: البراءة من كل الآلهة الباطلة التي يعبدها المشركون من دون الله تعالى. وثانيها: إثبات العبادة لله وحده لا شريك له.

وهذان هما ركنا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله). وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي أُريد بها ووضعت له، فعبَّر عن المنفي بها بقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾،

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وعبَّر عما أثبته بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك، فما أحسن هذا التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه.

وقال ابن كثير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨]، أي: هذه الكلمة؛ وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي (لا إله إلا الله)، أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه من ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي: إليها[1].

ويوجد في بعض البلدان الإسلامية من يصلي ويزكي ويصوم ويحج، ومع ذلك يذهبون إلى القبور يسجدون لها ويركعون؛ فهم كفار غير موحدين، ولا يقبل منهم أي عمل -فهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره-،وهذا من أخطر ما يكون على الشعوب الإسلامية[2].

ومما يدل -على البراءة من كل ما يعبد من دون الله- حديث أَبِي مَالِكٍ ،عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[3]. ومعنى (حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ): أنه يحكم بإسلامه في الظاهر، وأما في الباطن فحسابه على الله ﷻ. وهذا دليل على وجوب البراءة من جميع الآلهة الباطلة.

ثانياً: من المعتقدات الفاسدة التي تضاد التوحيد: دعاء غير الله؛ فدعاء غير الله تعالى

---

(١) قرة عيون الموحدين: عبدالرحمن بن حسن (ص١٨٢-١٨٣).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: لابن عثيمين (١٨٦/١).
(٣) رواه مسلم (٢٣).

والاستغاثة به يناقض التوحيد، وذلك أن كل من دعا غير الله تعالى من الأنبياء والصالحين وغيرهم فقد وقع في الشرك، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧].

فهؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله تعالى لا يملكون كشف الضر عنهم وهو رفعه بالكلية، كما لا يملكون تحويل هذا الضر عنهم إلى غيرهم، وهذا دليل على ضعفهم وعجزهم، وعدم صلاحيتهم للتوجه إليهم بالدعاء من دون الله.

وهؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله مثل: الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين أو غيرهم؛ هم يتقربون إليه سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة، يرجون بذلك رحمته، ويخافون عذابه، فكان الواجب عليكم: أن تفعلوا كما فعلوا، فتتقربون إلى الله تعالى وتدعونه وحده لا شريك له.

وتبين بهذه الآية أن الله أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر، من الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله؛ وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الإخلاص؛ فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد[1].

ثالثاً: من المعتقدات الفاسدة التي تضاد التوحيد: محبة غير الله كمحبة الله؛ فمن أحب غير الله تعالى كمحبته لله تعالى فقد اتخذه لله نداً، ووقع في الشرك الأكبر، قال الله تعالى:

---

(١) قرة عيون الموحدين: عبدالرحمن بن حسن (ص١٧٨-١٧٩).

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

فدلت الآية الكريمة على أن كمال الحب المقتضي للذلِّ والخضوع يجب أن يكون لله تعالى، ولا يجوز لمؤمن أن يُحِبَّ أحداً كائناً ما كان كمحبة الله تعالى، ولهذا وصف الله تعالى عباده المؤمنين بزيادة محبته على غيره، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ ويسمى هذا النوع شرك المحبة.

فما بالك برجل يحب غير الله أكثر من محبته لله؟ وما بالك برجل يحب غير الله ولا يحب الله؟ فهذا أقبح وأعظم؛ وهذا موجود في كثير من المنتسبين للإسلام اليوم؛ فإنهم يحبون أولياءهم أكثر مما يحبون الله.

وتجد كثيراً منهم يأتون إلى مكة والمدينة ويرون أن زيارة قبر الرسول ﷺ أعظم من زيارة البيت-والعياذ بالله-. فهذه الآية فيها محنة عظيمة لكثير من قلوب المسلمين اليوم الذين يجعلون غير الله مثل الله في المحبة؛ وفيه أناس أشركوا بالله في محبة أخرى، كمحبة الدرهم والدينار، ويوجد أناس لو فتشت عن قلوبهم؛ لوجدت قلوبهم ملأى من محبة متاع الدنيا، وحتى هذا الذي جاء يصلي هو في المسجد لكن قلبه مشغول بما يحبه من أمور الدنيا[(١)].

وليعلم أن من لازم المحبة الحقيقية الائتمار بأمر المحب، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١][(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه، وتوحيد الحب أن لا يبقى

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد: لابن عثيمين (١/١٩١).

(٢) شرح كتاب التوحيد: عبدالله بن حميد (ص١٣٩).

في قلبه بقية حبٍّ حتى يبذلَها له، فهذا الحب وإن سُمي عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمِه وقرّةِ عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعةً لمحبة الله، فلا يحب إلا لله، كما في الحديث الصحيح: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

اللهم نسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغنا حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا، ومن الماء البارد يا ذا الجلال والإكرام.

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ

---

(١) البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، وروضة المحبين: لابن القيم (ص٢١١-٢١٢).

الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

عباد الله: من المعتقدات الفاسدة التي تضاد التوحيد: طاعة غير الله في تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

فالتشريع حق لله تعالى، فلا تجوز طاعة أحد في تحليل ما حرم الله، ولا تحريم ما أحل الله تعالى، سواءً أكان من العلماء أو الحكام أو رؤساء القبائل أو غيرهم؛ لأن ذلك في الحقيقة اتخاذاً له إلهاً من دون الله عزوجل ، وهذا من الشرك الأكبر، ويسمى هذا النوع من الشرك: (شرك الطاعة).

فعن عدي بن حاتم ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله، فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله، فتحلونه؟» قال: قلت: بلى. فقال: «فتلك عبادتهم»[١].

فمن اتخذ الأحبار وهم: العلماء، أو الرهبان وهم: العباد، مرجعاً يطيعهم في إباحة ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ فقد اتخذهم أرباباً: أي: معبودين من دون الله تعالى؛ لأن التحليل والتحريم من خصائص الله تعالى.

ويدخل في هذا القوانين الوضعية التي انتشرت في كل مكان، وما زالت كثير من الدول المنتسبة للإسلام تحكم بها في الدماء والسرقات والحدود، وتحكم بها في جميع شؤونها بدلاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ والله يقول: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ

---

(١) روه أحمد والترمذي وحسنه.

أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠][(١)].

إذاً؛ فتفسير التوحيد بـ (لا إله إلا الله): يستلزم أن تكون طاعتك لله وحده.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب عند قوله: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ"، وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله)؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف -إلى ذلك- الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف؛ لم يحرم ماله ولا دمه. فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلَّها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع. ا.هـ

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنُخلِّص أنفسنا من شوائب الشرك؛ ولنعلم أن التوحيد لا يتم إلا: بالإيمان بالله، والكفر بما سوى الله، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد...




(١) شرح كتاب التوحيد: عبدالله بن حميد (ص١٣٦).

كتاب التوحيد (٧)

باب من الشرك لُبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

الخطبة الأولى:

الحمدلله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، خلقنا لعبادته، وأمرنا بطاعته، ونهانا عن معصيته، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أقام به التوحيد، وأرشد إلى حق الله على العبيد، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وفوضوا أموركم إليه، وجاهدوا في الله حق جهاده، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ودار كدر وعناء؛ والإنسان يخاف على نفسه مرة من المرض، ومرة من العين، ومرة من الفقر، ومرة من المستقبل، أو يخاف على أولاده من هذه البلايا؛ ولا يهدأ الإنسان، ولا يقرُّ له قرار، إلا بتعلقه بالله تعالى، فبيده-سبحانه- النفع والضر، والإعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٨].

والإنسان لا يعرف التوحيد إلا إذا عرف ضده-وهو الشرك-؛ لاجتنابه وعدم

الوقوع فيه؛ والتوحيد الذي من أجله خلقت الخليقة، ومن أجله أرسلت الرسل، ومن أجله أنزلت الكتب، ومن أجله جردت سيوف الجهاد، ومن أجله نصبت الموازين، ومن أجله قام سوق الجنة والنار، وهو: عبادة الله وحده.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إنما تُنقض عرى التوحيد عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»، فلابد أن تعرف الشرك لأجل أن يستقرَّ في قلبك التوحيد[(١)].

فالله تعالى وحده هو النافع الضار، ومنه وحده يُطلب النفع ودفع الضر، ومن طلبه من غيره فقد أشرك، ولذلك أنكر الله تعالى على المشركين الذين يدعون من دونه من لا يملك لهم نفعاً، ولا يدفع عنهم ضراً، فقال مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

وفي هذه الآية دليل على: بطلان تعلق القلب بغير الله تعالى في جلب نفع، أو دفع ضر، وأن كل من تعلق بشيء مما لا يملك نفعاً ولا يدفع ضراً فقد أشرك بالله تعالى.

ومن ذلك لُبس التمائم بأنواعها من الحِلَق والخيوط وغيرها اعتقاداً أنها تدفع البلاء قبل نزوله، أو أنها سبب في ذلك، فإنه من الشرك بالله تعالى لما فيه من تعلق القلب بغير الله تعالى.

والإسلام جاء بعقيدته الصحيحة الصافية الخالية من الخرافات، فأبطل جميع هذه العاداتِ الجاهلية، والاعتقادات الزائفة التي لا تعتمد على أساس صحيح، بل عمادها الجهل، والشرك، وتلاعب الشياطين والسحرة والمشعوذين بالجهلة، فمنع من كل هذه

(١) شرح كتاب التوحيد: عبدالله بن حميد (ص١٤٢-١٤٣).

الأعمال الباطلة، وأبطل جميع هذه الاعتقادات الفاسدة، وعلَّق الناس بالله تعالى، توكلاً واعتماداً عليه، واستعاذة به، والتجاءً إليه، فمن فعل من المسلمين شيئاً من هذه الأفعال المحرمة فقد تشبه بالمشركين الجاهلين، وخالف شريعة النبي الأمين ﷺ، فالواجب نبذ هذه العادات الجاهلية، والاعتقادات الباطلة جملة وتفصيلاً، ومحاربتها، وتنقية المجتمعات الإسلامية منها.

وتعليق التمائم -عباد الله- شرك بالله تعالى لأمرين:

أولها: ما في ذلك من تعلق القلب على غير الله في جلب النفع أو دفع الضر، والمؤمن يجب أن يعلق قلبه بالله تعالى، لا بأحد سواه، وكيف يعلق قلبه بخيوط أو خرزات لا تنفع ولا تضر.

وثانيها: ما فيه من التشبه بتعلق المشركين بأوثانهم حيث يعتقدون فيها النفع والضر.

وإذا اعتقد الإنسان -عباد الله- أن هذه التمائم تنفع أو تضر بذاتها، فقد أشرك الشرك الأكبر. وإذا اعتقد أنها مجرد سبب للنفع أو الضر، فقد أشرك الشرك الأصغر. فالحذر الحذر منها.

ومن الأدلة على تحريم التمائم: عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة. فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا»[(١)].

والواهنة: عرق يأخذ في المنكب، وفي اليد كلها فيرقى منها؛ وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء.

---

(١) رواه أحمد بسند لا بأس به.

وإنما نهاه عنها: لكونه يظن بأنها تمنع هذا الداء وترفعه، فأمره النبي ﷺ بنزعها لذلك، وأخبر أنها لا تزيده إلا وهناً، فإن المشرك يُعامل بنقيض قصده؛ لأنه علَّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه؛ فإذا كان هذا فيمن تعلق بحلقة من صفر فما الظنُّ بما هو أطمُّ وأعظم؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها، كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل[١].

فالله تعالى إذا أعطانا صحة وعافية فلا قدرة لأحد على إزالتها إلا هو، وما يمسك من ذلك فلا قدرة لأحد على إيجاده وإيصاله للناس إلا هو، «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»[٢].

كل هذا يدل على أن هذه التعلقات لا أصل لها، مع أننا لا ننكر الأسباب الشرعية التي جاءت بها الشريعة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «عباد الله تداووا، ولا تتداوو بحرام؛ فإن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها»[٣].

وكل ما يتعلق به الإنسان من غير الله، أو من الأسباب التي لم يجزها الشارع، مثل تعليق الوتد على الدواب، أو تعليق التمائم أو تعليق الودع أو تعليق الحلق أو تعليق الخيوط وما أشبه ذلك، كلها من وسائل الشرك، وإن كانت من الشرك الأصغر إلا أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر[٤].

---

(١) قرة عيون الموحدين (ص٢٠١-٢٠٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال حديث حسن صحيح؛ ط الرسالة العالمية.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) كتاب التوحيد، عبدالله بن حميد (ص١٤٨-١٥٠).

وعن عقبة بن عامر مرفوعا: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[(١)].

والتميمة: شيء يعلق خوفاً من العين، يزعمون أنها تمنع من العين، وتعلق على الأطفال وعلى غيرهم.

"من تعلق تميمة": أي علقها متعلقاً بها قلبه، في طلب خير أو دفع شر.

والتمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام."فلا أتم الله له": دعاء عليه.

والودعة: شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين.

"ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له"؛ أي: حرك الله عليه كل مؤذٍ ومؤلم لا جعله في دعة وهدوء؛ لأنه طلب الشفاء من غير الله وتعلق بغير الله، فلا يجوز استعمال مثل هذه الأشياء، ومثل ذلك الحلق النحاسية التي يعلقونها الآن ويقولون: إنها تمنع من الروماتيزم، وأن لها خاصيــة، كل هذا لا أصل له ؛-وقد يدخل فيها أيضًا الحلقة أو السوار التي يقولون أنها تمتص الشــحنات الكهربائيــة الزائدة من الجسم-فهذه كلها تعلق بغير الله[(٢)].

«ومن تعلق تميمة فقد أشرك»: إنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه[(٣)].

---

(١) رواه أحمد وإسناده جيد.

(٢) شرح كتاب التوحيد: لابن حميد (١٥٥).

(٣) فتح المجيد (ص٩٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٥-١٠٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:١١].

عباد الله: ومما ورد في النهى عن التعلق بغير الله: عن حذيفة ﷺ أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦][(١)]؛ وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى؛ فيجب إنكار مثل هذا وإن كان من وضعه يعتقد أنه سبب. فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها. وأما التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحوها، مما تعلقه الجهال فهو شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه[(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم.

(٢) فتح المجيد (ص٩٣).

وهذا منتشر في بعض من يقدمون للعمل في هذه البلاد، وكذلك من تشبه فيهم من جهال المسلمين. وهذا كله بسبب انتشار الجهل بالأحكام الشرعية، وقلة العلم بالشرع الصحيح؛ وكذلك الجهل بحقيقة التوحيد والعقيدة الصحيحة؛ وهذا الذي أدى إلى انتشار السحرة والمشعوذين وأدعياء العلم المخرفين الذين صرفوا الناس عن الصراط المستقيم.

فالواجب على المسلم أن يعلق قلبه بالله تعالى، ويتوكل عليه وحده لا شريك له، ولا يفعل لدفع البلاء أو رفعه إلا الأسباب المشروعة من الأدعية والأذكار، أو الجائزة كالأدوية المباحة بأنواعها، مع اعتقاد أن الله تعالى هو الحافظ الكافي وهو الشافي المعافي سبحانه وتعالى.

ومن توكل على الله كفاه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]، وأما من تعلق بغيره، فإن الله يكله إليه.

ومن الأدعية النبوية في الحفظ بعد وقوع المرض والبلاء لرفعه: عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»[١].

ومن الأدعية النبوية في الحفظ قبل وقوع البلاء لدفعه: قوله ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[٢]؛ وكذلك قراءة آية الكرسي عند النوم: فمن قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٨).

حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وأما في التوكل على الله واعتماد القلب عليه: فالنَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِّ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِّ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِّ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»[1].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعلق قلوبنا بالله، ولنفوض أمورنا إليه، فهو النافع الضار الذي بيده ملكوت كل شيء، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، وصححه الألباني.

كتاب التوحيد (٨)

باب ما جاء في الرقى والتمائم

الخطبة الأولى:

الحمد لله القوي المتين، الظاهر القاهر المبين، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٣]، ذلَّ لكبريائه جبابرة السلاطين، وبطل أمام قدرته كيد الكائدين، أحمده سبحانه وأشكره، ومن مساوي عملي أستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الخافض الرافع، الضار النافع، المعطي المانع، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أقام به التوحيد، وأرشد إلى حق الله على العبيد، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وفوضوا أموركم إليه، وعلقوا قلوبكم به، وجاهدوا في الله حق جهاده، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

عباد الله: كان استعمال التمائم بأنواعها شائعاً منتشراً عند العرب في جاهليتهم، وذكرها منتشر في أشعارهم وأخبارهم، ويزعمون أنها تحفظهم، وتدفع عنهم أذى العين والجن والحاسدين قبل أن يقع عليهم، أو ترفع عنهم البلاء بعد وقوعه عليهم، فكان كثير منهم يعلقون التمائم على أيديهم أو أعضائهم أو صدورهم، ومنهم من يعلقونها على دوابهم، وكثير منهم يعلقونها على صغارهم لتحفظهم -بزعمهم- حتى يكبروا، فإذا كبروا نزعوها عنهم، وكانت لهم أنواع متعددة من التمائم، لكل غرض من الأغراض.

وجاء الإسلام -عباد الله- بعقيدته الصحيحة الصافية الخالية من الخرافات، فأبطل جميع هذه العاداتِ الجاهلية، والاعتقادات الزائفة التي لا تعتمد على أساس صحيح، بل عمادها الجهل، والشرك، وتلاعب الشياطين والسحرة والمشعوذين بالجهلة، فمنع من كل هذه الأعمال الباطلة، وأبطل جميع هذه الاعتقادات الفاسدة، وعلَّق الناس بالله تعالى، توكلاً واعتماداً عليه، واستعاذة به، والتجاءً إليه، فمن فعل من المسلمين شيئاً من هذه الأفعال المحرمة فقد تشبه بالمشركين الجاهلين، وخالف شريعة النبي الأمين ﷺ، فالواجب نبذ هذه العادات الجاهلية، والاعتقادات الباطلة جملة وتفصيلاً، ومحاربتها، وتنقية المجتمعات الإسلامية منها.

فعن أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا أن: «لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»[1].

والصحابة ﭫ كانوا حريصين على إنكار هذه التمائم؛ فعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهَّ بن مسعود قالت: إن عبدالله رأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رُقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبدالله لأغنياءُ عن الشرك. سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ، قَالَتْ: قُلْتُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا، وَاللهَّ لَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ، وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِينِي، فَإِذَا رَقَانِي سَكَنَتْ، فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ: إِنَّمَا ذَاكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَاهَا كَفَّ عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٨٣) وصححه الألباني، وابن حبان وابن ماجه.

والتمائم -عباد الله-: شيء يعلق على الصبيان، أو البيوت أو الدواب أو السيارات، لدفع العين، أو لطرد الشياطين، أو لدفع الأمراض أو الحوادث، أو رفع ذلك بعد وقوعه.

فإن كانت هذه التمائم المعلقة من غير القرآن الكريم (فهي شرك). وإن كانت التمائم المعلقة من القرآن الكريم؛ مثل تعليق مصحف صغير، أو سورة معينة كسورة (يس) أو المعوذات الثلاث (سور: الإخلاص، والفلق، والناس)، أو آية معينة كآية الكرسي؛ وهذا النوع من التمائم اختلف فيه السلف رحمهم الله تعالى، فرخَّص فيه بعضهم؛ ومنعه آخرون، وجعلوه من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﵁؛ وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون التمائم كلَّها من القرآن وغير القرآن».

والصحيح أن تعليقها لا يجوز-ولو كانت من القرآن-: لعموم النهي عن التمائم؛ وسداً للذريعة، فإنه يؤدي إلى التساهل في تعليق التمائم، حتى يفضي إلى تعليق التمائم الشركية؛ وأن في ذلك تعريضاً للقرآن الكريم للامتهان، إذ قد يحمله معه في حال قضاء الحاجة وغيرها من الحالات غير اللائقة.

وتأمل هذه الأحاديث وما كان عليه السلف رضي الله تعالى عنهم يتبين لك غربة الإسلام، خصوصاً إن عرفت عظيم ما وقع فيه الكثير بعد القرون المفضلة من تعظيم القبور واتخاذ المساجد عليها والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرف جل الدعوات والرغبات والرهبة وأنواع العبادات التي هي حق لله تعالى إليها من دونه سبحانه.

وَالتِّوَلَةُ: شيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته؛ وهو نوع من السحر، ويسمى عند العامة بالصرف والعطف، وهي في الحقيقة نوع من أنواع التمائم.

والسبب في انتشار مثل هذه التمائم: انتشار الجهل بالأحكام الشرعية، وقلة العلم بالشرع الصحيح، المستمد من الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح. ومنها: الجهل بحقيقة التوحيد والعقيدة الصحيحة. ومنها: انتشار السحرة والمشعوذين، وأدعياء العلم المخرفين الذين يظنهم الناس من أهل العلم. ومنها: التعلق بمن يُسمون بالأولياء، وهم في الحقيقة أولياء الشيطان لا أولياء الرحمن. ومنها: ضعف الدعوة إلى التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن علق قلبه بالتمائم -عباد الله- فإن الله تعالى يكله إليها،وهي لا تنفع ولا تضر، ولا ترفع ولا تخفض، وذلك عقوبة له على تعلقه بها، فإن الجزاء من جنس العمل، وفي حديث عبدالله بن عكيم ﵀ أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[(١)]. فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ إليه، وفوض أمره إليه كفاه، ومن تعلق بغيره، أو سكن إلى رأيه وعقله، ودوائه وتمائمه ونحو ذلك، وكَلَه الله إلى ذلك الشيء وخذله.

ولقد هدد النبي ﷺ الذين يعلقون التمائم بأنواعها بأنه بريء منهم، وذلك في الحديث الذي رواه رويفع بن ثابت الأنصاري ﵁ قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهُ بَرِيءٌ»[(٢)]. ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن علق على رقبته وتراً، وهو يدلُّ على أنه من كبائر الذنوب؛ لتبرؤه ﷺ ممن فعله.

ومن صور وأشكال التمائم المنتشرة-عباد الله- لتجنبها: نظم خرزات أو عظام أو

(١) رواه الترمذي (٢٢٠٢) وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٩٥)، وأبو داود (٣٦) يقول المحقق: حديث صحيح.

وَدَعَاتٍ في خيط، وتعليقها على الصدر لدفع العين والأرواح الشريرة. ومنها: تعليق خِرَقٍ سوداء على بعض السيارات، وقد انتشر هذا في بعض سيارات الأجرة، وسيارات النقل. ومنها: وضع مصحف صغير داخل علبة حديدية أو نحاسية مرتبطة بسلسلة، وتعليقه على الصدر، أو في موضع من البيت. ومنها: وضع المصحف في المكتب أو السيارة بقصد دفع العين والشياطين. ومنها: وضع صورة العين الزرقاء في كفٍّ أو خَرَزَةٍ أو غيرهما مرتبطة بسلسلة، وتعليقها على الصدر أو السيارة، وقد توضع في حُليٍّ يلبسها بعض النساء أو تلبسها الصغيرات، يعتقدون أنها تدفع العين. ومنها:كتابة تعاويذ في قطع ذهبية أو فضية أو معدنية، تصنع بأشكال فنية صغيرة، ثم توضع في عقود، وتعلق على الرقبة، أو توضع في خواتم. ومنها: أسورة تُلبس في اليد أو العضد من نحاس أو حديد أو غيرهما بقصد الحفظ من العين أو الشياطين. ومنها: تعليق صورة كفٍّ، أو صورة نَعْلٍ صغيرة، أو حَذوة فرس على السيارة أو واجهة البيت أو الدُّكَّان، أو المحلِّ التجاري؛ بقصد الحفظ من العين والشياطين. ومنها: خَيْطٌ يُربط في اليد أو العضد أو الرِّجل؛ بقصد الحفظ من العين والشياطين.

لكن من الناس من يقول: إنما أُعلِّق هذه الأشياء للزينة، ولا أستحضر هذه المعاني المحظورة، وهذا يقوله طائفة قليلة من الناس.

فنقول: إن علَّق التمائم لدفع الضر، واعتقد أنها سبب لذلك فيكون (قد أشرك الشرك الأصغر)، وإن علَّقها للزينة (فهو محرم)؛ لأجل مشابهة من يشرك الشرك الأصغر، فدار الأمر-إذاً- على النهي عن التمائم كلِّها، سواء اعتقد فيها أو لم يعتقد[1].

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد: صالح آل الشيخ (ص١٣٤-١٣٥).

فالواجب علينا تجاه من نراه يحمل شيئاً من هذه التمائم-ولا سيما الكفلاء مع مكفوليهم، لانتشار هذه التمائم بين العمالة الوافدة- هو: النصح والتحذير بالرفق واللين والحكمة، وتوجيههم للتعلق بالله تعالى والتوكل عليه، وبيان أن هذه الأعمال لا تجوز، وأنها من التشبه بأعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها، ومن فعل المنكر الذي يجب النهي عنه. فعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان؛ كان كعدل رقبة».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٨].

عباد الله: تصيب المسلم في حياته أمراض مختلفة يكون بحاجة إلى التداوي منها، وقد أبدل الله أهل الإسلام الموحدين بدلاً عن التمائم والتعاويذ الشركية بدائل شرعية مناسبة لدفع البلاء قبل وقوعه، أو رفعه بعد وقوعه، وذلك بمشروعية الرقية والتعاويذ الشرعية؛ فالمشروع للمسلم التداوي بالأدوية المشروعة والمباحة، ويجب عليه تجنب التداوي بكل ما ينافي التوحيد أو كماله الواجب.

فالرقية: هي القراءة على المريض ونحوه، لرفع الضُّرِّ عنه. وتسمى العزائم والتعاويذ. وأكثر ما تطلق العُوذَةُ أو التعاويذ على: القراءة على الأطفال وغيرهم لحمايتهم من العين والحسد والشياطين والسحر وغيرها؛ فالرقية تكون بعد نزول البلاء، والعُوذَةُ قبله للحماية من الوقوع فيه.

والرقية قد تكون شرعية: وهي ما كان بالقرآن الكريم، وما أُثر عن النبي ﷺ من الأذكار، وبالأدعية الشرعية فهذه رقية جائزة.

ويشترط لجوازها أن تكون بكلام الله تعالى، أو بكلام رسوله ﷺ، أو بالأدعية الشرعية المشتملة على دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته. وأن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه. وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

وقد تكون الرقية شركية: وهي المشتملة على الشرك، مثل: دعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، والاستعاذة بغير الله، كالتي فيها استغاثة بالملائكة أو الأنبياء أو الجن أو الشياطين أو الأولياء فهذه لا تجوز وهي شرك أكبر، لما يراد بها من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

فالقرآن الكريم -عباد الله- شفاءٌ من الأمراض النفسية والعضوية، فيشرع للمسلم أن يستشفي بالقرآن الكريم مما يصيبه من الأمراض بأنواعها، مع عدم إهمال الاستشفاء بالأدوية المباحة النافعة؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧] وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

فيسن للمسلم أن يعوذ نفسه وأولاده وإن لم يكن هناك مرض، ومما يتعوذ به: قراءة المعوذات الثلاث (سور: الإخلاص، والفلق، والناس)، وبخاصة عند النوم. وقراءة آية

الكرسي، وبخاصة عند النوم. وقول:أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، عند نزول أي مكان. وتعويذ الأولاد بنين وبنات، بقول: أعيذكم بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة.

فلنتق الله تعالى–عباد الله–، ولنعلق قلوبنا بالله، ولنفوض أمورنا إليه، فهو النافع الضار ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٥–١٠٧].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٩)
باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والضر والنفع، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وعلقوا قلوبكم به، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن البركة من الله جل وعلا، وأن الله هو الذي يبارك، وأنه لا أحد من الخلق يبارك أحداً، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:٦٤]، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦]، ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ [الصافات:١١٣].

فالتبرك: طلب البركة ورجاؤها واعتقادها. وهي النماء والزيادة.

والتبرك نوعان؛ تبرك مشروع: وهو التماس البركة من شيءٍ دلَّ الشرع على جواز التبرك به كالتبرك بقراءة القرآن على المرضى للاستشفاء به. والتبرك بالمطر بالتعرض له. والتبرك بشرب ماء زمزم.

ولجواز هذا التبرك: أن يكون فيما ورد الشرع بأن فيه بركة، مثل ماء زمزم. وأن يكون التبرك فيه بالصفة الشرعية، كشرب ماء زمزم، والاستشفاء بشربه أو غسل البدن به.

والتبرك بالقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [ص:٢٩]، فالقرآن كتاب مبارك بلا ريب.

والتبرك المشروع به على صور منها: حفظه، وقراءته، والعمل به، والتداوي به بالرقية الشرعية، وقراءته على المصروع والممسوس، وقراءة بعض آياته عند النوم للحفظ كآية الكرسي والمعوذات، وغير ذلك مما ورد به الشرع المطهر.

وأما تعليقه للبركة على البيوت أو السيارات، أو وضعه في السيارات أو المكاتب لحفظها من العين، أو تعليقه تمائم للحفظ من العين فكل هذا لا يجوز، وهو من التبرك غير المشروع بالقرآن الكريم.

والنوع الثاني: تبرك ممنوع: وهو التماس البركة من شيء لم يأذن الشرع بالتبرك به، أو دلَّ على منعه، أو أَذِن بالتبرك به ولكن يُتبرك به على غير الصفة المشروعة كالتبرك بذوات الأولياء، والتمسح بهم. والتبرك بالأموات، أو بالأضرحة والقبور والمزارات.

ويدخل في التبرك الممنوع: التمسح بالأشجار والأحجار أو البقاع أو المغارات -كغار حراء وغار ثور- أو الزوايا أو القبور أو الأضرحة والمشاهد أو الآثار أو الأولياء والصالحين، والبيوت، والقباب، والحجر، حتى حجرة قبر النبي ﷺ، فلا يتمسح بها

تبركاً[١]، فقد يكون التمسح بدعياً: وهو التمسح الذي لا يصل إلى درجة الشرك ،وله صور منها: أن يكون التمسح من غير قصدٍ للبركة ولا غيرها، بل يفعله تقليداً، أو لظنه مشروعاً، أو محبةً مجردة، كما يفعله الجهَّال حين يتمسحون بموضع مقام إبراهيم عليه السلام، أو ببعض أبواب الحرم المكي، ونحو ذلك.

ومنها: التمسح بقصد طلب البركة من الموضع الذي يتمسح به؛ ظناً أن الله تعالى جعل فيه بركةً تُقصد، أو أن الشرع أمر بذلك لما فيه من البركة والخير.

وهذا النوع من التمسح بدعة محرمة، ووسيلة إلى الشرك، يجب تركه والنهي عنه، والتحذير منه.

والصورة الثانية أشد من الأولى – التي هي: التمسح بقصد طلب البركة–، لأنه جعل ما ليس بسبب للبركة سبباً لها؛ ولهذا اعتبره بعض العلماء من الشرك الأصغر.

والنوع الثاني من التمسح: التمسح الشركي؛ فالتمسح طلباً للبركة من المتمسَّحِ به، مع اعتقاد أنه يجلب البركة بنفسه، وأنه يشفي المرضى بذاته، وأنه يعطي الخير والبركة ويفيضها من ذاته إلى المتمَسِّحِ، أو أنه ينفع أو يضر، أو يرفع ويخفض.

وهذا النوع شرك أكبر، لما في ذلك من التعلق بغير الله تعالى في حصول البركة من غيره جل وعلا، وهذا نوع من صرف العبادة لغير الله تعالى، وهو من جنس ما كان يفعله أهل الجاهلية مع آلهتهم التي يعكفون عليها.

وإذا انضم إلى ذلك: الدعاء، أو طلب الغوث والمدد، أو الطواف به تعظيماً له، فقد اجتمع في ذلك أنواع من الشرك الأكبر.

---

(١) ابن عثيمين.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ [النجم:١٩-٢٠]، ففي هذه الآية الكريمة دليل على أن التبرك بالأشجار والأحجار وقبور الصالحين ونحوهم شرك أكبر؛ لأن ذلك من جنس فعل المشركين مع تلك الأوثان؛ حيث كانوا يعبدونها طلباً لبركتها؛ من نفع أو دفع ضر.

واللات: صخرة بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطائف، كانت العرب تعبدها في الجاهلية.-وقيل كان رجلاً يلتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره- فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

والعزى: شجرةُ سَمُرٍ، عليها بناء وأستار، في مكان بين مكة والطائف، كانت قريش تعظمها في الجاهلية. فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى نخلة-وكانت بها العزى، وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها-.

ومناة: شجرة بين مكة والمدينة، كان أهل المدينة يعظمونها في الجاهلية. فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها عام الفتح[1].

فعبادة المشركين للعزى والصخرة ومناة: إنما كان بالتفات القلوب رغبة إليها، في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو ضر، ومن ذلك: التبرك بها، فصارت أوثاناً تعبد من دون الله، وذلك من شدة ضلال أهل الشرك وفساد عقولهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٥]، فصار عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين، وقد جرى

(١) فتح المجيد.

ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمة[(١)]. وقد يبتلي الله المرء فيحصل له ما يريد من اندفاع ضر أو جلب نفع بهذا الشرك؛ ابتلاءً من الله وامتحانا، حتى يعلم سبحانه من يعلق قلبه به، ممن يعلقه بغيره من المخلوقين[(٢)].

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ -لموسى-: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[(٣)].

ففي هذا الحديث: دليل على أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك أكبر، لتسويته ﷺ بين مقالتهم ومقالة بني إسرائيل التي طلبوا فيها من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعل لهم إلهاً مع الله تعالى يعبدونه ويتقربون إليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) قرة عيون الموحدين (ص٢٢٩-٢٣٠).

(٢) ابن عثيمين (٢٥٧/١).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢١) وقَالَ: هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ- وأحمد، والطبراني في المعجم الكبير -وهذا لفظه-.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

عباد الله: قد دلت السنة على مشروعية استلام حجرين فقط- والاستلام هو المسح-، هما: الحجر الأسود: وهو الركن الأول من أركان الكعبة المشرفة، فيسنُّ استلامه باليد اليمنى وتقبيله إن تيسر، ولكن لا يُشرع مسح الوجه أو البدن به لعدم ما يدلُّ على مشروعية ذلك. وكذلك الركن اليماني: وهو الركن الرابع والأخير من أركان الكعبة المشرفة، فالسنة استلامه باليد اليمنى فقط، ولا يسنُّ تقبيله، ولا مسح الوجه أو البدن به لعدم ما يدلُّ على مشروعية ذلك.

والحجر يستلم اتباعاً لسنة النبي ﷺ لا طلباً للبركة، ولهذا لا يجوز مسح البدن بعد استلامه، فضلاً عن مسح الأولاد أو الملابس أو غيرها، فكل هذا بدعة لا أصل لها، ولهذا لما قبَّل عمر رضي الله عنه الحجر الأسود بيَّن للناس أنه لا ينفع ولا يضرُّ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»(١).

وفي قول عمر رضي الله عنه بيان لأمرين: أنه إنما نفعل ذلك اتباعاً للسنة لا لشيء آخر، ولذلك

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٢٧٠).

لا نزيد على ما فعله النبي ﷺ، لأن هذا تعبد محض. والأمر الثاني: سدُّ الذريعة التي يمكن أن يتعلق به ضعفاء الإيمان وأهل الجهل، فتوصلهم إلى الشرك بعبادة الأحجار ونحوها.

وقوله ﷺ: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، أي: لتفعلن مثل فعلهم، ولتقولن مثل قولهم، وهذه الجملة لا يراد بها الإقرار، وإنما يراد بها التحذير[(١)]. فأخبَرَ ﷺ بما يكونُ عليه حالُ أُمَّتِه في فترةٍ مِنَ الفتراتِ، وهي مُتابعةُ أهلِ الأهواءِ والبِدعِ مِنَ اليهودِ والنَّصارى الَّذين بدَّلوا دِينَهم، فقال ﷺ: «لِتتَّبِعُنَّ سَننَ مَن قبلَكم شِبرًا بِشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ حتَّى لو سلَكوا جُحرَ ضبٍّ لَسلكتُموه»، والسَّننُ: هي الطَّريقةُ والأفعالُ، والمعنى: أنَّكم تَتَّبعون َطريقةَ النَّصارى واليهودِ في أفعالِهم وحياتِهم متابعةً دقيقةً شديدةً، تَاركينَ سُنَّتَه ﷺ حتَّى لو دخلُوا جُحرَ ضبٍّ لدَخلْتُموه وراءَهم، والضَّبُّ حيوانٌ جُحرُه شديدُ الظُّلْمةِ نَتِنُ الرِّيحِ.

وفي هذا الحديثِ مُعجزةٌ لِرسولِ الله ﷺ، فنحن نُشاهدُ تَقليدَ أجيالِ الأمَّةِ لأممِ الكُفرِ في الأرضِ فيما هي عليه مِن أخلاقٍ ذَميمةٍ، وعاداتٍ فاسدةٍ، تفوحُ منها رائحةُ النَّتنِ وَتمَرُّغَ أنْفِ الإنسانيةِ في مَستنقعٍ مِن وَحلِ الرَّذيلةِ والإثمِ، وتُنذرُ بشرٍّ مُستطيرٍ[(٢)].

فهذا الشاب يقص شعره قزعاً أو يلبس قلادة أو يلبس لباس المشاهير يحاكي ذلك الكافر من اللاعبين أو الفنانين. وتلك المرأة تقص شعرها، أو تتمايل في مشيتها، أو تشقر حواجبها، أو تحفه أو تزيله وكل ذلك محاكاة لتلك السافرة من الممثلات أو المغنيات من الكافرات والعياذ بالله.

---

(١) ابن عثيمين (١/٢٦٠).

(٢) موقع الدرر السنية.

فلنتق الله تعالى–عباد الله–، ولنعلق قلوبنا بالله، ولنفوض أمورنا إليه، فهو النافع الضار، ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس:١٠٥] ولا نقدِّم على سنته أحداً من الخلق كائناً من كان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (١٠)

باب ما جاء في الذبح لغير الله

الخطبة الأولى:

الحمدلله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذلِّ، وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو، ولا خالق غيرُه ولا ربَّ سواه، المستحقُّ لجميع أنواع العبادة، ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وعلقوا قلوبكم به، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١].

عباد الله: كان بعض العرب في الجاهلية إذا بنى بيتاً جديداً، أو أراد السكن في بيت جديد، أو حفر بئراً، وخاف من أذى الجنِّ، ذبح ذبيحة لإرضاء الجنِّ حتى لا يؤذونه ويسمونها ذبائح الجنِّ.

والذبح –عباد الله– عبادة وقربة، ولهذا يجب صرفها لله تعالى، وعدم إشراك أحد معه في ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

قال ابن كثير: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير

اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، أي أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم والإخلاص لله تعالى؛ قال مجاهد في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ النسك الذبح في الحج والعمرة(١).

فالله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك، كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات، فإن الله تعالى أمرهم أن يخلصوا جميع أنواع العبادة له دون كل من سواه، فإذا تقربوا إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة فقد جعلوا لله شريكاً في عبادته، وهو ظاهر في قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ نفى أن يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات(٢).

وقال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك، الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عِدَتِه، عكس حال أهل الكِبْرِ والنُّفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾(٣).

وعن علي ﷺ قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ،

---

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير.

(٢) فتح المجيد (ص١١١).

(٣) فتح المجيد (ص١١٢).

وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»[(١)].

وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله؛ ومن الخلق: السبُّ والدعاء. وقوله: «مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»، قال شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣] ظاهره أن ما ذُبح لغير الله مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواءٌ لفظ به أم لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أنَّ ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: بسم الله؛ فإذا حرَّم ما قيل فيه: باسم المسيح والزُّهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزُّهرة أو قصد به ذلك أولى. فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله، فعلى هذا لو ذبح لغير الله متقرباً إليه ، يحرم، وإن قال فيه: بسم الله، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال. ا.هـ -ومن ذلك الذبح للجن-[(٢)].

وقوله: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ»، يعني أباه وأمه وإن عَلَيا؛ كما ورد عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّه»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) قرة عيون الموحدين (٢٣٩-٢٤٠).

(٣) رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) واللفظ له.

وقوله: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»، أي: من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتصَّ منه. أو هو الأمر المبتدع نفسه، فإنه إذا ارتضى بالبدعة وأقرَّ فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه.

قال ابن القيم: هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه،فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم[(١)].

وقوله: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»، قال ابن عثيمين: (منارات الأرض): علاماتها ومراسيمها التي تحدد بين الجيران، فمن غيرها ظلماً؛ فهو ملعون، وما أكثر الذين يغيرون منار الأرض، لا سيما إذا زادت قيمتها، وما علموا أن الرسول ﷺ يقول: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[(٢)]، فالأمر عظيم، مع أن هذا الذي يقتطع من الأرض، ويغير المنار، ويأخذ ما لا يستحق، لا يدري: قد يستفيد منها في دنياه، وقد يموت قبل ذلك، وقد يُسلَّط عليه آفة تأخذ ما أخذ[(٣)].

والحديث فيه:جواز لعن أهل المعاصي على سبيل العموم،كما قال تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨]، ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١]؛ وقول النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» ولم يعيِّن؛ «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»، «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ، فَتُقْطَعُ يَدُهُ»[(٤)]، «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا»[(٥)].

---

(١) قرة عيون الموحدين (٢٣٩-٢٤٠-٢٤١).
(٢) رواه مسلم (١٦١٠).
(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٨٧/١).
(٤) رواه مسلم (١٦٨٧).
(٥) مسند أحمد، ومسلم (١٥٩٧).

أما لعن المعيَّن منهم -فإذا عرفت أحداً يشرب الخمر- فلا يجوز أن تقول لعنة الله عليه، لأنك لا تدري ماذا يختم له، ولا تدري ما عاقبته، فلا ينبغي لعنه، وقد جيء إلى النبي ﷺ برجل يشرب الخمر وقد تعدد المجيء به إليه، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ، مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»[١]، وهذا يدل على أن لعن الشخص بعينه لا ينبغي؛ لأنه ربما تاب ورجع؛ بل ادع الله له بالهداية[٢].

وليعلم أن الذبح لغير الله شرك، سواء كبر المذبوح كالإبل أم صغر كالذباب، لأن المقصود من ذلك صرف العبادة لغير الله -والعياذ بالله-.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) شرح كتاب التوحيد: عبدالله بن حميد (ص١٩٢-١٩٣).

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: والذبح أقسام ثلاثة أولها: الذبائح المشروعة: وهي التي تذبح تقرباً إلى الله تعالى، وتذبح على اسمه جلَّ وعلا. كالأضحية، وهي: التي تذبح أيام عيد الأضحى. والهدي، وهو: الذي يذبح في الحج أو العمرة، أو يرسل به إلى مكة ولو من غير الحاج والمعتمر. والعقيقة، وهي: التي تذبح عن المولود. والفدية، وهي: التي تذبح بسبب فعل محظور في الحج أو العمرة. والدم، وهو: الذي يراق بسبب ترك واجب في الحج أو العمرة. والمنذورة، وهي: التي تنذر تقرباً إلى الله تعالى في أي وقت.

وثانيها: الذبائح المباحة: وهي التي تذبح على اسم الله تعالى ولا يقصد بها التقرب إلى الله أو غيره، وإنما يقصد بها الأكل كالتي تذبح للأهل، أو للضيف.

وثالثها: الذبائح الشركية: وهي التي تذبح لغير الله تعالى، أو تذبح على غير اسمه. التي منها: الذبح على غير اسم الله كالمسيح، أو فلان من الناس. والذبح لقبر نبي أو ولي. والذبح للأشجار أو الأحجار كما يفعله الذين يعظمون الأوثان والأضرحة. والذبح للجن أو الشياطين، إما طلباً للشفاء كما يفعله بعض المرضى أو يطلبه بعض السحرة، وكما يفعله بعض الجهال عندما يسكن بيتاً جديداً يذبح على عتبته للشياطين حتى لا يؤذونه. والذبح على طريق سلطان أو كبير تعظيماً له أما الذبح للضيافة فهذا شيء آخر، الأصل فيه المشروعية.

وهذه الذبائح محرمة، ولا يجوز الأكل منها، وذبحها شرك أكبر: لأن الذبح عبادة يجب إخلاصها لله تعالى، وأن من صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك به. ولحديث: «لَعَنَ اللهُّ

مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: عن الذبح عند اكتمال البناء أو انتصافه فقال: (إن كان المقصود من الذبيحة اتقاء الجنِّ أو مقصداً آخر يقصد به صاحب البيت أن هذا الذبح يحصل به كذا وكذا كسلامته وسلامة ساكنيه فهذا لا يجوز، فهو من البدع. وإن كان للجنِّ فهو شرك أكبر؛ لأنها عبادة لغير الله؛ أما إن كان من باب الشكر على ما أنعم الله به عليه من الوصول إلى السقف، أو عند اكتمال البيت فيجمع أقاربه وجيرانه ويدعوهم لهذه الوليمة فهذه لا بأس بها، وهذا يفعله كثير من الناس من باب الشكر لنعم الله، حيث منَّ عليهم بتعمير البيت والسكن فيه بدلاً من الاستئجار، ومثل ذلك ما يفعله بعض الناس عند القدوم من السفر يدعو أقاربه وجيرانه شكراً لله على السلامة ، كما في حديث جابر رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة نحر جزوراً أو بقرة»[(١)] ا.هـ

وقد يصاب شخص بمرض عضال، ويراجع المستشفيات ويتأخر علاجه، فيذهب إلى رجل يدعي التطبب-من المشعوذين الدجالين والسحرة-، فعندما يؤتى إليه بالمريض يقول: "اذبح تيساً أسود"، أو "خروفاً أدهم"، أو "ديكاً" وما أشبه ذلك، وألا يذكر اسم الله عليه. فإذا ذبحها ولم يذكر اسم الله عليها فقد وقع في الشرك والعياذ بالله.

وقد علمنا رسول الله ﷺ كيفية الحفظ من الجن والشياطين فعند نزول المنزل يقول ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[(٢)].

---

(١) البخاري (٣٠٨٩). فتاوى ابن باز (٥/٣٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٨).

وكذلك قراءة سورة البقرة في المنزل، كما ورد أنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[(١)]، وقال: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»-يعني السحرة-[(٢)] .

والمريض يصبر على ما أصابه، ولا يذهب للسحرة، وإنما يرقي نفسه أو يرقيه أحد بالرقية الشرعية ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

فلنتق الله تعالى-عباد الله-، ولنعلق قلوبنا بالله، فهو النافع الضار، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) رواه مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه مسلم (٨٠٤).

كتاب التوحيد (١١)

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

الخطبة الأولى:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا شريك له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وملكوته وجبروته، وعظمته وكبريائه وجلاله، لا ضدَّ له ولا ندَّ ولا شبيه، ولا كفؤَ ولا عديل؛ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج:٦]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، واستجيبوا لأمره، ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللهَّ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهَّ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

عباد الله: الشرك بالله تعالى هو أعظم الذنوب على الإطلاق، ولذلك حرصت الشريعة على سدِّ كل طريق يوصل إليه، ومن ذلك الذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله، حيث جاءت الأدلة الشرعية بالمنع منه.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَّ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهَّ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهَّ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٧-١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾[التوبة:١٠٨] قال المفسرون: إن الله تعالى نهى رسوله عن الصلاة في مسجد الضرار، والأمة تبع له في ذلك، ثم إنه تعالى حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني على التقوى، وهي طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وجمعاً لكلمة المؤمنين، ومعقلاً ومنزلاً للإسلام وأهله.

وقوله: ﴿ أَبَدًا ﴾ يدل على أن هذا الحكم مستمر في هذه البقعة أبداً، وأخذ من هذا: أن المعصية تؤثر في الأماكن كما أن الطاعة تؤثر في الأماكن، ومن ذلك كون المساجد أحب بقاع الأرض إلى الله لتأثير الطاعة فيه. ومنه كون البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ينفر منه الشيطان، ولا يدخله أبداً[١]، وما أشبه ذلك كثير، هذا من تأثير الطاعة في المكان.

ويستدل بهذه الآية وقصة مسجد الضرار على أن الأماكن تكتسب الآثار السيئة بالمعاصي فتكون مبغضة إلى الله، وتكون محل معصية، ويكون الجلوس والسكون فيها ممنوعاً؛ ولهذا السبب كان الرسول ﷺ إذا مر بوادي محسر أسرع وأمر بالسرعة؛ لأن وادي محسر -الذي بين مزدلفة ومنى- هو المكان الذي أنزل الله جل وعلا فيه العذاب على أصحاب الفيل. وكذلك لما ذهب إلى تبوك ومر بديار ثمود نهى أصحابه أن يستقوا من الماء، ونهاهم أن يدخلوا تلك المساكن، وقال: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»[٢]. وهكذا مسجد الضرار يأخذ هذا الحكم، فيكون النهي مؤبداً؛ ولهذا قال: ﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾؛ لأنه اكتسب الأثر السيئ من معصية أولئك - ويلحق بذلك معابد

---

(١) مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٢) مسلم (٢٩٨٠).

المبتدعة كالرافضة والصوفية، من حوانيتهم وخاناتهم وحسينياتهم، فلا شك أنها أقيمت على غير التقوى-. وكذلك محل الطواغيت والأصنام ونحوها.

وقد جاء في فضل مسجد قباء أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ»[(١)]، وفي صحيح مسلم: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَزُورُ قُبَاءً رَاكِبًا وَمَاشِيًا»[(٢)]. وقد صرح أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء جماعة من السلف. ويؤيده قوله: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ [التوبة:١٠٨].

وقيل: هو مسجد رسول الله ﷺ، لحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»[(٣)].

قال ابن كثير: وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية والحديث؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى، وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة:١٠٧].

فلهذه الأمور نهى الله نبيه عن القيام في مسجد الضرار للصلاة، وكان الذين بنوه جاءوا إلى النبي ﷺ قبل خروجه إلى غزوة تبوك فسألوه أن يصلي فيه، وأنهم إنما بنوه

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٤) وصححه الألباني.

(٢) مسلم (١٣٩٩).

(٣) الترمذي (٣٠٩٩) النسائي(٦٩٧) وصححه الألباني- وأصله عند مسلم (١٣٩٨).

للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال: (إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله) فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه، نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه فهدمه قبل قدومه إلى المدينة[(١)].

وهذا يدلُّ على أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن هذا المسجد لما أعد لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاة فيه لله.

وقوله: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ [التوبة:١٠٨]، فيه ثناء على أهل قباء، فعَنْ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمُ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَّهَّرُونَ بِهِ؟» قَالُوا: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنَ الْيَهُودِ،فَكَانُوا يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ فَغَسَلْنَا كَمَا غَسَلُوا»[(٢)]، وفي رواية قال: «فَهُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمُوهُ»[(٣)].

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨] قال أبو العالية: إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المتطهرون من الذنوب.

وفي هذه الآية: إثبات صفة المحبة لله جل وعلا.

وعن ثَابِت بْنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) مسند أحمد (١٥٤٨٥) حسن لغيره.

(٣) ابن ماجه (٣٥٥) وصححه الألباني.

مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»[(١)].

قوله:"بِبُوَانَةَ": قيل: موضع في أسفل مكة دون يلملم؛ وقيل: هضبة من وراء ينبع؛ أي: مكان يسمى بوانة.

قوله: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤].

---

(١) رواه أبو داود (٣٣١٣) وصححه الألباني.

عباد الله: قوله في الحديث: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟».

قال شيخ الإسلام: "العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، إما بعود السنة أو الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية.

فالعيد يجمع أموراً منها: يوم عائد، كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها: اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقا، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيدا..

فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «إِنَّ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ»[(١)].

والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس: «شَهِدْتُ العِيدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[(٢)]. والمكان كقول النبي ﷺ: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»[(٣)]. وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب، كقول النبي ﷺ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا»[(٤)]. انتهى

والأعياد في هذه الأزمان -أعياد الجاهلية- كثيرة جداً، أصبح لكل مناسبة عيداً، وسواء سموه عيد الشجرة أو عيد المعلم، أو غير ذلك، وهي التي يسميها الناس اليوم الموالد والذكرانات التي ملأت البلاد الإسلامية، وهي نوع من العبادة لهم وتعظيمهم، ومثله يوم عاشوراء: يتخذه النواصب يوم عيد والشيعة يوم مأتم، فهذه كلها أعياد

---

(١) ابن ماجه (١٠٩٨) وحسنه الألباني.

(٢) البخاري (٩٦٢).

(٣) أبو داود (٢٠٤٢) وصححه الألباني.

(٤) البخاري (٣٩٣١).

جاهلية؛ لأن الإسلام ليس فيه إلا عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى، ولهذا قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللهَّ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ»[١] فالمسلمون ليس لهم إلا هذين العيدين.

والذي يشارك في الأعياد الأخرى هو يشارك في أفعال الجاهلية مخالفاً أمر الرسول ﷺ؛ فيكون بذلك آثماً.

لا بأس بكون الناس يهتمون بأمر الزراعة أو يهتمون بأمر الصحة، أو يهتمون بأمور دينهم ودنياهم، ولكن لا يجعل يوماً معيناً يسمى عيداً، وإنما هذا الشيء النافع يكون الاهتمام به مطلقاً؛ لأن الشيء الذي يهم المسلمين في أمر دينهم أو دنياهم أمر مطلوب منهم شرعاً، ولا يكون مخصصاً في وقت من الأوقات؛ لأن تخصيصه في وقت من الأوقات أو يوم من الأيام اتباع لأعداء الإسلام، فيكون فيه مشابهة، فيكون ممنوعاً من هذا الباب ومن هذه الناحية، فهو ممنوع من باب المشابهة، أي: مشابهة الكفار.

والحكمة -عباد الله- من تحريم الذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله: ما فيه من تعظيم مواضع الشرك وإحيائها.

ومنها: ما فيه من تقوية المشركين على شركهم، وفرحهم إذا رأوا من يفعل ذلك.

ومنها: سدُّ الذريعة إلى الشرك بالله تعالى؛ لأن الذبح في هذا المكان وسيلة للذبح فيه لغير الله تعالى.

(١) أبو داود (١١٣٤) وصححه الألباني.

ومنها: ما فيه من التلبيس على الناس حيث يظنـون أن هذا الـذي يـذبح لله تعـالى في هذا المكان إنما يذبح لغير الله تعالى، فيكون ذريعة إلى الشـــرك مـن هـذا الوجــه، حيـث يؤدي إلى الاقتداء به في الذبح مع اختـلاف القصد.

ومنها: ما فيـه من مشاركة المشركين في مواضع عباداتهم الباطلة، وتكثير سوادهم.

ومنها: ما فيه من التشبه بالمشـــركين، وهو منهي عنه بذاته.

قال السعدي: فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربا إليها وشركا بالله قد صار مشعرا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحـة ولـو قصـدها لله، فقـد تشـبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظـاهرة تـدعوا إلى الموافقـة الباطنـة والميـل إليهم.

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفـار في شـعارهم وأعيـادهم وهيئـاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعادا للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم، حتى إنه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفا من التشبه المحذور[(١)].

فالحذر-عباد الله- من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

يعني: لو لم يقصد المشابهة ولو في الصورة فإنه ممنوع للمسلم أن يكون مشابهاً للكافر ولو في مجرد صورة العمل والفعل من غير أن يقصد موافقتهم في ذلك؛ لأن قولـه: «مَـنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[(٢)] عام؛ ولأن نهي الرسول ﷺ عن التشبه بالكفار مطلق، حتى جاء

---

(١) القول السديد (السعدي) ص٦١.

(٢) أبو داود (٤٠٣١)، وقال الألباني:حسن صحيح.

النهي في العبادة، لما قيل له ﷺ: إن اليهود يصومون يوم عاشوراء، قال: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ، لَأَصُومَنَّ التَّاسِع»[1] يعني: مخالفة لهم، ومخالفتهم مطلوبة.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) رواه مسلم (١١٣٤).

كتاب التوحيد (١٢)

باب من الشرك النذر لغير الله تعالى

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلقنا لعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، واعبدوه ولا تشركوا به شيئا، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١].

عباد الله: العبادات التي أمر الله بها كثيرة؛ والنذر نوع من أنواع العبادة، لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، فمن نذر لغير الله تعالى من قبر أو مَلَكٍ أو نبيٍّ أو وليٍّ؛ فقد أشرك بالله الشرك الأكبر المخرج من الملة؛ لأنه بذلك قد عبد غير الله[١].

قال الله تعالى مادحاً عباده الموفين بالنذر: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الإنسان:٧] فدلت على وجوب الوفاء بالنذر ومدح من فعل ذلك طاعة لله ووفاءً بما تقرب به إليه.

(١) الملخص الفقهي: الفوزان (٢/٤٨٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [البقرة: ٢٧٠].
قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين ابتغاء وجهه. اهـ.

إذا علمت ذلك، فهذه النذور الواقعة من عباد القبور، تقربا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم وليشفعوا لهم،كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب. كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[الأنعام:١٣٦].

قال شيخ الإسلام ﷺ: وأما ما نذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك، فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات. والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوقات. فإن كلاهما شرك. والشرك ليس له حرمة، بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[١].

وقال فيمن نذر للقبور أو نحوها دهنا لتُنوَّر به ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله بعض الضالين. وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة. فإن فيهم شبها من السدنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله. والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾[الأنبياء:٥٢]؟ والذين اجتاز بهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، قال

(١) رواه البخاري (٦٦٥٠) ومسلم (١٦٤٧).

تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ [الأعراف:١٣٨]. فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية.

وذلك لأن الناذر لله وحده علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركا بالله لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، فقد جعله شريكا لله في العبادة، فيكون قد أثبت ما نفته (لا إله إلا الله) من إلهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص[١].

وقال الرافعي: وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين ، فإن قصد الناذر بذلك - وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة - تعظيم البقعة والمشهد، أو الزاوية، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه، أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد؛ فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يدفع بها البلاء. ويستجلب بها النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم: إنه استند إليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت، ويقولون: إنها تقبل النذر.

والنذر الصحيح ستة أنواع-عباد الله-:

أولها: نذر الطاعة: وهو نذر فعل طاعة؛ وهو إما مطلق كمن يقول: (نذر عليَّ أن

---

(١) قرة العيون.

أصوم كل خميس). أو معلق بشرط مثل أن يقول: (إن شفى الله مريضي فلله عليَّ أن أذبح بعيراً وأوزعه على الفقراء)؛ فهذا النذر يجب الوفاء به، لقوله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج:٢٩].

وثانيها: نذر المعصية: وهو نذر فعل محرم؛ مثل:(نذر الذبح للقبر الفلاني)؛ فهذا النذر يحرم الوفاء به. كما قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَّ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ»[1].

والثالث: نذر المباح: وهو أن ينذر فعل شيء مباح؛ فيقول: (نذر عليَّ أن آكل لحماً)؛ فهذا يخير الناذر بين فعل ما قاله، أو يكفر كفارة يمين إن لم يفعله.

والرابع: نذر المكروه: وهو أن ينذر فعل شيء مكروه، أو ترك شيء مستحب؛ مثل أن يقول: (نذر عليَّ أن أطلق زوجتي، أو يقول: نذر عليَّ أن لا أصلي السنة الراتبة)؛ فهذا يستحب له مخالفة النذر، ويكفر كفارة يمين.

والخامس: نذر اللَّجاج والغضب: وهو تعليق النذر على أمر بقصد الحث على الفعل أو الامتناع عنه، أو التصديق أو التكذيب؛ مثل أن يقول: (إن كلمتك صمتُ شهراً، أو إن جئتك فعليَّ صدقة بألف) فهذا يخير الناذر بين فعل ما قاله، أو يكفر كفارة يمين إن لم يفعله.

والسادس: النذر المطلق: وهو ما لم يسمَّ المنذور فيه؛ مثل أن يقول: (لله عليَّ نذر) ولم يسمه؛ فهذا يجب عليه كفارة يمين.

---

(١) رواه البخاري (٦٦٩٦).

وهذه الكفارة قد بينها الله تعالى بقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة:٨٩].

فكفارة اليمين اختيار فعل واحد من ثلاثة أمور: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة؛ ومن لم يجد شيئاً مما سبق فإنه يصوم ثلاثة أيام.

وكثير من الناس يبدأ بالصيام أولاً وهو يستطيع أن يطعم، فهذا لا يجزئه الصيام وهو يستطيع الإطعام.

والذي يظهر -والله أعلم- أن النهي ورد في نذر المجازاة، وهو النذر المعلق بشرط؛ وذلك لأنه لم يقع طاعة خالصة؛ وأنه لا يأتي بخير، وذلك إذا رتب عليه حصول شيء، فإنه قد يوقع الإنسان في حرج، كأن ينذر ثم لا يستطيع أن يفي بنذره، فيبقى آثماً في ذلك، قد ينذر مثلاً أن ينفق كذا وكذا، أو يصوم كذا وكذا، أو ينحر كذا وكذا، ثم إذا حصل له ما علق النذر عليه يتساهل بذلك ولا يفعله، فيكون آثماً، هذا هو معنى النهي عن نذر الجزاء.

كما ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»(١)، وفي رواية: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»(٢) فهو لا يقدم حياة أحد ولا يؤخر موته، فإنه إنما يستخرج به من البخيل. وأما النذر المطلق فهو الذي ورد فيه

(١) رواه البخاري (٦٦٠٨) ومسلم (١٦٣٩).

(٢) مسلم (١٦٣٩).

الترغيب والثناء على الموفين به[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

عباد الله: النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة، فيأتي إلى بعض من يظنهم أولياء أو صالحين من الأموات، فيطلب منهم ويقول: يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي فلك كذا من الذهب أو المال ونحوه. فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه، منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك. ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر؛ وإذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليها فحرام بإجماع المسلمين.

---

(١) حصول المأمول في شرح ثلاثة الأصول: الفوزان (ص١١١).

وقد ابتلي الناس بهذا في بعض البلاد المنتسبة للإسلام-لا سيما في مولد السيد البدوي أو الدسوقي، والجيلاني، وغيرها-.

فيؤتى عنده من أنواع الشرك الأكبر، وتقدم له النذور ويجعل له الفلاحون النصف والربع في أنعامهم وزروعهم، بل وأولادهم، ويقام له كل عام ثلاثة موالد، يشد الرحال إليها الناس من كل مكان؛ بل بعض الأضرحة مخصص لحل المشاكل النفسية، وبعضها مخصص للمرأة التي لم تحمل، وبعضها مخصص لجلب الولد، وهكذا اغترَّ بهم جهال المسلمين ولعب الشيطان بعقولهم بسبب انتشار الجهل وقلة العلم النافع.

وربما ابتلي الإنسان بشياطين تتسلط عليه وتثبت هذا الشرك في قلبه كما هو معروف، وكثيراً ما تحدث الأحوال الشيطانية عند القبور، فإنها تكون حاضرة تدعو إلى هذا وتزينه.

وربما يدعو الإنسان بدعاء فيبتلى فيستجاب، فيظن أن الميت هو الذي أجابه إلى ذلك؛ لأن الله جعل له عهداً؛ أنه إذا سأل شيئاً أعطيه، هكذا يقولون.

ثم ينزلون بهم حاجاتهم وفقرهم، ويسألونهم الرزق والأولاد إذا لم يكن لهم أولاد، ويسألونهم كذلك الشفاعة في الآخرة، وكل هذا ضلال.

فالله أمر ألا يكون النذر إلا له، وكثير ممن طغى عليهم الشرك وافتتنوا بعبادة القبور جعلوا ينذرون ويذبحون لها مريدين التقرب بذلك إليها، وما أكثر هذا في البلاد المنتسبة للإسلام[١].

فمثل هذه الشبه لا تنطلي على المسلم، فإنها شبه شركية قديمة، جاء القرآن بإبطالها، والرسل أبطلتها وبينت بطلانها، والعقل كذلك يدل على بطلانها.

---

(١) شرح كتاب التوحيد (لابن حميد).

ومن عوفي من هذا الشرك فليحمد الله تعالى على الهداية، وأن يعلق قلبه بالله سبحانه ولا يتعلق بالمخلوقين. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[البقرة:١٨٦].

فهؤلاء العباد قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢] حفظوا الله فحفظهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكثوا أيمانهم، تعرفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، صدقوا رسله وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره وانكفوا عما نهى عنه، ثم تجردوا لنصرة دينه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ودخل الناس بذلك في دين الله أفواجا طوعا وكرها، وقادوهم إلى الجنة بالسلاسل.

نصروا الله فنصرهم وشكروه فشكرهم وذكروه فذكرهم. عرفوا ما خلقوا له فأقبلوا عليه ورأوا ما سواه مما لا يعنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقى على ما يفنى وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصة الله من خلقه والمصطفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبه الغالبون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، إنه غفور شكور[١].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




---

(١) معارج القبول (٢/٥٤١).

كتاب التوحيد (١٣)

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بعبادته وطاعته، ونهانا عن معصيته، وأمرنا بالخضوع والتذلل له سبحانه، ووعد الطائعين بالفوز والفلاح، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، واعبدوه ولا تشركوا به شيئا، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١].

عباد الله: أمر الله تعالى عباده إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم؛ لئلا يلبس على القارئ قراءته، ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر، فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

ويشرع للمسلم أن يقول عندما يخرج من منزله، الدعاء الوارد ليحفظه الله من الشرور كلها؛ فيقول: «بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[١].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٤) والترمذي(٣٧٢٥) وصححه الألباني–قال الترمذي حديث حسن صحيح–.

فالاستعاذة -عباد الله-: الالتجاء والاعتصام والتحرز؛ ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذاً وملجأً. فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه واعتصم واستجار به والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة[(١)].

وقال ابن كثير: "الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. والعياذ يكون لدفع الشر. واللياذ لطلب الخير". ا.هـ

والاستعاذة من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾. فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك في العبادة، فمن صرف شيئا من هذه العبادات لغير الله جعله شريكا لله في عبادته، ونازع الرب في إلهيته، كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابداً لغير الله ولا فرق.

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ [الجن:٦].

قال ابن كثير: أي كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجانِّ أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخِفارته، فلما رأت الجنُّ أنَّ الإنس يعوذون بهم

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٠٣-٧٠٤).

من خوفهم منهم زادوهم رهقاً، أي خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم. ا.هـ.

فالجن أمة عظيمة، وهم مكلفون -كما كلف بنو آدم- بأن يعبدوا الله جل وعلا، وهم ذرية إبليس، ومنهم المؤمن، ومنهم الكافر، ومنهم المتمرد الشيطان، والله جل وعلا خاطبهم في القرآن، وأمر النبي ﷺ أن ينذرهم، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن:١].

وهم على الأرض يمشون مع الناس، ليسوا تحت طباق الأرض وليسوا فوقها، ولكنهم كما أخبر الله جل وعلا يروننا من حيث لا نراهم، ويسمعون كلامنا، ونحن لا نشاهدهم ولا نراهم، ولكن ينبغي بل يجب على الإنسان أن يتحرز من أعينهم، فلهذا يسن له إذا أراد أن يخلع ثوبه أن يسمي الله؛ لأن الستر الذي بينه وبينهم اسم الله جل وعلا، إذا سميت الله استترت منهم،وليس هناك شيء يسترهم من جدران أو غيرها ؛كما قال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[(١)].

فقد كان الرجل من العرب إذا أمسى بواد قفر وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد كبير الجن. وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨). الغنيمان.

فلا يجوز الاستعاذة بالجن، لأن الله ذم الكافرين على ذلك، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه إياه، واستعاذته به وخضوعه له.

ولنعلم -عباد الله- أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك؛ فقد يكون الشيء من الشرك، ولو حصل لك فيه منفعة. فالجن، قد يعيذونك، وهذا شرك مع أن فيه منفعة. وقد يسجد إنسان لملك، فيهبه أموالاً وقصوراً، وهذا شرك مع أن فيه منفعة[(١)].

فالاستعاذة المشروعة النافعة، هي ما كانت بالله أو بأسماء الله وصفاته؛ فعن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[(٢)].

قوله: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ» شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن.

قال القرطبي: قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل: معناه الشافية الكافية. وقيل: الكلمات هنا هي القرآن؛ فإن الله أخبر

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٣٢/١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٨).

عنه بأنه: ﴿هُدىً وَشِفَاءٌ﴾[فصلت:٤٤]. وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى.

ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى كان من باب المندوب إليه المرغب فيه، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله أو بأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه؛ ويحضر ذلك في قلبه؛ فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه.

قال شيخ الإسلام ﵀: "وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق. قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك".

قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، قال ابن القيم: أي من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره، إنسياً كان أو جنيا، أو هامةً أو دابة، أو ريحاً أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة.

والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله؛ فإن الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر.

قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» «لم يضره شيء»: تفيد العموم من شر كل ذي شر من الجن والإنس وغيرهم والظاهر والخفي حتى يرتحل من منزله، لأن هذا خبر لا يمكن أن يتخلف مخبره، لأنه كلام الصادق المصدوق، لكن إن تخلف، فهو لوجود مانع لا لقصور السبب أو تخلف الخبر.

ونظير ذلك كل ما أخبر به النبي ﷺ من الأسباب الشرعية إذا فعلت ولم يحصل المسبب، فليس ذلك لخلل في السبب، ولكن لوجود مانع، مثل: قراءة الفاتحة على المرضى

شفاء ويقرأها بعض الناس ولا يشفى المريض، وليس ذلك قصوراً في السبب، بل لوجود مانع بين السبب وأثره.

ومنه: التسمية عند الجماع، فإنها تمنع ضرر الشيطان للولد وقد توجد التسمية ويضر الشيطان الولد، لوجود مانع يمنع من حصول أثر هذا السبب، فعليك أن تفتش ما هو المانع حتى تزيله فيحصل لك أثر السبب.

قال القرطبي: وقد جربت ذلك، حتى إني نسيت ذات يوم، فدخلت منزلي ولم أقل ذلك، فلدغتني عقرب[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

---

(١) القول المفيد (٣٢٨/١).

عباد الله: الاستعاذة عبادة وقربة، ولهذا يجب صرفها لله تعالى وحده، وعدم إشراك أحد معه في ذلك. ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

والاستعاذة المشروعة النافعة، هي ما كانت بالله أو بأسماء الله وصفاته؛ ويشرع للمسلم أن يستعيذ بالله تعالى من كلِّ ما يخافه في الدنيا والآخرة، وقد كثر في القرآن الكريم والسنة النبوية الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من أشياءَ كثيرة جداً، فمن ذلك: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن. والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم على كل حال. وقراءة المعوذتين للاستعاذة بالله تعالى من جميع الشرور.

والاستعاذة بالله من الهم والحزن. والاستعاذة بالله من عذاب القبر وعذاب النار.

والاستعاذة بالله عند نزول أي مكان «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(١).

وأما الاستعاذة بغير الله فهي نوعان:

أولها: الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه؛ مثل: أن تقول للسلطان: أعذني من الرجل الفلاني فقد ظلمني؛ فهذه جائزة بشرط أن يكون المستعاذ به حياً حاضراً.

وثانيها: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالاستعاذة بالجن والشياطين كما كان يفعل المشركون في الجاهلية.

والاستعاذة بأصحاب الأضرحة والقبور من الأنبياء أو الصالحين أو الأولياء. فهذه شرك أكبر؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

ولأن الاستعاذة عبادة من العبادات؛ فصرفها لغير الله شرك أكبر.

ولأن في الاستعاذة تعظيماً للمستعاذ به، فمن استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد ساوى غير الله بالله في التعظيم، وتسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله شرك أكبر.

فلنتق الله -تعالى عباد الله-، ولنعلق قلوبنا بالله، ولنتعبد الله تعالى بأسمائه وصفاته، ولنصرف العبادة له، ولا نصرفها لغيره، ولنستعذ بالله ولا نستعيذ بغيره؛ فالمغفرة -بمشيئة الله- مقرونة بالتوحيد.

إذ كل ذنب موشك الغفران ... إلا اتخاذ الند للرحمن

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (١٤)

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعوَ غيره

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والضر والنفع، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[الأنعام:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، توجه إلى الله بالدعاء فأجابه، واستغاثه فأنجاه ونصره، أخشى الناس وأتقاهم لله، وأخوفهم من عذابه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وأفردوه بالدعاء، واستجيبوا لأمره، ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آَخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

يا أيّها الإنسان: بعد الجوع شبع، وبعد الظمأِ ريّ، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية، سوف يصل الغائب، ويهتدي الضالّ، ويفكّ العاني، وينقشع الظلام ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة:٥٢].

بشّر الليل بصبح صادق سوف يطارده على رؤوس الجبال ومسارب الأودية، بشّر المهموم بفرج مفاجئ يصل في سرعة الضوء ولمح البصر، بشّر المنكوب بلطف خفيّ وكفّ حانية وادعة.

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد، فاعلم أن وراءها رياضاً خضـراء وارفـة الظـلال. إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمن، ومع الفزع سكينة.

فلا تضق ذرعاً، فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، الأيـام دول، والدهر قُلّب، والليالي حبالى، والغيب مستور، والحكيم ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، و﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾[الطلاق:١]، ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْـرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥-٦][١].

فالدعاء -عباد الله-: هو لجوء العبد إلى ربه جلَّ وعلا بسؤاله مـا يريـد، مـن جلـب منفعة، أو دفع مضـرة.

والاستغاثة: هي نداء الله تعالى والتوجُّه إليه لإزالة الشدة والكرب.

والدعاء والاستغاثة من العبادات الظاهرة التي وقع فيها الشرك.

فالدعاء عبادة وقربة، ولهذا يجب صرفها لله تعالى، وعدم إشراك أحد معـه في ذلـك. قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّـذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبَـادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠].

وفي حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُـوَ الْعِبَـادَةُ»، ثُـمَّ قَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر:٦٠][٢].

---

(١) عائض بن عبدالله القرني.

(٢) رواه أحمد (١٨٤٣٢)، وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٦٦٨) وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الألباني.

وللدعاء مكانة عظيمة -عباد الله-: فالدعاء من أعظم العبادات وأجلها. والدعاء محبوب لله ﷻ، قال ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»[(١)]. وفي الدعاء إظهار لذلِّ العبودية لله تعالى، والافتقار إليه، ونفي الكبرياء عن عبادته.

فمن دعا غير الله تعالى من الأموات والغائبين فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأن الدعاء نوع من أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، فمن صرفها لغيره فقد أشرك الشرك الأكبر.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧]، فقد نهى الله نبيه ﷺ أن يدعوَ أحداً من المخلوقين العاجزين عن إيصال النفع ودفع الضر، مبيناً أن من فعل ذلك كان من الظالمين، وأعظم الظلم الشرك بالله تعالى؛ ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ ﴾ أي: دعوت أحداً من دون الله، ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ يعني: من المشركين.

وهذه الآية كقوله ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»[(٢)]، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»[(٣)].

(١) رواه أحمد (٨٧٤٨) وحسنه الألباني.
(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال حديث حسن صحيح؛ ط الرسالة العالمية.
(٣) رواه البخاري (٦٣٣٠).

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤]، فما دام هؤلاء الذين يدعوهم المشركون عباد مثلنا، ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراَ، ولا يملكون الاستجابة لمن دعاهم؛ فلماذا يُدعون من دون الله تعالى؟، ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهَّ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهَّ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

وأعظم الضلال -عباد الله- أن يدعو شخص أحداً غير الله تعالى؛ لأن هذا المدعو من دون الله تعالى لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملك ذلك لغيره، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهَّ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦]، ففي هذه الآية تحذير شديد من دعاء غير الله تعالى، وأنه لا أحد أضل ممن يدعو غير الله تعالى.

وقد وصف الله تعالى في هاتين الآيتين المدعوِّين من دونه -سواء كانوا من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو غيرهم- بأربع صفات هي: أنهم لا يستجيبون لدعاء الداعين أبداً. وأنهم غافلون عن دعاء الداعين. وأنهم يعادون الداعين لهم يوم القيامة. وأنهم يجحدون عبادتهم لهم وينكرونها.

وذكره تعالى لهذه الصفات تنبيه للجاهلين الغافلين بأن الذين تدعونهم من دون الله تعالى لا ينفعونكم في الدنيا ولا في الآخرة.

فالذي يأتي للبدوي أو للدسوقي، أو الجيلاني أو قبر من يظنه ولياً، أو يأتي لقبر النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء، فيقول: المدد المدد! أ: أغثني، لا يغني عنه شيئا؛ ولكن قد يبتلى فيأتيه المدد عند حصول هذا الشيء -بإرادة الله- لا بهذا الشيء، فهم لا يستجيبون لدعاء الداعين أبداً، لقوله تعالى: ﴿ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾. ومن

عوفي فليحمد الله تعالى.

ودعاء غير الله أكبر أنواع الشرك، وقد كانت هذه المسألةُ من أكبر المسائلِ التي جادل فيها الأنبياء عليهم السلام أقوامهم، ودعوهم لإخلاصها لله تعالى، وبينوا لهم أن صرفها لغير الله من أعظم الشرك.

ومن أعظم الحاجات -عباد الله- التي يسألها الناس الرزق، والواجب أن لا يُسأل الرزق إلا من الله تعالى، لأنه هو الذي يملكه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧]، أي: اطلبوا الرزق عنده وحده لا شريك له دون ما سواه، ﴿ وَاعْبُدُوهُ ﴾ أي: أخلصوا له العبادة كلها وحده لا شريك له، ومن ذلك: عبادة الدعاء بطلب الرزق فلا تكون إلا منه وحده لا شريك له.

قال الناظم:

وهو الذي يرى دبيبَ الذَّرِّ ... في الظلماتِ فوقَ صُمِّ الصَّخرِ
وسامعٌ للجهرِ والإخفاتِ ... بسمعهِ الواسعِ للأصواتِ
وعلمُهُ بما بدا وما خَفِي ... أحاطَ علماً بالجَلِيِّ والخَفِي
وهو الغنيُّ بذاتِهِ سبحانَهُ ... جلَّ ثناؤُهُ تعالى شأنُهُ
وكلُّ شيءٍ رزقُهُ عليهِ ... وكلُّنا مفتقرٌ إليهِ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥].

عباد الله: من كان في سفينة فكادت السفينة أن تغرق في البحر، فمن يلتجيء؟ ومن كان في بلد فتزلزلت الأرض وأصبحت المنازل تتحرك أمام عينيه، فمن يلتجيء؟

لا شك أنه يلتجئ إلى الله ﷻ ويستغيث به، فإنه غياث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين.

فالاستغاثة عبادة وقربة، ولهذا يجب صرفها لله تعالى، وعدم إشراك أحد معه في ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:١٧]، فإذا كان لا يكشف الضر -من مرض أو فقر أو غيره- إلا الله وحده، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده لا شريك له؛ إذ كيف يدعو الإنسان من لا يستجيب له من المخلوقين؟

وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩]، ففي الآية بيان لحال المؤمنين في غزوة بدر، وأنهم لما أصابهم الكرب والشدة طلبوا من الله تعالى الغوث بالنصر على المشركين، فاستجاب الله لهم، وأمدَّهم بمدد من ملائكته الكرام عليهم السلام متتابعين يردف بعضهم بعضاً.

والاستغاثة بغير الله نوعان: أولها: الاستغاثة الجائزة؛ وهي الاستغاثة بالحي الحاضر القادر، في أمر يستطيعه.

مثل: استغاثة الصغير بوالديه، واستغاثة الضعيف بالقوي الحاضر ليدفع عنه الأذى، واستغاثة المظلوم بالسلطان.

قال الله تعالى في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[القصص:١٥]، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان حياً حاضراً قادراً، فلهذا جازت الاستغاثة به.

والنوع الثاني: الاستغاثة الشركية: وهي الاستغاثة بغير الله، في كشف الضرِّ أو تحويله في شيء لا يقدر عليه إلا الله، أو الاستغاثة بالميت مطلقاً، أو الاستغاثة بالحي الغائب.

والاستغاثة بغير الله شرك أكبر، لأن الاستغاثة عبادة، وصرفها لغير الله تعالى شرك أكبر؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء:٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل:٥٣]، ومعنى ﴿ تَجْأَرُونَ ﴾ : أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

وإذا وقع الإنسان في كرب وشدة فإنه لا ملجأ له إلا إلى الله ﷻ، فالواجب عليه التوجه له وحده لا شريك له أن يكشف كربته وما به من الضر، قال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل:٦٢]، أي: لا أحد يستطيع إجابة المضطر إلا الله، فإذا كان لا يجيب دعاء المضطر، ولا يكشف السوء عمن أصابه، إلا الله وحده لا شريك له، فإنه لا يصلح دعاء غيره–سواء كانوا من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو

غيرهم-، ولا طلب الحوائج ممن سواه.

وقد كان كثير من المشركين إذا وقعوا في كربة، وانقطعت عنهم الأسباب يرجعون إلى فِطرتهم،وينسون شركاءهم، ويلجؤون إلى الله وحده لا شريك له؛ لعلمهم أنه لا ينفع في وقت الشدائد إلا الله ﷻ، ولا يفرِّج الكربات سواه، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. فإذا كان هذا حالهم وقت انقطاع الحِيَلِ والأسباب، فلماذا لا يكون حالهم دائماً؟

فلنتق الله تعالى-عباد الله-، ولنعلق قلوبنا بالله، ونخلص له الاستغاثة والدعاء، ونصرف العبادة له، ولا نصرفها لغيره، فالله وحده مجيب السائلين، وكاشف دعوة المضطرين ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

اللهم يا فارج الهمِّ، ويا كاشف الغمِّ، ويا منَفِّس الكرب، أغث قلوبنا بالإيمان واليقين، والتعلق بك يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (١٥) باب قول الله تعالى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والضر والنفع، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وعلِّقوا قلوبكم به، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: تدبير الكون وتصريف شؤونه كله بيد الله تعالى، فهو الذي يرفع ويخفض، وهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي بيده تسيير الأفلاك والأجرام السماوية قريبها وبعيدها صغيرها وكبيرها، والأرض كلها بما فيها ومن فيها؛ كل ذلك بيده سبحانه وتعالى، فهو مالك الملك، وما لأحد معه شيء من ذلك، جل في علاه، وهذا من مقتضى الإيمان بربوبيته تعالى.

وكل إلهٍ عُبد أو يُعبد من دون الله تعالى فعبادته باطلة؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا من اتصف بصفات الكمال المطلق، وانتفت عنه صفات النقص كلِّها، وهذا لا يكون إلا في إله واحد هو: (الله جل وعلا).

أما بقية الآلهة الباطلة التي عُبدت وتُعبد من دونه في قديم الدهر وحديثه فلا تمتلك شيئاً من هذه الصفات، ولا تنتفي عنها صفات النقص، بل كلُّ صفاتها ناقصة بوجه من الوجوه مهما ظهر لبعض الناس أنها كاملة.

ومن البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله؛ قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

قال المفسرون: في هذه الآية توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبيّن أنهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه؟ وهذا وصف كل مخلوق، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين.

وأشرف الخلق محمد ﷺ قد كان يستنصر ربه على المشركين ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»[١].

وهذا كقوله: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً ﴾ [الفرقان:٣].

وقوله: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٣٢) وصححه الألباني.

فكفى بهذه الآيات برهانا على بطلان دعوة غير الله كائنا من كان. فإن كان نبيا أو صالحا فقد شرفه الله تعالى بإخلاص العبادة له، والرضا به ربا ومعبودا، فكيف يجوز أن يجعل العابد معبودا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك كما قال تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٨٨].

ومن البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله؛ قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[فاطر:١٣-١٤].

يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو وهي (الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته) ، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته فكيف إذا عُدمت بالكلية؟ فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ -والقطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر-. كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل:٧٣]. وَقَالَ: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا ﴾؛ لأنهم ما بين ميت وغائب عنهم، مشتغل بما خلق له، مسخر بما أمر به كالملائكة، ثم قال: ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾؛ لأن ذلك ليس لهم؛ فإن الله تعالى لم يأذن لأحد من عباده في دعاء أحد منهم، لا استقلالا ولا واسطة.

﴿ وَيَـوْمَ الْقِيَـامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فتبين بهذا أن دعـوة غير الله شرك. والإنسان -مهما كان- لا يملك تدبير نفسه، فكيف يملك تدبير الكون الفسيح.

فالكيِّس يستقبل هذه الآيات التي هي الحجة والنور والبرهان بالإيمان والقبول والعمل، فيجرد أعماله لله وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا دفعا، فضلا عن غيره.

وفي الصحيح عَنْ أَنَسٍ شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ» فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨][(١)].

قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب. ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم.

وعن عبدالله بن عمر أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجْرِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ العَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا» بَعْدَ مَا يَقُولُ «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨][(٢)]. وفي رواية: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨][(٣)]. وفيه: جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر في الصلاة.

قوله: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام». وذلك لأنهم رءوس المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان ابن حرب، فما استجيب له ﷺ فيهم بل

---

(١) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم-كتاب المغازي، باب (ليس لك من الأمر شيء)- ومسلم (١٧٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٠٦٩).

(٣) رواه البخاري (٤٠٧٠).

أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتاب عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم. وفي كله معنى شهادة أن لا إله إلا الله الذي له الأمر كله، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

فإذا كان النبي ﷺ لا يملك من الأمر شيئاً من قدر الله، بطل دعاؤه من دون الله؛ وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ فغيره من باب أولى.

وفي هذا من الحجج والبراهين ما يبين بطلان ما يعتقده عبّاد القبور في الأولياء والصالحين. بل في الطواغيت من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم. فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب. وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحول والقوة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

عباد الله: نبينا محمد ﷺ هو سيد الناس وصفوتهم وأفضلهم وأكرمهم، وهو أفضل الرسل وخاتمهم. إلا أنه: لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا يملك شيئاً لأقرب الناس إليه، لا في حياته ولا بعد مماته ﷺ؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِالْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[1].

قوله: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ» أي: أنقذوها؛ بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه. فإن ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله لا الاعتماد على الأنساب والأحساب؛ فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب.

قوله: «لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»: هذا هو الشاهد، أي: لا أنفعكم بدفع شيء عنكم دون الله، ولا أمنعكم من شيء أراده الله لكم، لأن الأمر بيد الله، ولهذا أمر الله نبيه بذلك، فقال: ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ [الجن:٢١-٢٢][2].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣).

(٢) القول المفيد: لابن عثيمين (١/٣٧٩).

قوله: «سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي». بيّن رسول الله ﷺ أنه لا ينجي مـن عـذاب الله إلا الإيمان والعمل والصالح.

فإذا كان النبي ﷺ لا يقدر على نفـع ابنتـه وعمـه وعمتـه وقرابتـه، فغـيرهم بطريـق الأولى؛ وإذا كان لا يقدر على ذلك فلا يجوز أن يُسألَ ولا غيره من المخلوقين مـا لا يقـدر عليه إلا الله ﷻ.

فانظر إلى الواقع الآن-في بعض البلاد الإسلامية- من كثير من الناس مـن الالتجـاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عـاجزون لا يملكـون لأنفسـهم ضرا ولا نفعا فضلا عن غيرهم يتبين لك أنهم ليسوا على شيء ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَـذُوا الشَّـيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠] أظهـر لهـم الشـيطان الشرـك في قالب محبة الصالحين، وكل صـالح يـبرأ إلى الله مـن هـذا الشــرك في الـدنيا ويـوم يقـوم الأشهاد. فمحبة الصالحين إنـما تحصـل بمـوافقتهم في الـدين، ومتـابعتهم في طاعـة رب العالمين.

قال الناظم في معنى (لا إله إلا الله):

فإن معناها الذي عليـه	...	**دلت يقينا وهـدت إليه**
أن ليس بالحق إله يعبـد	...	**إلا الإله الواحـد المنفرد**
بالخلق والرزق وبالتدبير	...	**جل عن الشريك والنظير**

فالإله الحق هو الذي له الملك كله؛ والإله الحق هو المطلع على كل شيء، المحيط بكل صغيرة وكبيرة، والمدرك لحقائق الأشياء، والعـالم بـما في القلـوب، ومـا تخفيـه الصـدور، فالغيب عنده شهادة، والسِّرُّ عنده علانية، لا تخفى عليه خافية من خلقه مهما دقَّتْ، يعلـم دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء، في الليلة الظلماء، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْـبِ لَا

يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[الأنعام:٥٩].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير.





كتاب التوحيد (١٦) باب قول الله تعالى:

﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والضر والنفع، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وعلِّقوا قلوبكم به، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

عباد الله: ربنا جل وعلا له العظمة المطلقة، وله الكمال والجلال سبحانه وتعالى، ومخلوقاته دالة على عظمته وجلاله سبحانه.

ومن البراهين الدالة على أنه لا يستحق أحد أن يكون شريكا مع الله؛ ما قصَّ علينا ربنا جل وعلا في كتابه عن تعظيم الملائكة له جل وعلا فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣].

أي: لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا من بعد إذنه له في الشفاعة. وإن من عظيم قدر الله ﷻ أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العلي- بذاته وقهره وعلو قدره- الكبير على كلِّ شيء.

ومن ذلك: ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عن النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُّ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣] فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ- وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ. فَرُبَّمَا أَدْرَكَه الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(١).

وروي-في الأثر- عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُّ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أخذتِ السمواتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ- أَوْ قَالَ رِعْدَةٌ - شَدِيدَةٌ خَوفًا مِنَ اللهَّ ﷻ. فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أهل السمواتِ؛ صَعِقُوا وَخَرُّوا لله سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُه اللهُّ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ. ثم يمرُّ جبريل على الملائكة، كلما مرَّ بسماءٍ سأله ملائكتُها: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ

(١) رواه البخاري، -في أحاديث متفرقة- (٤٧٠١)، (٤٨٠٠)، (٧٤٨١).

مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ»[١].

وفي هذه الأحاديث: إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة، وهذا قول أهل السنة[٢].

قوله: «خوفا من الله ﷻ» فالسماوات تخاف الله، بما يجعل تعالى فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها. وقد أخبر تعالى أن هذه المخلوقات العظيمة تسبحه كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[الإسراء:٤٤]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾[مريم:٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]، وكما ورد في قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ قبل اتخاذ المنبر. ومثل هذا كثير[٣].

عباد الله: لقد منح الله تعالى الملائكة قوةً كبيرةً، وعظمةً في الخلق، من ذلك: ما ورد عن عبدالله بن مسعود: «أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»[٤].

ومن ذلك: عِظم خلقة حَمَلَة العرش؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ

---

(١) كتاب التوحيد، السنة لابن أبي عاصم (٥١٥)، أسماء الله وصفاته: للبيهقي، رقم (٤٤١)- (٢/٥٥١)، منهج التوحيد (ثالث متوسط- ف٢)، (ص١٦-١٧).
(٢) فتح المجيد (ص١٥٨).
(٣) فتح المجيد (ص١٥٩-١٦٠).
(٤) رواه البخاري (٤٨٥٦)، (٤٨٥٧).

مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»[(١)].

فالملائكة عباد طائعون، مجتهدون في عبادته من غير فتور ولا ملل؛قال تعالى: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[الأنبياء:١٩-٢٠].

وقد كان بعض المشركين يعبدون الملائكة، يظنون أنهم يقربونهم إلى الله تعالى، ويشفعون لهم عنده؛ لما لهم من المكانة والمنزلة عند الله ﷻ، وقد أبطل الله تعالى ذلك، مبيناً ضعفَ الملائكة وعجزَهم، وعظيمَ فزعهم وخوفهم من الله جل جلاله الذي تتوجه إليه القلوب وحده بالتذلل والدعاء والعبادة.

ويتبين بطلان عبادة الملائكة من وجوه عدة، منها: أن الله تعالى حذر من عبادة الملائكة واتخاذهم أرباباً من دونه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:٨٠].

ومنها: أن الملائكة عباد الله تعالى، فلا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية؛ قال تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[النساء:١٧٢].

ومنها: أن الملائكة يتبرؤون في يوم القيامة ممن عبدهم؛ قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾[سبأ:٤٠-٤١].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٧) وصححه الألباني.

ومنها: فزع الملائكة وضعفهم أمام قوة الله تعالى وعظمته؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]»[١].

فإذا كان هذا عظم هذه المخلوقات فخالقها أعظم وأجلّ وأكبر. فكيف يسوّى به غيره في العبادة: دعاء وخوفا ورجاء وتوكلا- واستعانة بالجن والشياطين، والسحرة والكهان والمنجمين، أو بأصحاب القبور و غيرهم ممن لا يملك ضراً ولا نفعا- وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها أحد غير الله؟ فانظر إلى حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

فهذه الآيات والأحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن الملك العظيم الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفا منه ومهابة، وترجف منه المخلوقات، الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته وملكه وعزه، وغناه عن جميع خلقه. وافتقارهم جميعا إليه، ونفوذ تصرفه وقدره فيهم لعلمه وحكمته، لا يجوز شرعا ولا عقلا أن يجعل له شريك من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم، فكيف يجعل المربوب ربا، والعبد

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠١)، (٤٨٠٠)، (٧٤٨١)، منهج التوحيد (ثاني متوسط- ف١)، (ص٢٩-٣٢).

معبودا؟ أين ذهبت عقول المشركين؟ سبحان الله عما يشركون[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[مريم:٩٣-٩٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:١١١].

عباد الله: المستحق للعبادة وحده: هو الله، الرب الجليل، المتصف بجميع نعوت الجلال وصفات الكمال، المنزه عن النقائص والمحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

الذي له العظمة والكبرياء، لا منازع له في عظمته وكبريائه، ومن نازعه في صفة منها أذاقه عذابه وأحل عليه غضبه ومن يحلل عليه غضبه فقد هوى[٢].

(١) فتح المجيد (ص١٦٠-١٦١).

(٢) معارج القبول (١/١٦٣).

فالإله الحق: كما تفرد بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة؛ فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقا، فلا شريك له فيها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان:٣٠][(١)].

قال الناظم: -صاحب سلم الوصول- في الرب جل وعلا:

وأنه الربُّ الجليلُ الأكـبرُ ... الخـالقُ البـارئُ والمصـوِّرُ

باري البرايا منشئُ الخلائقِ ... مُبدعُهُـم بـلا مثـالٍ سـابقِ

الأوَّلُ المبـدي بلا ابتـداءِ ... والآخرُ البـاقي بلا انتهـاءِ

الأحدُ الفردُ القـديرُ الأزلي ... الصمـدُ البرُّ المهيمـنُ العلي

عُلُوَّ قهرٍ وعـلو الشَّـانِ ... جلَّ عن الأضدادِ والأعوانِ

كذا لهُ العلوُّ والفوقيـةْ ... على عبـادهِ بـلا كيفيـةْ

ومـع ذا مُطَّلِعٌ إليهـمُ ... بعلمـهِ مهيمـنٌ عليهـمُ

وذِكرُهُ للقـربِ والمعيَّـةْ ... لم ينـفِ للعُلُـوِّ والفـوقيَّةْ

فإنـهُ العليُّ في دُنُـوِّهِ ... وهُو القريبُ جـلَّ في عُلُوِّهِ

حيٌّ وقيـومٌ فلا ينـامُ ... وجـلَّ أنْ يُشـبِهَـهُ الأنـامُ

لا تَبلُغُ الأوهـامُ كُنْهَ ذاتهِ ... ولا يُكَيِّـفُ الحِجَا صفـاتِهِ

باقٍ فـلا يفنى ولا يَبيـدُ ... ولا يكـونُ غـيرُ ما يريـدُ

منفـرِدٌ بالخلـقِ والإرادةْ ... وحـاكمٌ -جـلَّ- بما أرادهْ

---

(١) معارج القبول (٢/٥١٧).

فلنتق الله تعالى –عباد الله– ولنعلق قلوبنا بالله، ولنخلص العبادة له، ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:٦٥].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (١٧) باب الشفاعة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، مفرج الكربات، ومغيث اللهفات، وقاضي الحاجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه،وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، واقطعوا التعلق بالخلائق، وعلقوا قلوبكم بالخالق، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

عباد الله: من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين أن أتاح لهم فرصاً كثيرة لمغفرة ذنوبهم ورفعة درجاتهم يوم القيامة، ومن ذلك الفوز بشفاعة الشفعاء الذين يأذن الله لهم في الشفاعة عنده، في الآخرة.

والشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة لا تقبل إلا بشرطين:

أولها: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع. قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وثانيها: رضا الله تعالى عن المشفوع له. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨].

والشفاعة يوم القيامة خاصة بأهل التوحيد، الذين رضي الله تعالى عنهم، فلا تكون لمن أشرك بالله تعالى. كما في حديث أبي هريرة قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حقيقة الشفاعة: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه، وينال به المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. ا.هـ

والشفاعة التي أثبتها الله تعالى لبعض عباده يوم القيامة قسمان:

القسم الأول: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ؛ وهي أنواع منها: الشفاعة العظمى؛ وهي المقام المحمود الذي وعد الله تعالى به رسوله في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[الإسراء:٧٩]، وهذه الشفاعة تكون في أرض المحشر للتخفيف عن الناس، وذلك حين يطلب الناس من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يشفعوا لهم عند ربهم ليرحمهم من شدة الموقف وما لحقهم من الغم والكرب، فيعتذر عنها أولو العزم من الرسل، حتى تنتهي إلى النبي ﷺ فيقول: (أنا لها) ويشفع لهم فيقضي الله بينهم.

---

(١) رواه البخاري (٩٩).

كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة : «يأتيه الناس يوم القيامة فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟قال: فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عز وجل، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي. ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ»[1].

ومن الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعة النبي ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها.

ومنها: شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.

والقسم الثاني من الشفاعات التي أثبتها الله تعالى لبعض عباده يوم القيامة: شفاعة عامة؛ وتكون من النبي ﷺ ومن غيره ممن يأذن الله لهم بالشفاعة وهي أنواع:

منها: الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة أهل التوحيد أن لا يدخلها.

ومنها: الشفاعة فيمن دخل النار من عصاة أهل التوحيد أن يخرج منها.

ومنها: الشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة.

ومنها: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين وزيادة ثوابهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

والشفاعة شفاعتان -عباد الله-: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله تعالى، وتوفر فيها الشرطان: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع؛ ورضا الله تعالى عن المشفوع له.

والشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ أو لم يتوفر فيها الشرطان أو أحدهما. وهي التي نفاها القرآن ونهى عنها الرب، وأخبر أن فيها شركاً[١].

فمن أسباب وقوع المشركين في الشرك اعتقادهم أن معبوداتهم من الملائكة والأصنام وغيرها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه زلفى، كما يفعله عبَّاد القبور، حيث يقولون: إنا نطلب الشفاعة من فلان الولي، أو من فلان النبي، أو من المَلَكِ -كمن يعبد عبدالقادر أو الدسوقي أو البدوي أو ما أشبههم، فإنهم قوم لا ينفعون ولا يضرون-[٢].

وقد أبطل الله تعالى في القران الكريم اعتقادهم ذلك من وجوه عدة:

منها: أن الشفاعة ملك لله تعالى، فلا تطلب إلا منه، ومن طلب الشفاعة من غيره فقد طلبها ممن لا يملكها، وهذا سفه وضلال .قال الله تعالى: ﴿ قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جميعا ﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٥١].

ومنها: أن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن يأذن له الله من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وهم لايشفعون إلا لمن رضي الله عنه، وهؤلاء المشركون قد سخط الله عملهم،

---

(١) القواعد الأربع-شرح كتاب التوحيد (عبدالله بن حميد).

(٢) شرح كتاب التوحيد: عبدالله بن حميد (ص٢٨٩، ٢٩٨، ٢٩٩).

وغضب عليهم، فما تنفعهم شفاعة أحد. قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر:١٨] وقال: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر:٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مُلكٌ، أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لاتنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن). ا.هـ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ. وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٢-٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

عباد الله: والشفعاء يوم القيامة؛ الذين يأذن الله لهم في الشفاعة يوم القيامة: أولهم: النبي ﷺ، وهو أعظم الشفعاء ﷺ. قَالَ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ

أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[(١)].

ومن الشفعاء يوم القيامة: الملائكة الكرام؛ قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

ومن الشفعاء يوم القيامة: الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ومنهم: المؤمنون الناجون من النار؛ كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، -في حديث الرؤية- أن النبي ﷺ قال: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا»، وفيه: «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»[(٢)].

وهذا فيمن حفظ لسانه من اللعن؛ أما المسلمون اللعانون: فلا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، لقوله ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)].

ومن الشفعاء يوم القيامة: الشهداء. قال ﷺ: «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٩٩) ح ٣٣٨.

(٢) رواه مسلم (١٨٣).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٨).

(٤) رواه أبو داود (٢٥٢٢) وصححه الألباني.

ومن الشفعاء يوم القيامة: أولاد المسلمين الذين يموتون قبل البلوغ، يشفعون لآبائهم وأمهاتهم إذا صبروا واحتسبوهم عند الله تعالى؛ قال ﷺ: «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ -أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ-، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ -أَوْ قَالَ بِيَدِهِ-، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»[(١)].

وكذلك نحن نشفع للميت حينما نصلي عليه ولو كان ولياً أو صالحاً؛ كما أخبرنا النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[(٢)].

ومن الشفعاء يوم القيامة: القرآن الكريم، وبعض سور منه، كسورة البقرة وآل عمران وتبارك؛ قال ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ،وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[(٣)]، وقال ﷺ: «إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[(٤)].

فالشفاعة -عباد الله- تطلب من الله تعالى ابتداءً، فيجوز للمسلم أن يسأل الله تعالى قائلا: (اللهم شفِّع فيَّ نبيك محمداً)، أو: (اللهم إني أسألك شفاعة رسولك يوم القيامة)، ولكن لا يجوز بحال أن يسأل أحدٌ الشفاعةَ من أحدٍ كائناً من كان، فلا يطلبها من

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٥).

(٢) رواه مسلم (٩٤٨)، شرح كتاب التوحيد: عبدالله بن حميد (ص٢٩٠).

(٣) رواه مسلم (٨٠٤).

(٤) رواه أبو داود (١٤٠٠) والترمذي (٣١١١) وقال حديث حسن، وابن ماجه (٣٧٨٦) وصححه الألباني.

النبي ﷺ مباشرة، ولا من غيره من الأولياء أو الصالحين أو القبور والأضرحة أو غيرهم، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم.

يا من أراد شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة: عليك بإخلاص التوحيد لله جل وعلا؛ «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[1].

يا من أراد شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة: عليك بقول الدعاء الوارد بعد متابعة الأذان؛ قال ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنقطع العلائق عن جميع الخلائق، ونتصل بالله سبحانه في طلب المدد، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) رواه البخاري (٩٩).

(٢) رواه البخاري (٦١٤).

كتاب التوحيد (١٨) باب قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ... ﴾

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾[الأنعام:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، واهتدوا بهداه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: من الناس من يعتقد أن الأنبياء والصالحين يملكون النفع والضر، فيسألونهم من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية، وهذا من الشرك بالله تعالى؛ لأن الذي يملك النفع والضر هو الله وحده، وقد جاء توضيح ذلك في القرآن الكريم في مواقف مختلفة، وبأساليب متنوعة، ومن ذلك ما جاء في القرآن الكريم من بيان أن الهداية بيد الله تعالى، ليست لمَلَكٍ مُقرَّب ولا لنبيٍّ مرسل. والهداية: بيانُ طريقِ الحقِّ، والتوفيق لقبوله.

والهداية -عباد الله- نوعان:

النوع الأول: هداية البيان والإرشاد والدلالة. والمراد بها: بيانُ الحقِّ، والدعوةُ إليه.

وهذه يملكها النبي ﷺ، وجميع الأنبياء عليهم السلام، وجميع أتباعهم الذين يقتدون بهم في الدعوة إلى الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى:٥٢] وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن:٦].

والنوع الثاني: هداية التوفيق والإلهام. والمراد بها: التوفيقُ لقبولِ الحقِّ، والعملِ به.

ولا يجوز أن تُطلب هذه الهداية من غير الله تعالى، ومن طلبها من غيره فقد وقع في الشرك الأكبر؛ فإنه تعالى قد تفرد بهداية القلوب؛ كما تفرد بخلقها.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

قال ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ إنك يا محمد لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ أَيْ لَيْسَ إِلَيْكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يُوسُفَ:١٠٣] وَهَذِهِ الْآيَةُ أَخَصُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أَيْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْغِوَايَةَ.

وحديث سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: « أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ،حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ :عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣] وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦](١).

فإذا كان الرسول ﷺ قد حرص على هداية عمه أبي طالب عند موته، فلم يتيسر له ذلك، ودعا له بعد موته، ونُهي عن ذلك، وذكر الله أنه لا يقدر على هداية من أحب هدايته لقرابته ونصرته، تبين أعظم بيان أنه ﷺ لا يملك لأحدٍ ضراً ولا نفعاً، ولا عطاءً ولا منعاً، وأنه ﷺ لا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، وأن الأمر كلَّه بيد الله، فبطلت عبادته من دون الله، وإذا بطلت عبادته -وهو أشرف الخلق- فعبادة غيره أولى بالبطلان.

وفي الحديث: جواز عيادة المريض المشرك إذا رُجي إسلامه. وأن من قال لا إله إلا الله عن علمٍ ويقين واعتقادٍ دخل في الإسلام. وأن الأعمال بالخواتيم. وتحريم الاستغفار للمشركين وتحريم موالاتهم، ومحبتهم.

وفي الحديث: مضرة تقليد الآباء والأكابر بحيث يُجعل قولهم حجة يرجع إليها عند التنازع؛ لأن أبا طالب اختار أن يكون على ملة عبدالمطلب حين ذكروه بأسلافه مع مخالفته لشريعة النبي ﷺ؛ فإن كان تعظيمهم لما هم عليه من الباطل؛ فهو ضرر عظيم على دين المرء؛ فلا يعظم أبا جهل ولا عبدالمطلب، وكذلك لا يعظم الرؤساء من الكفار في زمانه؛ فإن فيه مضرة لأنه قد يورث ما يضاد الإسلام.

وكذلك لا تعظم العادات والأعراف والتقاليد -المخالفة للشرع- ولا يأخذ بها الإنسان، لأن فيها مضرة على دين المرء(٢)؛ ومثله من يقال له يحرم أو يجب ومع ذلك لا

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤).

(٢) ابن عثيمين.

يستجيب -في الأفراد والمجتمعات-، لأنه وجد الآباء على ذلك أو نشأ في مجتمع اعتاد على هذا الشيء؛ فالتعظيم الحقيقي هو التعظيم لنصوص الكتاب والسنة، أو ما وافقها من أقوال العلماء الربانيين.

وفي الحديث: يتبين مضرة أصحاب السوء على الإنسان؛ فالجلساء إذا كانوا أصحاب سوء فمضرتهم بليغة وعظيمة جداً؛ ولهذا كاد أبو طالب أن يقول هذه الكلمة لولا هؤلاء الجلساء عنده، ومعلوم أن الأمر بيد الله، فإذا أراد الله جلَّ وعلا شيئاً جعل له أسباباً تقتضي وجود ما أراد، أو موانع تمنع من خلاف ما أراد؛ ولكن نحن ننظر إلى الأسباب، فالإنسان عليه أن يفعل السبب، ولا يجوز للعبد أن يخالط أهل السوء وأن يجالسهم؛ لأنهم يدعونه إلى خلاف الحق [(١)].

وقد ورد في حديث عَبْدِاللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[(٢)].

فالأنبياء -عباد الله- عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وهم أفضل البشر وصفوة الخلق لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً، فهم لا يملكون هداية أقوامهم هداية التوفيق التي يختص الله تعالى بها، بل إنهم لا يملكون ذلك لأقرب الناس إليهم، وهم آباؤهم، وأولادهم، وأزواجهم، ومن النماذج التي سجلها القرآن الكريم في ذلك:

---

(١) الغنيمان.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤).

فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يملك هداية ولده؛ قال الله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ.قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود:٤٢-٤٣].

وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يملك هداية أبيه (آزر)؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[التوبة:١١٤].

ولوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يملك هداية زوجته؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٣٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[يونس:٣٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

عباد الله: أعظم نعمة ينعم الله تعالى بها الفرد والأمة: الهداية إلى توحيد الله وطاعته، ولذلك امتنَّ الله تعالى على عباده بهذه النعمة؛ ليعلموا أنها من عنده، فيشكروه عليها، ويستمسكوا بها؛ قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[الحجرات:١٧].

وللهداية أسباب كثيرة -عباد الله-، أهمها: سؤال الله الهداية، فإنها بيده تعالى، فيسأل العبد ربه أن يهديه، جاء في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»، والمسلم يردد كل يوم مراراً كثيرة قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وما ذاك إلا لحاجته إلى هداية الله له في جميع أوقاته وأحواله.

ومنها: تعظيم نصوص الكتاب والسنة، والعمل بها.

ومنها: العيش مع القرآن الكريم، تلاوة وتدبراً، علماً وعملاً.

ومنها: العيش مع سيرة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

ومنها: مجالسة الصالحين والمصلحين والأخيار من عباد الله.

ومنها: مجاهدة النفس ومراعاة تربيتها وتزكيتها حتى تسير على الطريق الصحيح.

ومنها: فعل الطاعات، والاستكثار من الحسنات، فإن بعضها يدعو إلى بعض.

ومنها: تذكر الآخرة، وحسن العاقبة، وما يؤول إليه الإنسان يوم القيامة هل يصير إلى الجنة أو إلى النار.

أما موانع الهداية لاجتنابها، فمنها: الإعراض عن هداية الكتاب والسنة، وتلمس الهدي في غيرهما. ومن موانع الهداية: الإعجاب بالضالين، وتقليدهم والتمسك بما كانوا عليه، والسير في ركابهم -وهذا الإعجاب ما أكثره في هذا الزمن والعياذ بالله، فيعجب الرجل أو المرأة بالفسقة من الكفار وغيرهم من اللاعبين أو المغنين أو الممثلين أو المهرجين في وسائل التواصل-، قال ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١). وقَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(٢). فإذا أحب الصالحين كان معهم، وإذا أحب الفسقة كان معهم وحشر معهم والعياذ بالله.

ومن موانع الهداية: التعصب للباطل، وتقليد الآباء -ولو كان مخالفاً للشرع- كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [المائدة:١٠٤]. وعدم الإصغاء لنصح الناصحين، وهذه طريقة المشركين القدامى كما قال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف:٧٩].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنطلب الهداية ممن يملكها وهو الله جلَّ جلاله، ادعوا بها لأنفسكم وأهليكم وأولادكم، فإن الهداية إلى التوحيد أعظم المطالب، وأربح المكاسب. فكل ما ذهب من الدنيا له عوض، أما ذهاب الدين والاستقامة فليس لها عوض؛ ومن كان مهتدياً فليحمد الله، فأهل الجنة يحمدون ربهم على الهداية؛ قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا

(١) رواه أَبُو داود والترمذي، وَقالَ: حديثٌ حسنٌ.
(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:٤٣].

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (١٩)

باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، تفرد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء؛ الواحدُ الأحد، الربُّ الصمد، المغيثُ لجميع مخلوقاته فما استغاث ملهوفٌ إلا نجّاه، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، نهى أمته عن إطرائه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وتمسكوا بدينه، واعتصموا بحبله، وعلّقوا به قلوبكم، وتوكلوا على الله وحده، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١].

أيها الموحِّدُون: شرع الله لعباده الشرائع، وسنَّ لهم السنن، وأمرهم أن يأتوا بها، لا يزيدوا عليها، ولا ينقصوا منها، إلا أنَّ كثيراً من الناس وقع في أحد أمرين خطيرين:

أولهما: التقصير والتفريط في أوامر الله، وعدم الالتزام بها.

وثانيهما: المبالغة والإفراط في الإتيان بها إلى درجة الزيادة عليها، والإتيان بما لم يأمر الله ﷻ به.

وهذا الثاني هو الغُلُوُّ الذي أوقع كثيراً من الناس في الشرك، وتشريع ما لم يأذن به الله تعالى، والخروج من الدين بالكلية.

فالغُلُوُّ هو: تعدِّي ما أمر الله به في الاعتقاد، أو القول، أو الفعل.

والغُلُوُّ في الأنبياء والصالحين هو: المبالغة في تعظيمهم، ويكون ذلك برفعهم فوق منازلهم التي أنزلهم الله إياها.

والواجب على المسلم: التوسط فيهم، وذلك باتباع الشرع في إنزالهم منازلهم اللائقة بهم: فلا يبالغ في حقِّهم برفعهم فوق منازلهم التي وضعهم الله فيها. ولا يقصِّر فيه، فيجحدهم حقوقهم التي جعلها الله لهم.

والأمثلة التي وقع فيها الغلاة في الأنبياء والصالحين كثيرة، منها: الغُلُوُّ في النبي ﷺ بدعائه أو الاستغاثة به من دون الله تعالى. ومنها: الغُلُوُّ في النبي ﷺ بالحَلِفِ به من دون الله تعالى. ومنها: الغُلُوُّ في عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بجعله إلهاً أو ابن الإله. ومنها: الغُلُوُّ في الأولياء والصالحين بالبناء على قبورهم، والطواف بها، والسجود عليها، ودعائهم من دون الله عزَّ وتقدس.

وأول ما وقع الشرك -عباد الله- كان في قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان سببه الأول: الغُلُوُّ في تعظيم الصالحين، كما يوضح ذلك ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]، قال هذه: «أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»(١).

قوله: «حتى إذا هلك أولئك»، أي الذين صوروا تلك الأصنام.

قوله: «ونُسي العلم». وفي رواية: «وَتَنَسَّخَ العِلْمُ»؛ أي درست آثاره بذهاب العلماء،

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠).

وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك، فوقعوا في الشرك ظنا منهم أنه ينفعهم عند الله.

قوله: «عُبِدَتْ»؛ لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يُسقون المطر، هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة. كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس:٦٠-٦٢]. وهذا يفيد الحذر من الغُلُوِّ ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسنا. فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغُلُوِّ في الصالحين والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة: أظهر لهم الغُلُوَّ والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم؛ ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم؛ ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. ا.هـ

ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم. وذلك من وسائل الشرك بل هو الشرك؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة. فإذا عكفوا على القبور صار عكوفهم تعظيما ومحبة: عبادة لها. وهذا أول شرك حدث في الأرض.

والصنم: هو الوثن؛ واسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله، سواء كان ذلك المعبود قبرا أو مشهدا أو صورة أو غير ذلك[٢].

---

(١) فتح المجيد.

(٢) فتح المجيد.

قال ابن القيم : وما زال الشيطان يوحي إلى عُبّاد القبور ويُلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها، والإقسام على الله بها، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته؛ وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبّل، ويحج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدا ومنسكا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم. وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجديد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله[1] ا.هـ

ولما كان الغُلُوُّ بهذه الخطورة جاءت الأدلة الشرعية في النهي عنه، والتحذير منه، ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[النساء:١٧١]، أي: لا تتعدوا ما حدَّ الله لكم.

فقد نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغُلُوِّ، والمراد بهم:

اليهود: الذين غَلَوْا في (عُزَير)، فقالوا: هو ابن الله.

والنصارى: الذين غَلَوْا في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقالوا مرَّةً: هو ابن الله، وقالوا مرَّةً: هو الله.

---

(١) فتح المجيد.

وفي هذا تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع النبيِّ ﷺ مثلَ ما فعلت اليهود مع عزير، والنصارى مع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فكل من دعا نبيا أو وليا من دون الله فقد اتخذه إلها، وضاهأ النصارى في شركهم، وضاهأ اليهود في تفريطهم.

قال شيخ الإسلام: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم[(١)].

ومن الأدلة في النهي عن الغلو: حديث عبدالله ابْنِ عَبَّاسٍ، أنه سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»[(٢)].

والإطراء: هو المبالغة ومجاوزة الحدِّ في المدح، والكذب فيه؛ والمعنى: لا تغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى ادَّعوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصِفوني بذلك كما وصَفني ربي، فقولوا: عبد الله ورسوله، ولا تتجاوزوا هذا القول.

ومن الإطراء غلو الرافضة في آل البيت، فهم يتغنَّمون في أدعيتهم، وفي كل وقت يقولون: يا علي، يا أبا الحسن، يا زوج فاطمة البتول –نعوذ بالله من حالهم–[(٣)].

وقد ذكر شيخ الإسلام عن بعض أهل زمانه أنه جوّز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله؛ ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله.–نعوذ بالله

(١) فتح المجيد.
(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥).
(٣) فوائد من شرح كتاب التوحيد (السدحان).

من الضلال- والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل:٦٥][(١)].

وإنما يحصل تعظيم الرسول-عباد الله- ﷺ: بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ونُصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه. فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علما وعملا، وارتكبوا ما نهى عنه ورسوله. نعوذ بالله من عمى البصيرة. والله المستعان[(٢)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٠-٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

---

(١) فتح المجيد.

(٢) فتح المجيد.

عباد الله: الغُلُوُّ في الدِّين من أعظم أسباب هـلاك الأمـم الماضـية، وذلـك أن الغُلُـوَّ أوصل الأمم السابقة إلى عبادة غير الله تعالى، فخســروا الـدنيا والآخـرة، وهـذا معنـى الهلاك.

ويدلُّ لذلك: حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: غَـدَاةَ الْعَقَبَـةِ وَهُـوَ عَـلَى نَاقَتِهِ: «الْقُطْ لِي حَصًى»، فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: «أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا»، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الـدِّينِ، فَإِنَّـهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(١).

وحديث عَبْدِاللهِ -ابن مسعود-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَـكَ الْمُتَنَطِّعُـونَ» قَالَهَـا ثَلَاثًا(٢).

والمتنطعون: المتكلِّفون المتعمِّقون الغالون في الكلام؛ ففي هذا الحـديث دلالـة عـلى خطورة التَّنطع في الكلام، وأنه يؤدي إلى الهلاك؛ لما فيه من المغـالاة والخـروج عـن الحـدِّ المشروع؛ وإذا كان هذا في الكلام، فهو في الاعتقاد والأفعال من باب أولى.

قال شيخ الإسلام: هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعـمال، وسـبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه، مثل الرمي بالحجارة الكبـار، بنـاء عـلى أنـه أبلغ من الصغار. ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كـان قبلنـا إبعـاداً عـن الوقـوع فـيما هلكوا به؛ فإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك(٣).

---

(١) رواه أحمد -مسند أحمد مخرجا (١٨٥١)-، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) وصححه الألباني-وهذا لفظه-.
(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠).
(٣) فتح المجيد.

ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقاً، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب. فهذا جاهل ضال.

قوله: "قالها ثلاثا"، أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنُعَظِّم قَدْرَ الأنبياء والصالحين، بإنزالهم منازلهم اللائقة بهم، من غير غُلُوٍّ ولا تقصير؛ ولنحرص على العلم النافع ،فإنه العاصم بإذن الله من الزيغ والضلال، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

اللهم اجعل قلوبنا متعلقة بك، واجعلنا متبعين لا مبتدعين. يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٢٠) باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبدالله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الرقيب على عباده بأعمالهم، العليم بأقوالهم وأفعالهم، الكفيل بأرزاقهم وآجالهم، المجيب لدعائهم وسؤالهم، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، وخذوا بوصيته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠-٢١].

عباد الله: حَرَّمت الشريعة الإسلامية جميع الوسائل المؤدية للشرك ولو كان ذلك الفعل عبادة لله تعالى، ومن ذلك اتخاذ القبور مكاناً يتقرب فيه إلى الله تعالى بالصلاة، فقد نهت الشريعة عن ذلك أشد النهي، وحذر منه الرسول الكريم ﷺ أشد التحذير حماية لجناب التوحيد وسد الطرق المفضية للشرك.

والذين يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد هم شرار الخلق عند الله تعالى؛ فعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُولَئِكِ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ،

أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِّ»[١].

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

وذلك أنهم افتتنوا بقبور الصالحين، كما افتتنوا بصورهم فعظموها تعظيماً مبتدعاً، حتى آل بهم الأمر إلى عبادتهم من دون الله تعالى.

ومما يدل -عباد الله- على أن الذين يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد هم شرار الخلق عند الله تعالى؛ حديث عَبْدِاللهَّ بن مسعود ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»[٢].

قوله: «مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ» أي مقدماتها، كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها[٣].

«وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» أي وإنَّ من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد أي بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها[٤].

وكان هؤلاء -الذين يتخذون القبور مساجد- شرار الخلق عند الله لأسباب، منها:

أن اتخاذ القبور مساجد من أعظم أسباب وقوعهم وإيقاع غيرهم في الشرك بالله تعالى، فيكونون قد ضلوا بأنفسهم وأضلوا غيرهم من حيث كان الواجب عليهم هداية أنفسهم وهداية الآخرين.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده- مخرجا (٣٨٤٤)، وابن حبان (٦٨٤٧). وإسناده حسن.

(٣) فتح المجيد.

(٤) فتح المجيد.

ومن الأسباب: أنهم قد أدخلوا الشرك على أنفسهم من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعاً، فهم يظنون عملهم عبادة وقربة إلى الله تعالى، فيجتهدون فيه، ويدعون إليه، وهذا غاية الجهل والضلال.

ومن الأسباب: أنهم بفعلهم هذا يلبِّسون على الناس، ويوقعونهم في الشرك بالله تعالى، في حين أنهم في الصورة الخارجية يعبدون الله، ويدعون إليه، فضلوا في أنفسهم، وتسببوا في إضلال غيرهم فاشتبه فعلهم على الجهال، ولو دعوهم إلى الشرك ابتداءً وجهاراً لم يقبلوه منهم، فتوصلوا إلى الشرك والدعوة إليه بطريق ظاهره الإصلاح، وباطنه الإفساد والإضلال.

ومن الأسباب: أنهم تسببوا في اتخاذ أطهر الأماكن وأفضلها وهي بيوت الله تعالى لمحادته والإشراك به، فبدل أن يذكر فيها اسم الله، وتتخذ لعبادته والتذلل له والخضوع له وتوحيده، تسببوا أن يذكر فيها اسم غير الله تعالى من الطواغيت.

واتخاذ القبور مساجد -عباد الله-، يشمل ثلاثة أمور:

الأول: بناء المساجد عليها والصلاة فيها.

والثاني: الصلاة عندها وإن لم يبن مسجد، وذلك أن كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً.

والثالث: الصلاة إليها، بأن يتجه إلى القبر في حال الصلاة.

وهذا كله فيمن يصلي لله تعالى، أما من يصلي للقبر نفسه، فهذا هو الشرك بعينه، ولا شك أن مَنَ قَصَدَ الصلاة عندها تعظيماً لها، أو لمن دُفن فيها، فإن الأمر سيؤول به إلى عبادتها من دون الله تعالى.

ولقد شدَّد النبي ﷺ -عباد الله- التحذير من اتخاذ القبور مساجد حتى إنه لعن من فعل ذلك، كما جاء في عدة أحاديث منها: حديث عَائِشَةَ، وَعَبْدِ اللهَّ بن عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهَّ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللهَّ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1]، قَالَتْ عَائِشَةُ: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. لَوْلاَ ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[2].

معنى «اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»: المراد مواضع للسجود، حيث اتخذوها كنائس وبيعاً، يتعبدون فيها.

«يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»: أي قال ذلك ﷺ تحذيراً لأمته من أن يصنعوا مثل صنيع اليهود والنصارى، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم.

قوله: «ولولا ذلك»: أي ما كان يُحَذِّرُ من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجداً لأُبرز قبره، وجُعِلَ مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع[3].

ولكن كان من العلل التي جعلتهم لا ينقلونه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مكانه الذي توفي فيه إلى المقبرة: قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت: يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، فهذه إحدى العلتين.

والعلة الثانية: أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ، حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ» فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ،

---

(١) البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٢) روه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٣) فتح المجيد.

وَحَفَرُوا لَهُ تَحْتَ فِرَاشِهِ[(١)].

قوله: «غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»: أي أن العلة في عدم إبراز قبر النبي ﷺ هو خوف الصحابة ﭫ أن يقع من بعض الأمة غلو في قبره ﷺ فيتخذوه مسجداً كما اتخذت اليهود والنصارى قبور أنبيائهم مساجد. أو يكون الذي وقعت منه الخشية النبي ﷺ؛ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه.

وبعض القبوريين -عباد الله- يتخذون الأضرحة والمقامات لأولياء صالحين ويدفنونهم في المساجد، ويحتجون بوجود قبر النبي ﷺ في المسجد النبوي.

قال ابن عثيمين ﭬ: رداً على شبهة عباد القبور الذين يحتجون بدفن النبي ﷺ في المسجد النبوي. يقول: فالجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر، بل بني المسجد في حياة النبي ﷺ.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد، بل دفن في بيته.

الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول ﷺ ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك عام ٩٤هـ -أربعة وتسعين هجرية- تقريبا؛ فليس مما أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه، مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف أيضًا سعيد بن المسيب من التابعين؛ فلم يرضَ بهذا العمل.

---

(١) رواه أحمد في مسنده – مخرجا (٢٧). حديث قوي بطرقه (المحققون).

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد، حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد؛ فليس المسجد مبنياً عليه، ولهذا جُعل هذا المكان محفوظاً ومحوطاً بثلاثة جدران، وجُعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة، أي مثلث، والركن في الزاوية الشمالية، بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه منحرف وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور بهذه الشبهةا.هـ[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: من وصايا النبي ﷺ قبل موته بخمس ليالٍ: ما حدَّث به جُنْدبُ بن عبدالله، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥١٢-٥١٣).

مِنكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ الله تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[١].

والخلة فوق المحبة. والخليل هو المحبوب غاية الحب؛ وإنما كان ذلك؛ لأن قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلة غيره[٢].

قوله: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»، فيه بيان أن الصديق أفضل الصحابة. وفيه الرد على الرافضة وعلى الجهمية وهما شر أهل البدع. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد[٣].

وهذا النهي المتكرر من النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد حتى قبيل موته ﷺ يدل على تعظيم هذه المسألة، وأثرها السيئ في انتشار الشرك، وهذا ما يؤيده الواقع السيئ للذين يتخذون القبور مساجد، حيث تحولت هذه القبور إلى أوثان تعبد من دون الله تعالى.

قال ابن القيم: وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عُدم من (لا إله إلا الله) فإن هذا وأمثاله من

(١) رواه مسلم (٥٣٢).
(٢) فتح المجيد.
(٣) فتح المجيد.

النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه، أن يُعدل به سواه، فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابا لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين..ا.هـ[1].

نعوذ بالله من الغي والضلال، وصدق الله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) فتح المجيد.

كتاب التوحيد (٢١) باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والضر والنفع، والإحياء والإماتة، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حذر أمته من الغلو في قبره، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد:٢٨].

عباد الله: لقد جاءت الشريعة بسد ذرائع الشرك، وبينت أن الغلو في الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، فالواجب على المؤمن أن يجتنب الغلو بأنواعه، سواء في الأمكنة أو في الأزمنة أو في الأشخاص؛ وهو من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في النار[١].

فالغلو في قبور الأنبياء والصالحين بالبناء عليها، والصلاة عندها، وغير ذلك من أنواع الغلو يجعلها أوثاناً تعبد من دون الله تعالى؛ لأنه يورث التأله والعبادة شيئاً فشيئاً؛

---

(١) شرح فتح المجيد: الغنيمان.

ويدل لذلك: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).

وروى مالك في الموطأ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٢).

وفي هذا الحديث: التنبيه على الحكمة من النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وهي: أن ذلك من أعظم أسباب الشرك، حيث أن البناء عليها يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله تعالى.

قوله: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ» قد استجاب الله دعاءه كما قال ابن القيم رحمه الله:

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان

ودلَّ الحديث على أن قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثناً، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه. ودلَّ الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها. وقد عظمت الفتنة بالقبور لتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة، إذا غُيّرت قيل: غيرت السنة» ا.هـ.

وفيه: أن النبي ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

---

(١) رواه أحمد في مسند (٧٣٥٨)-وصححه الألباني في أحكام الجنائز.

(٢) موطأ مالك (٨٥).

قال مجاهد رحمه الله في تفسير قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ قال: كان يَلُتّ لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره.

قال البخاري: قال أَبُو الجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّاتَ وَالعُزَّى﴾ [النجم:١٩]، «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ»[(١)].

ومعنى عكفوا على قبره: لازموه، وأقبلوا عليه، وحبسوا أنفسهم عنده، واجتمعوا حوله، فتبين بذلك أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثناً يعبد.

قال ابن خزيمة: وكذا العزى، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها.

وفي هذا التحذير من الغلو في القبور ولهذا نُهي عن تجصيصها والبناء عليها والكتابة عليها خوفاً من هذا المحظور العظيم الذي يجعلها تُعبد من دون الله، وكان الرسول ﷺ يأمر إذا بعث بعثاً: بأن لا يدعوا قبراً مشرفاً إلا سووه لعلمه أنه مع طول الزمان سيقال: لولا أن له مزية ما اختلف عن القبور؛ فالذي ينبغي أن تكون القبور متساوية لا ميزة لواحد منها عن البقية[(٢)].

ولخوف الفتنة نهى عمر عن تتبع آثار النبي ﷺ.

قال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: «أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها؛ فخاف عليهم الفتنة».

---

(١) البخاري (٤٨٥٩).

(٢) ابن عثيمين.

وقال المعرور بن سويد: «صليت مع عمر بن الخطاب ﵁ بطريق مكة صلاة الصبح. ثم رأى الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها».

وفي مغازي ابن إسحاق قال أبو العالية: «لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت -يقال له دانيال-، قال -وبأمر من عمر-: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة. فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنُعمِّيه على الناس لا ينبشونه» -لأنهم كانوا يعتقدون فيه أنه إذا حُبست السماء عنهم برزوا بسريره فيمطرون-.

قال ابن القيم: "ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار ﵃ من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به؛ ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيف ولعبدوه من دون الله".

قوله: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» فيه تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها، وأن ذلك من الكبائر.

فمجاوزة الحد في قبور الصالحين هي مجاوزة لما أمر الشارع أن تكون عليه القبور؛ لأن قبور الصالحين لا تختلف عن قبور غير الصالحين. فالغلو فيها يكون بالكتابة عليها، أو برفعها، أو بالبناء عليها، أو باتخاذها مساجد، وكل هذا من الوسائل المؤدية إلى الشرك الأكبر[1].

---

(١) التمهيد (آل الشيخ).

ومن صور الغلو في قبور الصالحين: أن تجعل وسيلة من الوسائل التي تقرب إلى الله جل وعلا، أو أن يتخذ القبر أو من في القبر شفيعاً لهم عند الله ﷻ، أو ينذر للقبر، أو يذبح له، أو يستشفع بترابه؛ اعتقاداً أنه وسيلة عند الله ﷻ، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأكبر بالله (١).

وهذا هو الواقع والمشاهد في كثير من بلاد الإسلام، والعياذ بالله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٥-٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ

(١) التمهيد (آل الشيخ)

عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[١].

وهذا الحديث يدل على تحريم زيارة النساء للقبور، بل على أنه من كبائر الذنوب؛ لأن اللعن لا يكون إلا على كبيرة، ويدل على تحريم اتخاذ المساجد والسرج عليها، وهو كبيرة من كبائر الذنوب للعن فاعله[٢].

فزيارة القبور -عباد الله- للاتعاظ والتذكر سنة، لحديث بريدة بن الحُصيب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا»[٣].

والحكمة من مشروعية زيارة القبور تتلخص في أمرين: الاتِّعاظ وتذكر الآخرة. والدعاء للموتى. ومما يدل على هذا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»[٤].

وزيارة القبور -عباد الله- أربعة أقسام:

الزيارة الشرعية: وهي الزيارة التي يكون الغرض منها الاتعاظ وتذكر الآخرة، أو زيارة الموتى للدعاء لهم. وثانيها: الزيارة المحرمة: وهي زيارة النساء للمقابر. وثالثها: الزيارة البدعية: وهي زيارة القبور لدعاء الله تعالى عندها لظنها أماكن فاضلة للدعاء، أو للتوسُّل بالموتى. ورابعها: الزيارة الشركية: وهي زيارة القبور لدعاء الموتى من دون الله، والاستغاثة بهم، أو للطواف بالقبور تعظيماً، ونحو ذلك.

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠): وقال حديث حسن، والنسائي (٢٠٤٣)، وابن ماجه (١٥٧٥)، المحقق: حسن لغيره دون ذكر السُّرُج.

(٢) ابن عثيمين.

(٣) رواه مسلم (٩٧٧).

(٤) رواه مسلم (٩٧٦).

وهذا ما يفعله بعض الحجاج الجهلة، الذين يأتون ويقولون: (المدد المدد يا رسول الله، ويقول: أغثني يا رسول الله، اكشف عني الشدة يا رسول الله، ويقول: لن يضيق بي أمر وأنت الملاذ يا رسول الله) لا شكَّ أن هذا من الشرك الأكبر -يأتي من مكان بعيد لأداء فريضة الحج، -لمحو الذنوب والسيئات- ومع ذلك يقع في الشرك المحبط للعمل والعياذ بالله-.

وشد الرحال -عباد الله- لأجل زيارة القبور محرم؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[1].

ولا يجوز أيضًا شدُّ الرِّحال بنية زيارة قبر النبي ﷺ؛ ولكن من السُّنَّة شدُّ الرِّحال لزيارة مسجده ﷺ؛ ومن أتى إلى مدينة النبي ﷺ فإنه يسنُّ للرجال: زيارة قبره ﷺ. وزيارة قبور البقيع. وزيارة شهداء أحد.

والحكمة من تحريم شدِّ الرِّحال إلى القبور: سدُّ ذريعة الشرك بتعظيمها، وعبادتها من دون الله تعالى. وإذا كان النبي ﷺ لا يجوز أن يشدّ الرحل ويسافر من أجل زيارة قبره، فغيره من باب أولى.

والبدع التي تحصل عند زيارة القبور -عباد الله- كثيرة:

منها: تخصيص أيام أو أوقات لزيارة القبور -كيوم الجمعة والأعياد مثلاً-.

ومن البدع: قصدُ القبور للدعاء عندها رجاء الإجابة، وظن إجابة الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين.

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧).

ومنها: السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين.

ومنها: قصدُ القبور للصلاة عندها أو الذِّكر.

أما بدع القبور ومنهياتها -عباد الله-:

فبناء المساجد على القبور.

ومنها: وضع القبور في المساجد.

ومنها: البناء على القبر وتزيينه.

ومنها: وضع الورود على القبور.

ومنها: تجصيص القبر. والكتابة على القبور.

ومنها: تقبيل القبور والتمسح بها، والتبرك بترابها.

وبعض الناس يقول أن هذه المسائل ليست عندنا في بلادنا، فنقول ما انتشرت في بلاد المسلمين إلا بسبب الجهل وتساهل كثير من الناس في شأن القبور وتعظيمها-فهذا يشير إلى قبر قريبه بعلامة بارزة ومشرفة، من أحجار وأصباغ وغيرها، دون سائر القبور؛ وآخر يدعو إلى وجود مظلات تقي من حر الشمس للعزاء، ومستقبلاً تكون للأموات، وهكذا.

والقبر المشرف: هو الذي يتميز عن سائر القبور؛ فلا بد أن يسوى ليساويها لئلا يظن أن لصاحب هذا القبر خصوصية ولو بعد زمن؛ إذ هو وسيلة إلى الغلو فيه[1].

قال ابن عثيمين: فالمهم أن وسائل الشرك يجب على الإنسان أن يبتعد عنها ابتعاداً

---

(١) ابن عثيمين.

عظيماً، ولا يقدر للزمن الذي هو فيه الآن، بل يقـدر للأزمـان البعيـدة؛ فالمسـألة ليسـت هينة[(١)].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم اجعل قلوبنا متعلقة بك يا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) ابن عثيمين.

كتاب التوحيد (٢٢)

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، واستقيموا على شرعه، واحذروا معصيته، فطاعته نجاة، ومعصيته هلاك، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[المائدة:٩٢].

عباد الله: وصف الله رسوله ﷺ بالحرص على أمته، ورحمته بهم، وشفقته عليهم أن يلحق بهم العنت والمشقة فقال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

فقوله: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾؛ أي: يشق على رسول الله ﷺ دخول المشقة عليكم، ولحوق الضرر والأذى بكم[١].

---

(١) التفسير المحرر (٨/٦٨٥).

وقوله: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾؛ أي:حريص على هـدايتكم ووصـول النفـع الـدنيوي والأخروي إليكم.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: تَرَكَنَا رَسُولَ الله ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَـوَاءِ، إِلَّا وَهُـوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ: ﷺ: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ»[(١)].

وقوله: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾؛ أي شـديد الرقـة والرفـق والشـفقة بـالمؤمنين، شديد الرحمة بهم[(٢)].

فاقتضت هذه الأوصاف التي وصـف بهـا رسـول الله ﷺ في حـق أمتـه أن أنـذرهم وحذرهم الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وبيّن لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهـيهم عنها، ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَـبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[(٣)].

قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»؛ قال شيخ الإسلام: أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريهـا عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٦٤٧)، وأحمد (٢١٣٦١) حديث حسن.

(٢) التفسير المحرر (٨/٦٨٧).

(٣) رواه أبو داود (٢٠٤٢) وصححه الألباني. المحققون: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»[١].

فالأفضل أن المرء يجعل من صلاته في بيته وذلك جميع النوافل؛ لقوله ﷺ: «فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»[٢]، إلا ما ورد الشرع أن يفعل في المسجد، مثل: صلاة الكسوف، وقيام الليل في رمضان، -فتجعل النوافل في البيت- حتى ولو كنت في المدينة النبوية؛ لأن النبي ﷺ قال ذلك وهو في المدينة، وتكون المضاعفة بالنسبة للفرائض أو النوافل التي تسن لها الجماعة[٣].

وقال ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[٤].

وقوله: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا »؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:"العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك".

وقال ابن القيم رحمه الله: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد. فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيدا. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٢) ومسلم (٧٧٧)واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٧٣١) ومسلم (٧٨١).

(٣) ابن عثيمين (٥٧٣/١).

(٤) رواه مسلم (٧٨٠).

فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر".

قوله: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله: "يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبُعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدا".

وهذا الحديث: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»؛ دل على مسائل منها:

١- تحريم اتخاذ قبر النبي ﷺ عيداً، بأن يعتاد المجيء إليه على وجه مخصوص، واجتماع معهود، كما هو حال الأعياد، ومن ذلك أن يتخذ قبره عيداً للصلاة والدعاء وغير ذلك من وسائل الشرك، كما اتخذ المشركون أعياداً زمانية ومكانية.

٢- إذا كان هذا حراماً في قبر النبي ﷺ فمن باب أولى أن يكون حراماً في جميع القبور؛ لأن قبره ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان.

٣- تحريم قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها؛ لأن ذلك نوع من اتخاذها عيداً.

٤- تحريم شدِّ الرَّحل إلى قبره ﷺ أو غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعياداً، وهو من أعظم أسباب الإشراك بها.

ولذلك دعا النبي ﷺ ربَّه جل وعلا أن لا يُتخذ قبره وثناً يعبد من دون الله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ

أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: وعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ أَنَّهُ رَأَى رَجُلا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو فَنَهَاهُ فَقَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ»[2].

قوله: «فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو فَنَهَاهُ»؛ هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ما علمت أحدا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدا، ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه؛ لأن ذلك لم يشرع، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن

---

(١) مسند أحمد (٧٣٥٨).

(٢) الأحاديث المختارة (٤٢٨) –حديث حسن بمجموع طرقه، تخريج كتاب التوحيد–.

السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: «ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».
وكان الصحابة والتابعون ﷺ يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم؛ بل نهاهم عنه في قوله: «لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني». فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد. وكانت الحجرة في زمانهم يُدخَل إليها من الباب، إذ كانت عائشة ﵂ فيها، وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج، كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج.

وفضل الصلاة على النبي ﷺ معروف، «فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[1]؛ فصلاة الله على المرء ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، كما قال أبو العالية؛ فمن صلى على محمد ﷺ مرة أثنى الله عليه في الملأ الأعلى عشر مرات، وهذه نعمة كبيرة[2]. وهناك

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) ابن عثيمين (١/٥٧٦).

ملائكة تبلغه السلام، كما ورد عَنْ عَبْدِ اللهَّ-ابن مسعود- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «إِنَّ للهَّ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[1].

والمقصود: أن الصحابة ﷺ لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر، كما كان ابن عمر يفعله. «كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبا بكر. السلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف» **وبالجملة** فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنتمسك بهدي النبي ﷺ، فإن هديه خير الهدي، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم اجعل قلوبنا متعلقة بك يا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) رواه النسائي (١٢٨٢) وصححه الألباني.

كتاب التوحيد (٢٣)

باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ وهو المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والضر والنفع، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه ،﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وأفردوه بالعبادة، واحذروا مخالفته،﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: الشرك أمره عظيم، وخطره جسيم، ولذلك حذر النبي ﷺ منه أشدَّ التحذير، وخاف على أمته من الوقوع فيه. فالشرك لا يغفره الله، وهو ضلال كبير، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وقد يظن بعض الناس أنه بعد انتشار الإسلام والتوحيد، وظهور العلم والمعرفة، وانتشار العلماء في كل مكان أنه لا يمكن أن يقع الشرك في هذه الأمة، وأنه لا يمكن أن ترجع للشرك مرة أخرى، وهذا الظن غير صحيح، بل إن الشرك سيقع في هذه الأمة، ولهذا أخبر النبي ﷺ في أكثر من حديث عن وقوع الشرك في هذه الأمة، فمن نجاه الله من الشرك فليحمد الله على هذه النعمة العظيمة، وليحذر من الوقوع فيه.

عباد الله: لقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم عن وقوع الشرك في الأمم السابقة، وقد أخبر النبي ﷺ بأن هذه الأمة سوف تتبع سنن الأمم الماضية، فيلزم من هذا وقوع الشرك في هذه الأمة، فلهذا كان الواجب علينا الحذر منه.

والدليل على وقوع الشرك في الأمم الماضية: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

والجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر؛ والطاغوت: الشيطان.

والمعنى: يقول الله لنبيه ﷺ على وجه التعجب والاستنكار! ألم تنظر إلى هؤلاء اليهود والنصارى الذين أُعطوا حظاً من كتاب الله الذي فيه بيان الحق من الباطل، ومع هذا يصدقون بالباطل من عبادة الأصنام والكهانة والسحر، ويطيعون الشيطان في ذلك.

فإذا كان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، فهذه الأمة التي أوتيت القرآن لا ينكر ولا يستبعد أن تعبد الجبت والطاغوت؛ لأن الرسول ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة من يفعل مثل فعل اليهود والنصارى موافقةً لهم ولو كان يبغضها ويعرف بُطلانها(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]. والمعنى :يقول تعالى لنبيه: قل لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هُزُواً ولعباً من أهل الكتاب: هل أخبركم بمن ينال شر الجزاء يوم القيامة عند الله؛ إنه من اتصف بهذه الصفات التي هي الإبعاد عن رحمة الله، ونيل

---

(١) الملخص لصالح الفوزان.

غضبه الدائم، ومن مُسخت صورته ظاهراً بتحويله إلى قردٍ أو خنزير، وباطناً بطاعة الشيطان وإعراضه عن وحي الرحمن.

وهذه الصفات إنما تنطبق عليكم يا أهل الكتاب ومن تشبه بكم لا علينا.

فإذا كان في أهل الكتاب من عبَد الطاغوت من دون الله، فكذلك يكون في هذه الأمة من يفعل ذلك[١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، والمعنى: يخبر تعالى عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف، على وجه الذم لهم، أنهم قالوا لنتخذن حولهم مصلى، يقصِده الناس ويتبركون بهم.

وفيها دليل على أنه سيكون في هذه الأمة من يتخذ المساجد على القبور، كما كان يفعله من كان قبلهم[٢].

والدليل على أن هذه الأمة ستفعل مثلما فعلت الأمم قبلها: حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»[٣].

فيخبر ﷺ خبراً معناه النهي عما يتضمنه هذا الخبر: أن أمته لا تدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كلَّه، لا تترك منه شيئاً ولو كان شيئاً تافهاً. ووصف مشابهتهم

---

(١) الملخص لصالح الفوزان.

(٢) الملخص لصالح الفوزان.

(٣) رواه البخاري (٣٤٥٦)، (٧٣٢٠) وهذا لفظه، ومسلم (٢٦٦٩).

بأنها: «شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، ثم وصفها بما هو أدق في التشبه بهم؛ بحيث لـو فعلـوا شيئاً تافهاً غريباً لكان في هذه الأمة من يفعله تشبُّهاً بهم.

وفي هذا الحديث: دليل على وقوع الشرك في هذه الأمة؛ لأنـه وُجـد في الأمـم قبلنـا، ويكون في هذه الأمة من يفعله اتباعاً لهم(١).

وهذا علمٌ من أعلام نبوته ﷺ، حيث أخبر بذلك قبل وقوعه، فوقع كما أخبر(٢).

ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسـد مـن عُبادنا ففيه شبه من النصارى. ا.هـ(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْـتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسـلم وبـارك عليـه، وعـلى آلـه وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

---

(١) الملخص لصالح الفوزان.

(٢) الملخص لصالح الفوزان.

(٣) فتح المجيد لعبدالرحمن التميمي.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

عباد الله: لقد أخبر النبي ﷺ في أكثر من حديث عن وقوع الشرك في هذه الأمة، وما أخبر به النبي ﷺ واقع لا محالة، وهذا يوجب علينا ثلاثة أمور:

أولها: معرفة الشرك؛ لأن من جهله فهو حريٌّ أن يقع فيه وإن لم يشعر.

وثانيها: الحذر من الشرك، والخوف من الوقوع فيه.

وثالثها: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك.

والدليل على هذا: حديث عَائِشَةَ ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣] أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا؟ قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»[١].

وحديث ثوبان ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٧).

أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

ورواه أبو داود وزاد: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»[٢].

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ» هذا هو الشاهد من الحديث؛ ومعنى إلحاقهم بالمشركين: إما أنهم يدخلون في دينهم، ويرتدُّون وإن كانوا في بلادهم، أو أنهم يذهبون إلى المشركين في بلادهم ويكونون معهم؛ ومن تتبع الأحوال ونظر، سيجد الأمرين قد وقعا، ويقعا[٣].

وهذا علمٌ من أعلام نبوته ﷺ، حيث أخبر بذلك قبل وقوعه، فوقع كما أخبر.

عباد الله: للعلم بوقوع الشرك في هذه الأمة فوائد:

منها: الحذر من الوقوع في الشرك، فما دام أنه قد أخبر النبي ﷺ بوقوعه فلا بد أنه سيقع، وهذا يجعلنا نحذر من أن نقع فيه.

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) أبو داود (٤٢٥٢) وصححه الألباني.

(٣) الغنيمان.

ومنها: تحذير الناس من الوقوع فيه، فإن الشرك لا يمكن أن يقع في هذه الأمة إلا بسبب الجهل، وليس المراد الجهل بالقراءة والكتابة، وإنما الجهل بحقيقة الدين، فقد يكون مع المرء أكبر الشهادات، ومع هذا فإنه يقع في الشرك الأكبر بسبب جهله بالدين الصحيح الذي جاء به النبي ﷺ.

ومنها: الردُّ على من زعموا أن الشرك لا يقع في هذه الأمة، وبنوا على هذا الفهم الخاطئ أن كل مظاهر الشرك التي وقعت في الأمة على مرِّ التاريخ أنها ليست من الشرك، وإنما هي مجرد معاصٍ فحسب، أو أنها نوع من العبادة الصحيحة.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحذر من الشرك؛ فعن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ قال: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﵁ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟»، قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»[١].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللَّهُمَّ إِنَّا نعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ وَنحن نعْلَمُ، وَنسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نعلَمُ.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) صححه الألباني في الأدب المفرد (٧١٦).

كتاب التوحيد (٢٤) باب: ما جاء في السحر

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، فلا مؤخر لما قدمه، ولا مقدم لما أخره، تفرد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء؛ المغيثُ لجميع مخلوقاته فما استغاث ملهوفٌ إلا نجَّاه، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وأفردوه بالعبادة، وعلقوا قلوبكم به، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: عمل مشين، وجرم خطير، يُمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويفسد المجتمعات، وهو ظلم واعتداء وطغيان، وقد يخرج الإنسان من دينه والعياذ بالله؛ ألا وهو السحر -عباد الله-.

فالسحر: عزائم ورُقى وعُقَد، وهو عملٌ شيطانيٌّ يؤثِّر في القلوب والأبدان، ومنه تخييلاتٌ تؤثِّر في الأبصار لا حقيقة لها.

والسحر أنواع كثيرة -عباد الله-، أشهرها ثلاثة أنواع:

النوع الأول: سِحرُ التَّأثير:

وهو: الذي له حقيقة وأثر في الخارج، وهو: السحر الشيطاني، ويتم عن طريق كلام يتكلم به الساحر مع تَدْخِيناتٍ ونَفْثٍ، فتعينه الشياطين على تنفيذ مطلوبه، فيؤثر في القلوب والأبدان، فيُمرِضُ أو يُضعف البدن أو يقتل.

ومن صور هذا النوع: سحر النَّفْثِ في العُقَدِ.

وسِحرُ التِّـــولَةِ وهو: ســحر العطف والصّـَرف، الــذي يفرِّق بين المرء وزوجه، أو يصرف رجلاً لمحبــة امـرأة، أو امـرأة لمحبــة رجــل، ومنــه: ربط الرجـل عن زوجته.

وهذا النوع تعلمه واستعماله كُفرٌ وشِركٌ، ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِـنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَـا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَـيْنَ الْمَـرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَـنْفَعُهُمْ وَلَقَـدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَـلَاقٍ ﴾ [البقرة:١٠٢]. والشـاهد مـن هـذه الآيـة: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾، والذي لا نصيب لـه في الآخـرة مطلقاً هو الكافر.

وقول الله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّـاغُوتِ ﴾ [النسـاء:٥١] قـال عمـر: (الجبـت): السحر، (والطاغوت): الشـيطان. وقـال جـابر: الطواغيـت: كهـان كـان ينـزل علـيهم الشيطان في كل حي واحد.

وقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَـاتِ فِي الْعُقَـدِ ﴾ [الفلـق:٤]، فالنفـث في العُقـد مـن السِّحر الحقيقي الذي نزلت فيه هذه الآيات، ولهذا كان كفراً.

وهذا النوع كفر وشرك، لما فيه من الاستعانة بالشياطين، والاستغاثة بهـم وعبـادتهم من دون الله تعالى بأي نوع من أنواع العبادة.

والنوع الثاني -من أنواع السحر-: سِحرُ التَّخْيِيل:

وهو: الذي ليس له حقيقة وأثر في الخارج، وإنما يتم بالتأثير على الأبصار بطرق خَفِيَّةٍ، أو بالاستعانة بالشياطين حتى يُري الناسَ تهويلات وتغيُّرات لا حقيقة لها.

ومن صور هذا النوع: أن يُري الساحرُ الناسَ أنه يطير في الهواء وهو لم يطِرْ حقيقةً، أو أنه يَقطعُ رأسَه أو رأسَ غيره ثم يعيده، أو أنه يدخل في جوف حيوان من فمه، ثم يخرج من دُبُرِهِ.

ومن صوره: سِحْرُ سَحَرَةِ فرعون، حيث أروا الناس أن الحبال والعصي صارت ثعابين تسعى، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه:٦٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٦].

وهذا النوع كفر لعدة أسباب:

منها: أن الله تعالى سماه سحراً كما في قصة سحرة فرعون، وهو ﷻ قد حكم بأن السحرَ كفر كما في الآيات السابقة.

ومنها: أن الله تعالى وصف سِحرَ سحَرة فرعون وهو السحر التخييليُّ بأنه سحر عظيم، فقال تعالى: ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف:١١٦].

ومنها: أن الله تعالى حكم على أصحاب السحر التخييلي بأنهم لا يفلحون، فقال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه:٦٩] ولا ينفى الفلاح المطلق عن أحد إلا ويكون كافراً.

وهذا النوع كفر: لما فيه من ادعاء شيء من خصائص الربوبية، مثل: عمل خوارق العادات التي هي في الأصل مما اختص الله تعالى به، فيما يؤيِّد به رسله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ أو

الصالحين من عباده.

وهو كفر: لأنهم لا ينفكُّون في كثير من أحوالهم عن الاستعانة بالشياطين، والاستعانةُ بهم لا تكون إلا كفراً.

النوع الثالث من أنواع السحر -عباد الله-: سِحرُ الخِداع والتَّمويه والخِفَّةِ.

بحيث يفعل الساحر بخفَّة يده أشياء يخدع بها العيون حتى تَرى ما ليس واقعاً.

ويطلق على هذا النوع من السحر: الشَّعوذة، وهو في الحقيقة سحر مجازي لا حقيقة له، لكنه يسمى سحراً لأسباب منها: خفاؤه على المشاهدين. ومنها: خِفَّة يدِ صانعه، وإخفاؤه الحيلة على من يشاهده.

ومنها: أن من يفعلونه يطلقون عليه سحراً تشبيهاً له بالسحر الحقيقي، وتلبيساً على الناس.

وهذا النوع حرام وكبيرة من كبائر الذنوب، لأسباب منها:

أنه ذريعة للسحر الذي هو كفر، وهو السحر الحقيقيُّ والتخييليُّ وسبب في انتشاره.

وهو كبيرة من كبائر الذنوب: لأن سَحَرَةَ هذا النوع يمارسون أعمالهم باسم السِّحر، ويلبِّسون على الناس بأنهم سَحَرَةٌ حقيقيون مع تهوين أمره عند الناس.

وهو حرام: لما فيه من التمويه والخداع والكذب.

وهو حرام: لما فيه من الإضرار بالآخرين وإيذائهم.

وهو منهي عنه: لتسمية فاعليها لها بأنها سِحرٌ، وهذا يجعلها عند الناس كما لو كانت سحراً حقيقياً، فهي داخلة في عموم حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا

السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ»(١)، ولا يمكن اجتناب السحر الاجتناب الكامل إلا باجتناب كلِّ ما يوصل إليه، ومنه السحر المجازي.

وقد وقع السحر لسيد الخلق ﷺ؛ فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، -وأنه قال لها ذات يوم-: «جَاءَنِي رَجُلانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ، قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ»(٢).

ويدلنا هذا الحديث على أن السحر قد يؤثر في أي إنسان كان، وقد لا تمنع منه التعوذات والأوراد والأذكار وقد لا تنفع، فالرسول ﷺ هو أكمل الخلق، وقلبه دائماً مع الله جل وعلا، وكذلك هو بنفسه دائماً في عبادة وذكر، ومع ذلك حصل له ما حصل(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٩٨-٩٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٦).

(٣) شرح فتح المجيد لعبدالله الغنيمان.

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: إذا علم الإنسان حكم السحر، فيتساءل بعد ذلك عن عقوبته؛ فنقول: الساحر الذي يستعمل سحر التأثير والتخييل اللذين هما كفر عقوبته القتل كما ذهب إليه جمهور أهل العلم.

ودليل ذلك: أن السحر كفر وردة عن دين الإسلام، ولهذا ذكره العلماء في باب الردة، وذُكر في نواقض الإسلام؛ وعقوبة المرتد القتل، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رَسُولِ اللهَّ ﷺ قال: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1].

وكذلك: قتل الساحر ثابت عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم بعض الخلفاء الراشدين، قال الإمام أحمد رحمه الله: ثبت قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم عمر، وحفصة، وجندب رضي الله عنهم:

١- قال بجالة بن عبدة التميمي التابعي: «أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ رضي الله عنه قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، فَقَتَلْنَا ثَلاثَةَ سَوَاحِرَ»[2].

---

(١) رواه البخاري (٦٩٢٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦٥٧) وإسناده صحيح، وأبو داود (٣٠٤٣) وصححه الألباني.

٢- وعن أمِّ المؤمنين حَفْصَةَ ﵂، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ جَارِيَةً لَهَا سَحَرَتْهَا، «فَأَمَرَتْ بِهَا فَقُتِلَتْ»[١].

٣- وعن جندب الخير الأزدي ﵁ أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات[٢].

ومما يدل على عقوبته: أن الساحر الذي يستعمل سحر الخداع والتمويه والخفة الذي هو معصية وليس بكفر، عقوبته التعزير البليغ الذي يردعه ويكف شره. وتقدير ذلك راجع إلى ما يراه ولي الأمر أو القاضي النائب عنه للنظر في أمرهم.

أما عقوبة الساحر في الآخرة -عباد الله-:

فالسحر من الذنوب المهلكة، فهو يهلك صاحبه في الآخرة، وقد قرنه النبي ﷺ بالشرك بالله تعالى لأنه نوع من أنواعه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»[٣].

وفي هذا الحديث أمرٌ من الرسول ﷺ باجتناب السحر ، وهذا يدل على وجوب الابتعاد عنه، وتجنب جميع الوسائل الموصلة إليه؛ لأن معنى التجنب: الابتعاد عن الشيء وما يوصل إليه.

(١) رواه مالك في الموطأ (١٤)، المعجم الكبير للطبراني (٣٠٣).
(٢) صححه الألباني موقوفاً: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٤٤٦).
(٣) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

والسحر -عباد الله- نوع من أنواع الشرك؛ لأنه لا يتوصل إليه غالباً إلا بالشرك بالله تعالى. فالساحر لا يتوصل للسحر الحقيقي إلا بمعونة الشياطين، وهم لا يمكن أن يعينوه حتى يتقرب إليهم بما يرضيهم من الكفر بالله تعالى والشرك به، ومن ذلك: أن يذبح لهم، أو يأمر بالذبح لهم من دون الله تعالى، أو يسجد لهم، أو يستغيث بهم، أو يطيعهم في إهانة القرآن الكريم بأن يكتبه بالقاذورات والنجاسات، أو يتخذه نعلاً فيمشي عليه، أو غير ذلك من أنواع الكفر.

والسحر نوع من أنواع الشرك: لأن السحرة يُظهرون للناس أن لهم القدرةَ على التصرف في الكون وفي خلق الله تعالى بأسباب خفية غير ظاهرة، مثل: الإحياء والإماتة، والشفاء والإمراض، وصرف المحب عن حبيبه، وعطف قلب شخص على من لا يحبه، وعمل الخوارق الخارجة عن قدرة الناس كالطيران، ومعرفة المغيبات وموضع المفقودات، وهذه في حقيقتها لا تكون إلا لله تعالى، ويؤيِّد بها من شاء من أنبيائه ورسله عليهم السلام، فهم بدعواهم هذه شاركوا الله تعالى في شيء من خصائص ربوبيته.

والواجب علينا -عباد الله- أن نتقي الله، وأن نحذر السحر بأنواعه، وأن نتعاون في الإبلاغ عن كل من يعلم عنده شعوذة، أو استخداماً لشيء من الخرافات، أو السحر، ونحو ذلك، إبراءً للذمة، وإنكاراً للمنكر؛ لأنه كما قال الأئمة: ما دخل السحرة إلى بلد إلا فشا فيها الفساد، والظلم، والاعتداء، والطغيان؛ ذلك لأنهم يستخدمون الشياطين ،فتطيع الشياطين السحرة، أعاذنا الله منهم، ومن أقوالهم، وأعمالهم وتأثيراتهم[١].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٣٢٤).

اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٢٥)

باب: بيان شيء من أنواع السحر

الخطبة الأولى:

﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾[المؤمنون:١١١]، وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو، ولا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، المستحقُّ لجميع أنواع العبادة، ولذا قضى أن لا نعبُدَ إلا إياه، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢]، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد:٢٨].

عباد الله: السحر أنواع كثيرة؛ منها: ما هو سحر حقيقي، ومنها: ما هو ملحق بالسحر، لأنه يعمل عمل السحر، ومنها: ما يكون ملحقاً به ولو من جانب يسير.

وهذه بعض الأنواع التي تكون متلبسة على كثير من الناس، بل قد تنعكس القضية؛ ويصبح الذي عنده شيء من السحر يُعتقد أنه وليٌّ من الأولياء، وهذا من أكبر الخطأ ومن أعظم الجهل والتخليط والتلبيس(١).

---

(١) شرح فتح المجيد: الغنيمان.

ورد في الحديث عن قَطَن بْن قَبِيصَة، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ»[1].

لما كان المسلمون في أول الإسلام على جانب كبير من عادات الجاهلية المترسبة من الماضي في أذهانهم، شرع الإسلام في تطهيرهم من تلك الخرافات التي لا تستند إلى دليل شرعي، ولا حجة عقلية سليمة، ولا تجربة صادقة مشاهدة، ومن ذلك العيافة: التي هي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ومَمَرِّها.ومنها الطرق: وهو الخط في الرمل ورمي الحصى؛ ومن هذا القبيل ما يسميه بعض الناس قراءة الفنجان، أو ما أشبه ذلك من الأمور المستحدثة، وكلها من أوهام الشيطان؛ وقد تغير أسلوب الكهنة والسحرة في هذه الأيام، فصاروا يسمون بعض هذه الأمور: التنويم المغناطيسي، وقد يسمونه: تحضير الأرواح، وما أشبه ذلك من الأمور التي هي محرمة، بل هي شركية من الشرك؛ يفعلونها للوصول إلى السحر والكشف عن المغيبات. ومنها الطيرة: التي هي التشاؤم بمرئي أو مسموع، وقد بين رسول الله ﷺ أن هذه الثلاث من السحر؛ وقد تقرر عند المسلمين بأدلة شرعية أن تعاطي السحر وتعلمه وتعليمه حرام، يجب اجتنابه والتبرؤ منه ومن أهله[2].

فالواجب على العبد أن يجتنب كل محرم حرمه الله ﷻ وحذر منه رسولنا ﷺ من هذه الأمور، وإن كانت هذه يفعلها الجهال أو يفعلها الذين يتكسبون بالأمور الوهمية ويدجلون على الناس فيجب أن تُمنع، وأن يُتنبه لها، وأن يُعلم أنها ضلال وباطل، وأن

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠٦٠٤)، وأبو داود (٣٩٠٧).

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد: مُحَمَّد القرعاوي (ص٢٢٧-٢٢٨).

الغيب بيد الله جل وعلا، والتصرف بيده، ولا أحد يملك من ذلك شيئاً[١].

والتنجيم -عباد الله- نوع من السحر، لما ورد في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»[٢].

فلما كان الغيب من الأشياء التي استأثر الله بها، أبطل النبي ﷺ كل محاولة للاستكشاف والاطلاع على أسراره، ومن ذلك التنجيم الذي هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، فقد بين ﷺ أن تعلم هذا ضرب من السحر، وأنه كلما أكثر الإنسان منه فقد أكثر من السحر[٣].

قال ابن عثيمين: والمراد به هنا علم النجوم -من قسم: علم التأثير- الذي يستدل به على الحوادث الأرضية؛ فيستدل مثلا باقتران النجم الفلاني بالنجم الفلاني على أنه سيحدث كذا وكذا. ويستدل بولادة إنسان في هذا النجم على أنه سيكون سعيداً، وفي النجم الآخر على أنه سيكون شقياً؛ فيستدلون باختلاف أحوال النجوم على اختلاف الحوادث الأرضية؛ والحوادث الأرضية من عند الله وليس للنجوم بها علاقة.

وأما محاولات استكشاف المجهول بالأسباب المادية المشاهدة، كمحاولات استكشاف الفضاء وغيره، لا يعد من السحر. وهو ما يسمى: (علم التسيير)، وهو الذي يستدل به على الجهات والأوقات؛ فهذا جائز[٤].

(١) شرح فتح المجيد: الغنيمان.
(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٥) وهذا لفظه، وحسنه الألباني ، وابن ماجه (٣٧٢٦)، ومسند أحمد (٢٨٤٠).
(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد: القرعاوي (ص٢٢٩).
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٣٥-٣٧)]، الجديد في شرح كتاب التوحيد: القرعاوي (ص٢٣٠).

والمراد بالسحر هنا: ما هـو أعـم مـن السـحر المعـروف؛ لأن هـذا مـن الاسـتدلال بالأمور الخفية التي لا حقيقة لها، كما أن السحر لا حقيقة لـه؛ ولا يقلـب الأشـياء، لكنـه يموه، فهكذا اختلاف النجوم لا تتغير بها الأحوال[1].

قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علـم النجـوم مـن السـحر. وقـال تعالى: ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه:٦٩][2].

ووجه العلاقة بين التنجيم والسحر: أنهما مشتركان في أمور أهمها:

١- دعوى علم الأمور المغيَّبة.

٢- ومنها: التلبيس على الناس بادعاء أمور خفية غير ظاهرة للآخرين.

٣- ومنها التهويل على الناس، بأنه سيحصل كذا وكذا مما قد يخافه الناس.

٤- وأنهما قد يشتركان في الاستعانة بالشياطين لمعرفة المغيَّبات.

ومن أنواع السحر -عباد الله-: عقد العقد ثم النفث فيها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَـنْ سَـحَرَ فَقَـدْ أَشْرَكَ، وَمَـنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[3].

فكل من حاول السحر، وذلك بأن عقد الخيوط من أجل السحر ونفـخ فيهـا نفخـاً ممازجاً للريق مستعيناً بالأرواح الخبيثة، فقد اعتبر ساحراً، ومن سحر فقد اعتبر مشـركاً؛ وذلك لأن السحر لا يتأتى إلا بوسائل شركية، وأنَّ من اعتمد عـلى شيء وُكِـلَ أمـرُهُ إلى

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٣٥-٣٧).

(٢) فتح المجيد (ص٢٤١).

(٣) رواه النسائي (٤٠٧٩) وضعفه الألباني، وحسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/٨٢).

ذلك الشيء، فمن علق قلبه بالله واطمأن إليه كفاه، ومن ركن إلى المخلوقين من السحرة وغيرهم أتاه الشر في الدنيا والآخرة من جهتهم معاقبة له بنقيض قصده؛ لأنه اعتمد على غير الله، والله كاف عبده[(١)].

وقوله: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ» أي أنَّ السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة، حتى ينعقد ما يريدون من السحر؛ قال ابن القيم في قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك، والنفث هو النفخ مع الريق، وهو دون التفل. والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقدة نفخاً معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نَفَسٌ ممازج للشر والأذى، مقترن بالريق الممازج لذلك، وقد تَسَاعَدَ هو والروح الشيطانية على أذى المسحور فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري لا الشرعي[(٢)].

وقوله: «وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ» نص في أن الساحر مشرك؛ إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك.

وقوله: «وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» أي من تعلق قلبه شيئا؛ بحيث يعتمد عليه ويرجوه، وكله الله إلى ذلك الشيء. فمن تعلق على ربه وإلهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه، كفاه ووقاه وحفظه وتولاه، فنعم المولى ونعم النصير. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر:٣٦]. ومن تعلق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين،

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد: القرعاوي (ص٢٣١).

(٢) فتح المجيد (ص٢٤١)، بدائع التفسير (٣/٤١٠).

وكله الله إلى من تعلقه فهلك، ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق ونظر بعين البصيرة رأى ذلك عيانا، وهذا من جوامع الكلم[(١)].

وللأسف فإن السحر قد كثر في الناس اليوم، وكثير منهم يتعاطاه؛ وذلك لانعدام الإيمان عند الكثير منهم، فلما انعدم الإيمان عندهم أصبحوا يتعلقون بالشياطين التي تعلمهم السحر[(٢)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[هود:١٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: والنميمة نوع من أنواع السحر؛ فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ -الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ-»[(٣)].

---

(١) فتح المجيد (ص٢٤٢).

(٢) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

(٣) رواه مسلم (٢٦٠٦).

فلما كان السؤال يثير تطلع المخاطبين واشتياقهم، ويسترعي انتباههم إلى ما يقول المتكلم، سأل النبي ﷺ الصحابة عن معنى العَضْهِ، ثم أجاب نفسه بنفسه قائلاً: هي النميمة؛ وذلك لما يخالط النميمة من البهتان وقَصْدِ الإضرار بالناس مما يُفرِّق بين المتآلفين، ويقطعُ الصلةَ بين المتقاربين، ويملأُ الصدورَ غيظاً وحقداً، كما هو المشاهد بين الناس[1].

والقالة بين الناس انتشرت بين الناس مع أنها إثم كبير، وهي من أسباب إحباط العمل ، ومن أسباب عذاب القبر، -نسأل الله العافية-.

والنميمة شبيهة بالسحر، ولهذا جاء عن يحي بن أبي كثير رحمه الله أنه قال: «يُفسد النمام والكذابُ في ساعة ما لا يُفسد الساحر في سنة»[2]؛ وذلك لأنه يفرق بين الأحبة ويغري الصدور بفعله، فشبهت بالسحر وألحقت به من هذا القبيل؛ لأن فيها الإفساد والتفريق بين الأحبة، فقد تفرق بين المرء وزوجه، وبين الصديق وصديقه، وبين الأخ وأخيه، وهذا فعل الساحر، فصارت النميمة شبيهةً بالسحر بالفعل، ولكن السحر يفارقها أنه كفر، وأنه تعلم من الشيطان، وهذه ليست كذلك، وهي من المحرمات. وفي الحديث: (لا يدخل الجنة نمام)، فهي من أكبر الذنوب وأعظمها[3].

فعلى المسلم أن يبتعد عن الأسباب التي تزرع العداوة والبغضاء.

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد: القرعاوي (ص٢٣٣).

(٢) حلية الأولياء (٣/٧٠).

(٣) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

ومن أنواع السحر -عباد الله-: البيان الذي فيه قلب للحقائق وتمويه على السامع وتلبيس؛ فعن ابن عُمَرَ، أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[(١)].

فلقد شبه النبي ﷺ بعض البيان بالسحر، وذلك ذمٌّ منه لما يفعله بعض الفصحاء المبطلين؛ من تصويب الباطل وتحسينه، وإبطال الحق وتَشْيِينِه، ليَذُرَّ الرماد في العيون، ويقتطعَ حقوقَ الناسِ بالزيف والبهتان، فيستميل به قلوب الجهال، حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق؛ والذي يحضرُ المخاصماتِ في المحاكم وغيرها يرى مصداقَ هذا الحديث[(٢)].

نسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحذر من الوقوع في السحر وأنواعه، ولنعلق قلوبنا بالله، فهو النافع الضار وعليه التكلان. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) رواه البخاري (٥١٤٦) ومسلم (٨٦٩).

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد: القرعاوي (ص٢٣٥).

كتاب التوحيد (٢٦)

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، تفرد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء؛ العليمُ الخبيرُ فلا يخفى عليه ما أسرَّهُ العبد وأضمره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، وتوكلوا عليه، وعلقوا به قلوبكم، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

عباد الله: إن كثيراً من أمراض الشبهات والشهوات ترتبط بتعلق القلب بغير الله، فأولئك الذين يلجؤون للسحرة والكهنة ويصدقون المشعوذين، وأولئك الذين يسيطر عليهم التطير والتشاؤم وسائر الأساطير إنما أوتوا من تعلق قلوبهم بغير الله تعالى.

وأصحاب الشهوات الذين فتنوا بها كذلك، فقلوبهم قد تعلقت بها واتجهت إليها وصارت هي قبلتهم[(١)].

---

(١) كنوز رياض الصالحين (١٩/٦٠٥).

ومن الأمور التي تعلقت بها قلوب من ضعف إيمانهم لمعرفة الغيبيات: الكهانة والعرافة.

فالكهانة هي: الإخبار عما يكون في مستقبل الزمان، مأخوذ من التَّكَهُّن، وهو: التَّخَرُّص. وتطلق أيضًا على: الإخبار عما في الضمير. والكاهن: هو الذي يدعي معرفة ذلك.

والعرافة هي: ادِّعاءُ معرفةِ الأمور الخفية، كالمسروقات والضوالِّ ونحوها.

قال البغوي: العرَّاف: الذي يدَّعي معرفةَ الأمورِ بمقدماتٍ يَستدِلُّ بها على المسروقِ، ومكان الضالةِ، ونحو ذلك.

وقد يطلق العرَّاف على أوسع من هذا المعنى أحياناً، فيشمل الكاهن وغيرَه: قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: العرَّاف: اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمَّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة هذه الأمور بهذه الطريقة.

والكهانة والعرافة –عباد الله– شرك أكبر:

لما تتضمنه من ادَّعاء علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، فمن ادعى معرفة المغيبات فقد نازع الله تعالى في خصائص ربوبيته.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل:٦٥]، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[الجن:٢٦-٢٧].

والكهانة والعرافة شرك أكبر: لأنهم لا يخلون غالباً من الاستعانة بالشياطين؛ والشياطين لا تعينهم حتى يشركوا بالله تعالى، بأن يذبحوا لهم، أو يهينوا القرآن الكريم، أو غير ذلك.

ويحرم -عباد الله- إتيان الكهان والعرافين وسؤالهم؛ وذلك أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، فمن سألهم عن شيء من المغيبات فقد شك في ذلك، وتسرب إلى قلبه اعتقاداً أنَّ هناك من يعلم الغيب غير الله تعالى؛ والواجب على المسلم أن يقطع أنَّه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

ومن أتى كاهناً أو عرافاً فسأله ولم يصدقه: لم تقبل صلاته أربعين يوماً؛ بمعنى أنه لا يكون له ثواب عليها.

والدليل على هذا: حديث بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[1].

وإذا كان هذا الوعيد في حق السائل، فهو في حق المسؤول وهو الكاهن والعراف أسوأ وأشرُّ وأعظم.

ومن أتى كاهناً أو عرافاً فسأله وصدَّقه فيما يقول: فقد كفر؛ والدليل على ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[2].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) رواه أحمد (٩٥٣٦)، وأبو داود (٣٩٠٤) وصححه الألباني.

(٣) مسند البزار (٣٥٧٨) -حديث حسن-.

وسبب ذلك: أن في تصديقهم تكذيباً بالوحي الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ، وقد تضمَّن أنَّ علم الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه؛ فمن صدَّقهم في دعواهم معرفة الغيب، فقد كذب القرآن والسنة.

وقد يتكهن الكاهن -عباد الله- ويخبر العراف بأشياء فتوافق الواقع؛ فأما العراف: فتعينه الشياطين على معرفة المسروقات ونحوها.

وأما الكاهن: فإنه قد يصيب الواقع لأسباب، منها:

أن يكون حادَّ الذكاء فيتفرَّس وقوع شيء بمقدمات يراها أو يسمعها فيقع كما قال، وينسب ذلك لمعرفته بالمغيبات.

وقد يكون ذلك بسبب ما تُعْلِمُه به الشياطين مما يكونون قد عَلِمُوهُ من استراق السمع قبل أن تصيبهم الشُّهب، ثم إنَّه يكذب مع ذلك كذبات كثيرة يتخرَّصُهَا، فيصيب فيها ويخطئ، ولكنَّ الناس لا تكاد تحفظ أو تنقل إلا ما أصاب فيه، فتَذْكُرُهُ، وتَنْسَى ما أخطأ فيه كثير وهو أضعاف ما أصاب فيه.

ويدل لذلك حديث عَائِشَة ﵂ قَالَتْ: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

(١) رواه مسلم (٢٢٢٨).

فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[المؤمنون:٩١-٩٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: وبعد معرفتنا للكُهَّانِ والعرَّافين، وحكم الذهاب إليهم، فلنتعرَّف على طرقهم لنحذر من الوقوع فيها.

ومن أشهر الطرق التي يتكلم بها الكُهَّانُ والعرافون عن المغيبات، وأكثرها انتشاراً:

الضرب على الرمل أو الخط على الرمل، أو الطَّرْق.

ومنها: الضرب بالحصى أو الودَعَات.

ومنها: النظر في الحروف الهجائية بطريقة أبجد هوز.

قال عبدالله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أَرَى لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ خَلَاقٍ»[١].

ومن طرق الكهان: قراءة الكف أو قراءة أسارير الكف.

---

(١) مساوئ الأخلاق: للخرائطي.

ومنها: قراءة الفنجان.

ومنها: النظر في النجوم.

ومن طرق الكهان: تحضير الأرواح.

وصورته: ادِّعاء شخص أنه يستدعي أرواحَ الموتى في الموضع الذي هو فيه، ويسألها عما يريد، وتجيبه.

وأما حكمه: فتحضير الأرواح خرافة ودَجَلٌ، وهو من أنواع السحر والكهانة، وهذه الروح التي يدَّعي إحضارَها ما هي إلا شيطانٌ من الشياطين يتكلم معه ويجيبه؛ والتصديق بتحضير الأرواح يخالف ما يعتقده المسلمون مما دلَّ عليه الكتاب والسنة فيما يتعلق بالروح، ومن ذلك:

أنَّ الروح لا ترجع للدنيا وللناس والحياة بعد فراق البدن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٣١].

وليس لأحد القدرة في التصرف في الأرواح إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

والروح في عالم البرزخ إما في نعيم، أو في عذاب؛ فإنَّ من مات فقد قامت قيامته، فهذا الذي يحضرها لا يستطيع انتزاعها من نعيمها أو عذابها؟!

إن سلامة العقيدة -عباد الله-، تحتاج إلى تطهير الفكر من الخرافات والبدع، ومن التصديق للسحرة والمشعوذين والمنجِّمين والاعتقاد في أوهامهم، ومن كل ما من شأنه الإشراك بالله وتقديس غيره تعالى.

وقد كان النبي ﷺ يُنقِّي قلوب الصحابة ﵃ ويُربِّيهم على التوحيد الخالص، ويُعرِّفُهم بربهم الذي خلقهم ورزقهم، حتى صار الصحابة الكرام أبرَّ الأمة قلوباً،

وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً[(١)].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولننقِّ قلوبنا ونخلِّصها من التعلق بغير الله؛ فالله وحده هو النافع الضار، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ والله وحده هو الذي يعلم الغيب، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات:١٨].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





(١) كنوز رياض الصالحين (١٩/٦٠٥).

كتاب التوحيد (٢٧) باب ما جاء في النشرة

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ بيده النفع والضر، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، وتوكلوا عليه، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التغابن:١٣].

عباد الله: قد يعمد بعضُ السفهاء وضعيفي الإيمان إلى التعامل مع السَّحرة للإضرار بالآخرين إذا حدث بينه وبينهم شيء من العداوة أو سوء التفاهم، مثل: أن ترفض امرأة الزواج من شخص وهذا حقُّها، فيعمد إلى سِحرها وربطها عن الأزواج، أو عكس ذلك بأن ترغب فتاةٌ أو أسرتُها بشخص للزواج، فيرفض ذلك وهذا حقُّه، فيعمدون إلى ربطه عن الزواج بالسِّحر، أو غير ذلك من الصور الناتجة عن هوى النفس أو الحقد أو العداوة.

وهذا مَسْلَكٌ خطيرٌ يجب التحذير منه، ونصح من وقع فيه أو حاول ذلك بتجنب هذه الأساليب التي لا تُثْمِرُ إلا فسادَ الدين، والخزيَ في الدنيا، وغضبَ الله وعقابَه في الآخرة، وقد اجتمع في هذا العمل آثام متعددة.

منها: التعاملُ بالسِّحرِ، وهو محرم، وكبيرة من الكبائر، وذريعة إلى الشِّرك الأكبر.

ومنها: إيذاءُ المؤمنين والإضرارُ بهم، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

وعلى من وقع في هذا الذنب العظيم أن يبادر بالتوبة إلى الله تعالى، وإزالة هذا السحر الذي عمله بأي طريق صحيح.

وإتيان السحرة أنواع -عباد الله-، وكذلك الكهنة والعرافين:

فأما إتيانهم مع تصديقهم في العلم بالمغيَّبات، أو العمل بما يأمرون به من ذبح الذبائح أو الاستغاثة بغير الله؛ فهذا كفر وشرك.

وأما إتيانهم لعمل السِّحر، فهذا إذا خلا من الشركيات، فهو كبيرة من الكبائر، ومن فعَلَهُ لم تقبل له صلاةٌ أربعينَ يوماً، كما ورد عن بَعْضِ أَزْوَاجِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[1].

وأما إتيانهم حباً في الاستطلاع والمعرفة، أو لمجرد الفُرْجَةِ والـمُشاهدة، فهذا لا يجوز إلا مع الإنكار عليهم.

وقد يطول البلاء بالإنسان من مرضٍ أو سحرٍ أو مسٍّ أو غيره، فيذهب إلى بعض السحرة لإزالة ما أصابه -وهذا ما يسمى بالنشرة-.

والنشرة -عباد الله-: حَلُّ السِّحر عن المسحور. وهي نوع من العلاج يعالج به من يُظن أن به سِحراً أو مسًّا من الجن.

وسميت بذلك: لأنه يُنشر بها عن المسحور ما خالطه من الداء، أي: يفرِّق بينه وبينه، ويُحل ويُكشف ويُزال عنه.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

والنشرة أنواع -عباد الله-:

أولها: حَلُّ السِّحر بسحر مثله؛ حيث يذهب المسحور أو أولياؤه إلى ساحر ليحلَّ لهم السحر عنه، وهذا له صورتان:

منها: أن يطلب منهم السَّاحر عملاً شركياً، مثل: الذبح لغير الله، أو التقرب للشياطين بأي قربة، أو الاستغاثة بهم، أو تعليق استغاثة شركية.

فهذه: شرك أكبر ومن عمل الشيطان. كما روي عن الحسن: لا يَحُلُّ السِّحْرَ إلا سَاحِرٌ.

ومن صوره: أن لا يطلب منهم السَّاحر عملاً شركياً، ولكن يحله بطريقته.

فهذه: غير جائزة، سُئل أحمد عن النشرة فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

والدليل على ذلك: حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[(١)].

ومراده ﷺ بكلامه هذا: النشرة التي يتعاطاها أهل الجاهلية وهي سؤال الساحر ليحل السحر، أو حله بسحر مثله من ساحر آخر.

والنوع الثاني من النشرة: حَلُّ السِّحر بالرُّقية الشرعية، والتَّعَوُّذَاتِ، والدعوات المشروعة، والأدوية المباحة.

فهذا: جائز؛ قال ابن القيم رحمه الله: فهذا جائزٌ بل مستحب.

وَقَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ، أَوْ: يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: «لاَ بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلاَحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ»[(١)].

(١) رواه أبو داود (٣٨٦٨)، وصححه الألباني- مسند أحمد (١٤١٣٥).

والدليل على ذلك: عموم الأدلة الشرعية الآمرة بالتداوي والرقية، ومنها:

حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»(٢).

ولخطورة السحر –عباد الله–، فإنَّ مما يُتَّقى به السحر قبل وقوعه:

صلاة الفجر في جماعة.

والتَّحَرُّزُ من السِّحرِ بالتوكل على الله تعالى، ودعائه واللجوء إليه.

والتحصُّن الدائم بالأوراد الشرعية، ومن ذلك:

١- قراءة المعوِّذَاتِ الثلاث: (الإخلاص، والفلق، والناس) بعد كل صلاة مكتوبة؛ وقراءة هذه السور ثلاث مرات في الصباح والمساء، وعند النوم.

٢- وقراءة آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة، وعند النوم. فإنه «لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ».

٣- وقراءة آخر آيتين من سورة البقرة كل ليلة. «الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»، قيل: كفتاه من كل سوء.

٤- وقول: «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، في الصباح والمساء.

٥- والإكثار من التعوذ وتعويذ الأولاد بقول: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا

---

(١) البخاري- كتاب الطب- باب (٤٩) هل يستخرج السحر.

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٠).

خَلَقَ»، في المساء، وعند نزول المنزل «لَمْ يَضُــرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِـنْ مَنْزِلِـهِ ذَلِكَ»[(١)].

ومما يقي من السحر: أكل سبع تمرات من تمر العجوة صباحاً على الريق.

وهذه الأذكار والتَّعَوُّذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر لما دلت عليه.

وأما الطرق الشرعية لعلاج المسحور –عباد الله– يعني بعد وقوع السحر عليه:

فمن الأدعية الثابتة عنه ﷺ في علاج الأمراض من السحر وغيره؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَـانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى وَيَقُولُ: «اللَّهُـمَّ رَبَّ النَّـاسِ أَذْهِـبِ البَـاسَ، اشْـفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»[(٢)].

والرقية الشرعية: بأن يُقرأ على المسحور بالقرآن الكريم والأدعية الشرـعية، ويُنفـث عليه مباشرة، أو يُقرأ في ماء ويُسقاه المريض، أو في زيت ويُـدهن بـه، ومما يُقـرأ في هـذا: (سورة الفاتحة، وآية الكرسي، والمعوِّذات، وآيات السِّحر) وهي: في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَـلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ [الأعراف:١١٧-١١٩].

وفي ســـورة يونــس قولــه تعــالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّـحْرُ إِنَّ اللهَّ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَّ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَيُحِقُّ اللهُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُـونَ ﴾ [يونس:٨١-٨٢].

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٣).

وفي سورة طه قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه:٦٩].

وتُكرَّر هذه الرقية مراتٍ كثيرة، ويَستمرُّ على ذلك حتى يُشفى بإذن الله تعالى.

ومن الطرق الشرعية لعلاج المسحور -وهو علاج نافع للرجل إذا حبس عن جماع أهله بإذن الله-: تؤخذ سبع ورقات مِن السدر الأخضر، ثم تدق، ويصب عليها ماء، ويقرأ فيه الرقية الشرعية، ثم يَشرب منه المسحور ثلاث حسوات، ثم يَغتسل بالباقي. وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء بإذن الله.

ومن علاج السحر -وهو من أنفع علاجه-: بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عُرف واستُخرج وأُتلف بَطلَ السحر بإذن الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: تعمد بعض القنوات الفضائية إلى تخصيص برامج للسِّحر والشَّعوذة والتنجيم، يصدِّرون فيها بعض الدجَّالين من السَّحرة والمشعوذين والمنجِّمين ويفخِّمونهم، يتصيَّدون بهم الأغرار وضعيفي الإيمان، وغرضهم من ذلك ابتزاز الناس، والإفساد في الأرض.

ولا شك أن هذا عمل محرَّم، وجريمة كبيرة، بما تضمنه من إقرار بالكفر بالله تعالى، والإعانة عليه، ونشر الفساد في الأرض، فالواجب مقاطعة هذه الفضائيات المنحرفة، ومحاربتها بالطرق الشرعية، وتَجنُّب الاتصال بها، ونشر الوعي بين الناس بفسادها وضلالها، والتحذير من شرِّها، وتَجنُّب إعانتها بأي طريق من الطرق؛ لما في ذلك من الإعانة على الباطل، ونشر الفساد.

ولمعرفة علامات الساحر -عباد الله- التي تميزه عن غيره أهمية كبيرة، حيث إنَّ بعض السحرة يُلَبِّسون على الناس، ويوهمونهم أنهم من الرُّقاة الشرعيين؛ فمن علامات الساحر: أنه يسأل المريض عن اسمه، واسم أمِّه.

وقد يخبر المريض باسمه، واسم بلده، ومشكلته التي جاء من أجلها.

وقد يطلب من المريض تزويدَه بشيء من آثاره المادية، مثل: مشطه، أو ثوبه، أو شعره.

وإعطاء ما يسمى بالحجاب -يعني التميمة-، وغالب ما يُكتب فيه طلاسم، وهي: كلمات وأسماء غير معروفة، أو أرقام، أو خطوط، أو حروف مقطعة، أو رسوم، أو مربَّعات داخلها كتابة.

ومن علاماتهم: قراءة شيء من القرآن بصوت مرتفع، ثم قراءة كلام غير مفهوم بصوت منخفض يُخفيه عن المريض، وهذه مِن حِيَلِهم للتلبيس على الناس، يوهمونهم

أَنَّهم مِن أصحاب الرقية الشرعية.

ومنها: إعطاء المريض أشياءَ يدفنها في الأرض، أو أوراقاً يتدخن بها. -وقد يطلب من المريض إحضارَ حيوانٍ ليذبحه، أو يأمُرَهُ بذبحه، أو يأمُرَهُ بأن لا يمسَّ الماء لفترة يحددها.

وبعض السحرة يتَّصلون عشوائياً ببعض الهواتف، ويوهمون المتَّصَلَ عليه بأنَّهم يعرفون عنه بعض المعلومات، وأنَّ لديه بعض المشاكل، وأنَّهم سوف يساعدونه على حَلِّها، وما هم إلا دجَّالون يريدون ابتزازه، فالواجبُ تركُ الانسياقِ وراءَهم، والحذرُ من الاستجابة لهم.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحذر من السِّحر بجميع أنواعه، لما فيه من الخطورة على الدين والمجتمع. ولنحذر من إتيان السحرة أو الاتصال بهم؛ ولنعلق قلوبنا بالله، فإنه النافع الضار، وبيده الشفاء من كل داء، ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٢٨) باب ما جاء في التطير

الخطبة الأولى:

الحمد لله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[الروم:٢٥]، أحمده على القضاء حلوه ومره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقامة لذكره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل المتوكلين على الله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

عباد الله: كان من عادات الجاهلية أنه إذا قرر أحدهم السفر، ومرَّ بغراب ينعق، فإنه يرجع ولا يمضي في سفره تشاؤماً بنعيق الغراب، وهذا من الفعل الذي بيَّن الإسلام خطورته على عقيدة المسلم ويسمى بالتطير.

والتطير هو: التشاؤم بما يقع من المرئيات أو المسموعات أو الأيام أو الشهور أو غيرها. وسمي بذلك: لأن أصل التشاؤم عند العرب ابتدأ من الطيور.

والتطير حرام، وهو من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب، كما في حديث عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا»، قال ابن مسعود: «وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[1].

---

(١) رواه أبو داود (٣٩١٠) وهذا لفظه، وصححه الألباني، وأحمد (٤١٩٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨).

وحديث عَبْدِالله بْنِ عَمْرٍو، أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»[1].

واعتبر الشرع التطير شركاً -عباد الله-:

لـما يتضمنه من الاعتقاد الفاسد بأن غير الله تعالى لـه تـأثير في جلـب النفـع أو دفـع الضر، إما بذاته، أو بكونه سبباً في ذلك؛ فإنَّ حركة الطير أو غيره لا أثر لها في ملكوت الله ولا في قضائه وقدره.

والتطير شرك: لـما تضمنه من نسبة معرفة الأمور المغيبة وما يحدث في المستقبل لغـير الله تعالى.

والطيرة المنهي عنها -عباد الله-، هي: ما يحمل الإنسان عـلى المضـي فـيما أراده، أو يمنعه من المضي فيه؛ أما ما قد يجده الإنسان في نفسه عندما يرى أو يسمع شـيئاً حسـناً أو سيئاً، فهو أمر لا يلام عليه الإنسان؛ إلا إذا استرسل معه، أو ترتب عليه إقدام أو إحجام.

فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّـةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ»، قَالَ: وَمِنَّا رِجَـالٌ يَتَطَـيَّرُونَ، قَـالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَـهُ فِي صُـدُورِهِمْ، فَـلَا يَصُـدَّنَّهُمْ». وفي لفـظ: «فَـلَا يَصُدَّنَّكُمْ»[2]، فبين النبي ﷺ أن ما يجده الإنسان في صدره فلا شيء عليه فيه، إذا لم يمنعـه من المضي في مقصده.

---

(١) رواه أحمد (٧٠٤٥) حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٥٣٧).

ولقد أبطل الله التطير في كتابه الكريم، وبين أنـه مـن صـفات المشـــركين، حيـث رد سبحانه على الذين يتشاءمون بأنبيائه ورسله عليهم السلام، مبيناً أن ما يصيبهم مـن بــلاء وغيره إنما هو بقضاء الله وقدره.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:١٣١]. وقال تعـالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَـالُوا طَـائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ [يس:١٨-١٩].

ولما جاء الإسلام بعقيدته الصحيحة التي تربط المؤمن بربه جل وعـلا، وترفـع عنـه ضلالات الجهل والخرافــة، نهى رسول الله ﷺ عن التطير، ونفى أثـره، فعَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ»[1]، ففـي هـذا إبطـال للطـيرة وأنـه لا حقيقة لها.

وسبب ذلك: أن الطيور وغيرها لا علاقة لها بالحسن والقبح، ولا بالخير والشر، ولا بالهدى والضلال، وإنما هي خلق مُسَخَّرٌ من خلق الله تعالى، فلا يجـوز الاعـتماد عليهـا في التصرف في الحياة تفاؤلاً أو تشاؤماً؛ بل يجب الاعتماد على الله تعالى وحده لا شريـك لـه، مع فعل الأسباب الممكنة لصلاح الأمر، وتجنب فساده.

ولقد أبطل الشرع أشياء خاصة مما يتطير به المشركون؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ»، وفي رواية: « وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ»[2]،

(١) رواه البخاري (٥٧٥٣)، ومسلم (٢٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

فنفى النبي ﷺ الطيرة كلها، ثم خص منها أشياء مما كانت العرب في جاهليتها تتطير بها، وهي:

التشاؤم بالبومة: وهي طائر من طيور الليل، تزعم العرب أنه إذا وقع على دار أحدهم، فإنه ينعى موته أو موت قريب له، أو يتشاءم بخراب منزله ، والنفي في الحديث نفي لما كانت تعتقده العرب.

ومنها: التشاؤم بشهر صفر: فهذا نفي للتشاؤم بشهر صفر، كما كانت تزعم العرب. لأن شهر صفر كبقية الشهور لا أثر له في قضاء الله وقدره، ولا في السعد ولا النحس.

يتردد على بعض الألسنة-عباد الله- إذا تكلم شخص أو جاء بخبر أن يقولوا:(خير يا طير)، كلمة يتفوهون بها لا يريدون بها التطير، ولا يدركون معناها، وهي في حقيقتها بقية من آثار التطير الشركي، فيجب تركها، والاستعاضة عنها بقولنا: (خير إن شاء الله)، أو نحوها.

وللتطير صورٌ كثيرة في القديم والحديث -عباد الله-، والغالب أنك لا تجد بيئة أو بلداً إلا وعندهم أشياء يتطيرون بها، فمن ذلك:

التشاؤم برؤية الطيور أو الحيوانات، مثل: الغراب، أو البوم، أو القطة السوداء.

ومنها: التشاؤم برؤية إنسان ذي عاهة، كأن يذهب شخص لفتح دُكَّانه، فيقابل في طريقه ذا عاهة، فيعدِل عن فتح دُكَّانه ذلك اليوم تشاؤماً بما رآه، وخشية أن تحل عليه الخسارة بسببه.

ومنها: التشاؤم ببعض الأيام، سواء أكان يوماً خاصاً ببلد حصل فيه شيء فتشاءم به، أو يوماً محدداً في عام، أو في شهر.

ومن صوره: التشاؤم ببعض الشهور، كشهر صفر.

ومنها: التشاؤم ببعض الأرقام، كما يتشاءم بعض أهل البدع بالرقم (١٠)، ويتشاءم بعض الغربيين بالرقم (١٣)، ويقلدهم في ذلك بعض المسلمين.

ومنها: التشاؤم بالأبراج أو النجوم، كالتشاؤم بمن يولد في برج كذا، أو التشاؤم بالسفر أو الحرب في برج كذا، أو الزواج في برج كذا.

ومنها: التشاؤم ببعض المسموعات، كمن يسمع: يا خسران، أو يا خائب، فيتشاءم.

والتشاؤم ببعض الأماكن، كما لو حصل له حادث في مكان، فيتشاءم من المرور به.

ومنها: التشاؤم من بعض الأحداث الحياتية العادية، إذا توافق معها حدوث أمر محزن أو مخيف، مثل: التشاؤم بالزواج إذا توافق في يومه حادث أو موت لقريب أو صديق.

ومما شرعه الله تعالى بدلاً عن هذه الخرافات الجاهلية: استشارة العقلاء والمجربين وأهل الخبرة، وكذلك صلاة الاستخارة -قبل الشروع في الأمر-.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: والتطير له مساوئ خطيرة: فهو: يقدح في عقيدة المسلم، ويوقعه في الشرك. ويضعف التوكل على الله تعالى، ويعلق القلب بغيره مما لا ينفع ولا يضر. ويؤدي إلى التكاسل والتخاذل. ويؤدي إلى الوسوسة. ويفوت على الإنسان فرصاً من الخير ربما لا تعوض في وقت آخر. ويؤدي إلى المرض النفسي والتمسك بالأوهام والاعتماد على الخيالات الفارغة. ويضعف العزيمة. وفيه سوء ظن بالله تعالى.

وعلاج الطيرة -عباد الله- لمن يقع فيها:

فالطيرة تدفع بأمور، منها: صدق التوكل على الله تعالى. ومنها: تقوية الإيمان بقضاء الله وقدره. ومنها: العلم بأن حركة الطير أو غيره لا أثر لها في ملكوت الله ولا في قضائه وقدره. ومنها: العلم بأن التطير لا يضر إلا صاحبه. ومن علاج الطيرة: العلم بأنه لو حدث شيء عند حدوث ما يتطير به بعض الناس فإنما هو بقدر الله تعالى. ومنها: استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ من كفارة التطير.

ومن وقع في التطير المحرم -عباد الله-، فالواجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى، ويسن له أن يقول ما علمه النبي ﷺ لأصحابه من كفارة للتطير، كما في حديث عَبْدِالله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[1].

---

(١) رواه أحمد (٧٠٤٥) حديث حسن.

وأرشدنا النبي ﷺ إلى ما يضادّ التطير، وهو التفاؤل: الذي هو انشراح الصدر وطمأنينته لما قد يسمعه من الخير؛ فهو من إحسان ظن العبد بربه جل وعلا، ولا يوجب فعلاً ولا تركاً، لأن ذلك من جنس التطير الممنوع، ولكنه قد يفيد الإنسان الاستمرار في الطريق الذي سلكه للشيء الذي يريده مع الانشراح والارتياح.

والفأل مستحب، كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ»، قَالَ قِيلَ: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[(١)].

ومن صور فأل النبي ﷺ: ما ذكره البخاري في صحيحه في قصة الحديبية عَنْ عِكْرِمَةَ رحمه الله أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»[(٢)].

يعزو بعض الناس -عباد الله- إلى النبي ﷺ أنه قال: «تفاءلوا بالخير تجدوه»، وهذا حديث باطل لا أصل له.

وشرع الله تعالى الفأل -عباد الله-، لما فيه من المحاسن المتعددة: ففيه حسن ظن بالله. وفيه تعلق القلب بالله تعالى واعتماد عليه. ويقوي قلب المؤمن وعزيمته. ويدفع إلى العمل والإنتاج والتقدم. ويشرح الصدر ويبعث على الإقبال على العمل بانشراح وسعادة. ويدفع شبح التشاؤم والتطير المحرم.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعلق قلوبنا بالله، فهو النافع الضار، والطير ليس بيدها شيء، ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل:٧٩].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) البخاري (٢٧٣١).

اللهم أصلح قلوبنا. اللهم اجعل قلوبنا متعلقة بك يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٢٩) باب ما جاء في التنجيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والضر والنفع، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: الأمور المستقبلية غيب لا يعلمه إلا الله، وكلنا نوقن بذلك، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢]؛ لكنَّ المُنَجِّمينَ والكهَّانَ يدَّعون معرفة الغيب في المستقبل، ويستدلون بأمور على ذلك.

فالتنجيم نوع من السحر؛ والتنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية التي لم تقع.

فأهل التنجيم يستدلون بحركات النجوم من طلوعها وغيابها، وافتراقها واجتماعها، وأوقات ذلك على ما يقع على الأرض في المستقبل، ويزعمون أن لذلك أثراً كبيراً على الحوادث بأنواعها، من الانتصار في الحروب والهزيمة، ومن السَّعْد أو النَّحْس، والحياة والموت، والمرض والشفاء، وغير ذلك.

فالنجوم -عباد الله- من مخلوقات الله تعالى المسخَّرة المدبَّرة، الكائنة بعد أن لم تكن، مسبوقة بالعدم المحض ومنتهاها للعدم، ليس لها تأثير في الكون بحركة ولا سكون، لا في

نفسها ولا في غيرها، لا في خير ولا في شرّ، ولا في سَعْد ولا في نَحْس، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

فالاعتقادات الباطلة في النجوم محادَّةٌ لله ورسوله ﷺ، وتكذيبٌ بشرعه وكتابه، واتِّباعٌ لزخارف الشيطان.

والاعتقاد الباطل في النجوم قسمان -عباد الله-:

أولها: الاعتقاد بأن الكواكب فاعلةٌ مختارةٌ مؤثرة في الكون، وأنَّ ما يحدث في الكون فهو ناتج عن إرادات النجوم، فهي تخلق الحوادث من خير أو شرّ، وحياة وموت، ومرض وشفاء.

وهذا الاعتقاد كفر، لما فيه من اعتقاد شريك مع الله تعالى في الخلق والتدبير، وهذا شرك في الربوبية. قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان:١١].

والقسم الثاني: الاعتقاد بأنَّ الكواكب مخلوقة ولكن لها تأثير في الحوادث الأرضية بتقدير الله ومشيئته، فيُستدلُّ بحركتها واجتماعها وافتراقها على معرفة الأمور المغيَّبة في المستقبل، مثل: اعتقاد أنَّ من تزوج بنجم كذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا كان كذا وكذا، وهذا يقع فيه كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام.

وهذا الاعتقاد كفر بالله تعالى، وهو نوع شرك في الربوبية، لأنَّ ذلك من ادِّعاء علم الغيب الذي استأثر الله به، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل:٦٥].

والتنجيم نوع من السحر، كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»[١].

فمن تعلم شيئاً من علم التنجيم فقد تعلم شيئاً من علم السحر، وكلما زاد في تعلُّمه فقد زاد في إيغاله في تعلم السحر؛ لأنهما من باب واحد.

ووجه العلاقة بين التنجيم والسحر: أنهما مشتركان في أمور، أهمها: دعوى علم الأمور المغيَّبة. ومنها: التلبيس على الناس بادعاء أمور خفية غير ظاهرة للآخرين. ومنها: التهويل على الناس، بأنه سيحصل كذا وكذا مما قد يخافه الناس. وأنهما قد يشتركان في الاستعانة بالشياطين لمعرفة المغيَّبات.

وعَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»[٢].

قوله: «وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»: ووجهه أن علم التنجيم نوع من السحر، فمن صدق به؛ فقد صدق بنوع من السحر،... والمصدِّقُ به هو المصدِّقُ بما يُخبر به المَنَجِّمون، فإذا قال المَنَجِّم: سيحدث كذا وكذا، وصدق به، فإنه لا يدخل الجنة[٣].

وللنجوم فوائد -عباد الله- بينها الله تعالى في كتابه، وهي ثلاث: أنها زينة للسماء. وأنها رجوم للشياطين. والدليل عليهما: قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٥) وهذا لفظه، وحسنه الألباني- ابن ماجه (٣٧٢٦) ومسند أحمد (٢٨٤٠).

(٢) صحيح ابن حبان (٥٣٤٦) إسناده ضعيف، قال صاحب تخريج كتاب التوحيد (العصيمي): حسن بمجموع طرقه، إلا: ولا كاهن، ولا ولد زنية.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٣/٢).

الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ [الصافات:٦-٧].

وأنها علامات يُهتدى بها في البرِّ والبحر. قال تعالى: ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦].

وقد نَبَّه السلف رحمهم الله تعالى إلى ذلك، فقَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ الله هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاَثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلاَمَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ[1].

ومعنى قوله: ﴿ فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ ﴾: من زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث فادعى مثلاً أنها طريق لمعرفة الأمور الغائبة، أو لمعرفة السعود والنحوس أو غير ذلك، فقد أخطأ؛ لأنه زعم شيئاً ما أنزل الله به من سلطان، وأضاع نصيبه: يعني حظه من الدين ومن كل خير.

والأبراج -عباد الله- هي: اثنا عشر برجاً في السماء يُعرف بها تنقلات الشمس على مدار السنة، وُضعت لها أسماء وصور رمزية، مثل: برج الثور، وبرج السرطان، وبرج الأسد، وبرج العقرب.

وقد ربط بها الـمُنَجِّمون كثيراً من أحكام الغيب، وما يحصل في الأرض والسماء من حوادث، بزعمهم الفاسد.

وهذا ادعاء باطل؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، ولا علاقة لهذه الأبراج بمعرفة المغيبات. ثم صاروا مع ظهور الصحافة يضعون توقعات الـمُنَجِّمين في أوقات هذه الأبراج تحت عنوان: (أبراج الحظ).

---

(١) البخاري تعليقاً. ما بعده (٣١٩٩).

والتعامل بالأبراج حرام، وهو على نوعين:

أولها: أن يكون كفراً أكبر، وذلك إذا: اعتقد في هذه الأبـراج دلالتهـا عـلى المغيبـات بنفسها، أو صدَّقها فيما دلت عليه من المغيبات، أو صـدَّق الــمُنَجِّمين في دعـواهم علـم الغيب، لما في هذا من نسبة علم الغيب لغير الله تعالى.

والنوع الثاني: أن يكون كفراً أصغر، وذلك إذا: لم يظن دلالتها على المغيبات بنفسها، ولكن يعتقد أنها أسباب أو أوقـات لحصـول مـا دلـت عليـه، ممـا يقـع في هـذه الأبـراج وأوقاتها، أو أن يتعامل بها لمجرد التسلية واختبار هذه التوقعات.

فالواجب الحذر–عباد الله– من نشر أبراج الحظ، أو تصـديقه،أو قراءتـه حتـى عـلى وجه التسلية، ومناصحة من ينشر ذلك أو يفعله، بتركه والابتعاد عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُـونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِـيمِ. وَالْقَمَـرَ قَـدَّرْنَاهُ مَنَـازِلَ حَتَّـى عَـادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَـابِقُ النَّهَـارِ وَكُـلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس:٣٧-٤٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله، صـلى الله وسـلم وبـارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اسْـتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

عباد الله: والبحث في حسن الطالع وسوء الطالع والإخبار عنهما أمر محرم، عائـد إلى علم التنجيم، وبهذا ندرك خطأ ما يتكلم به بعض الناس أو يكتبونه في مقالاتهم كقـولهم: إنه لسوء الطالع هُزمنا أو غُلبنا أو فَشلنا ونحو ذلك، أو يقول: لحسن الطالع انتصـَرنا أو غَلبنا ونحو ذلك، فينسب الفشل والنصر للطالع.

فهذه كلمات جاهلية من آثـار العمـل بـالتنجيم قَصَـدَها أو لم يقصـدها، وذلـك أن الطالع الذي يقصد بهذه الكلمة هو: الكوكب أو النجم؛ وما علاقة الكوكب بحصول ما يُفرح أو يُسيء؟ وما الذي يمكـن أن يـؤثر بـه الكوكـب في السـعود والنحـوس والفـوز والفشل؟ وإنما هي كلمة من إرث الجاهلية الذين كانوا ينسبون بعض الفعال للأنواء.

عباد الله: وعلم النجوم هو: العلم الذي يُعرف بـه أسـماء النجـوم والكواكـب، ومـا يدور في الفَلَكِ من أحوال الكواكب والشمس والقمر، ومواقعها وأنواعها، ويُستدلُّ بها على معرفة أوقات الزرع، والقبلة، وأوقات الصلاة، والكسوف والخسـوف، والفصـول الأربعة، ودخول رمضان والحج وغير ذلك.

والنجوم علامات جعلها الله تعالى لحصول بعض هذه الأشياء، وقد استقرأها الناس وعرفوا بها ذلك، لا أنها أسباب لوقوعها، ولا مؤثرة في حصولها، ولا فاعلة لها بذاتها.

وتعلُّم هذا العلم -عباد الله- جائز، وقد يكون مشروعاً أحياناً؛ لما فيـه مـن المصـالح الشرعية المتنوعة، مثل: التعرُّف على معاني كثير من آيات القرآن الكريم المتعلقة بالفَلَـكِ، وتعلُّم دلائل القبلة، والتفكُّر في هذا الكون العظيم ونحو ذلـك، وهـو مـا يسـمى بعلـم الفلك أو الحساب أو التسيير.

ومن علم النجوم المباح -عباد الله-: معرفة أحوال الطقس والـمُناخِ المستقبلية؛ لأنه علم يبحث في أحوال الطقس، من خلال المعرفـة بـأحوال الريـاح وتحركاتهـا، وأحـوال

السحب والغيوم، وما يقابل ذلك من الجبال والمرتفعات والمنخفضات وغيرهـا، فيُتوقـع من خلال ذلك ما يمكن أن يحصل في اليوم التالي أو الأيام التالية: من حَرٍّ أو بردٍ، أو مطرٍ أو صَحوٍ، أو رياحٍ أو غيرها، وهي مجرد توقعاتٍ محتَمَلَة، تصدق حيناً، وتخطئ حيناً آخر، وليس من دعوى علم الغيب في شيء.

ولكن لا يجوز الجزم بذلك؛ لأنه حينئذٍ يكون من دعوى علم الغيـب، وإنـما يُتوقـع حصول ذلك بمشيئة الله تعالى، بحسب ما ظهر من أسباب قد تتم وقد لا تتم.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنُعَلِّق قلوبنا بالله، فبيده النفع والضر، وبيده مقاليد كل شيء، ولا يستحق العبادة إلا الله؛ وأما النجوم والكواكب فهي مخلوقـة مُسـخَّرة مُـدبَّرة، ليس بيدها شيء، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْـجُدُوا لِلشَّـمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٣٠)

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، فلا مؤخر لما قدمه، ولا مقدم لما أخره، تفرد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء؛ الحيُّ القيوم فما أقومه بشئون خلقه وأبصره، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: من عادات الجاهلية واعتقاداتهم الباطلة المتعلقة بالنجوم، والتي حذَّر منها الإسلام، ونفى صحَّتها وبيَّن أنها من الكفر والضلال: الاستسقاء بالأنواء.

فالأنواء هي: النجوم. ومعنى الاستسقاء بالأنواء: طلب نزول المطر من النجوم أو نسبة المطر إليها إذا نزل.

عباد الله: كل ما يتمتع به العباد من النِّعم فهي من الله تعالى وحده لا شريك له، فلا أحد ينعم على العباد سواه، فإنه بيده ملك كل شيء، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهَّ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

ولهذا فإنه يجب على المسلم أن ينسب جميع النِّعم إلى الله تعالى، ويحرم عليه أن ينسبها لأحدٍ سواه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

ومن ذلك إنزال المطر، فالله هو الذي ينزله كيف شاء ومتى شاء، وليس لأحد من خلقه التصرُّف في ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان:٣٤].

ومنازل القمر –عباد الله-: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩]، يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة[(١)].

ومن الضلال المبين –عباد الله-: نسبة إنزال المطر إلى النجوم، كما كان العرب يعتقدونه، فقد كانت العرب تزعم أنَّ بعد سقوط النجم من جهة المغرب وطلوع رقيبه من جهة المشرق يكون مطرٌ، وينسبونه إلى النجم الساقط، ويقولون: (مطرنا بنوء كذا)، وقد جاءت الأدلة الشرعية بتحريم هذا القول والاعتقاد الفاسد، والتشنيع على أصحابه؛ ولقد ذمَّ النبي ﷺ الاستسقاء بالأنواء مبيناً أنَّه بقية من آثار الجاهلية التي كان عليها الناس قبل الإسلام، ومن عاداتهم الباطلة؛ فعن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص:٣٢١).

وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[(١)].

قوله: (مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ). إضافتها إلى الجاهلية الغرض منها التقبيح والتنفير، لأن كل إنسان يقال: فعلك فعل الجاهلية لا شك أنه يغضب، إذ إنه لا أحد يرضى أن يوصف بالجهل، ولا بأنَّ فعله من أفعال الجاهلية، فالغرض من الإضافة هنا أمران: التنفير. وبيان أن هذه الأمور كلها جهل وحمق بالإنسان، إذ ليست أهلاً بأن يراعيها الإنسان أو يعتني بها، فالذي يعتني بها جاهل[(٢)].

عباد الله: ونسبة نزول المطر إلى النجوم على نوعين:

أولها: أن يعتقد أنَّ النجوم هي التي تُنزل المطر، فينسب ذلك لها على أنها هي الفاعلة له، أو يطلب من النجوم إنزال المطر. فهذا شرك أكبر؛ لأن نسبته إليها شرك في الربوبية، وسؤالها شرك في الألوهية.

والنوع الثاني: أن يعتقد أن الله تعالى هو الذي يخلق المطر وينزله، ولكن يعتقد أنَّ النجوم سبب في ذلك، فينسب نزول المطر لها على أنها سبب نزوله. وهذا شرك أصغر؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، فإنَّ الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر.

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ

---

(١) رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) القول المفيد (١١٨/٢).

كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»[(١)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: ومعنى الحديث: أنه لما نزل المطر نسبه بعضهم إلى رحمة الله وبعضهم قال: (لقد صدق نوء كذا وكذا)، فكأنه جعل النوء هو الذي أنزل المطر أو نزل بسببه.

ومنه ما يذكر في بعض كتب التوقيت: (وقلَّ أن يخلف نوؤه)، أو (هذا نوؤه صادق)، وهذا لا يجوز، وهو الذي أنكره الله عز وجل على عباده، وهذا شرك أصغر، ولو قال بإذن الله، فإنه لا يجوز لأنَّ كلَّ الأسباب من الله، والنوء لم يجعله الله سبباً.[(٢)] ا.هـ

وقريب من لفظ (مطرنا بنوء كذا وكذا) ما يشبهه من الألفاظ الموهمة، كلفظ (هذا مطر الوسمي) أو (هذا مطر الثريا)، ونحو ذلك، ويزعمون أن النجم هو الذي أنزل هذا الغيث[(٣)].

فنسبة المطر إلى النجوم -عباد الله- من التكذيب بآيات الله، والجحد لنعمه وفضله ورزقه لعباده، وقد أنكر الله تعالى على من ينسب المطر إلى الأنواء، ووصفهم بأنهم مكذبون برزقه؛ لما نسبوه لغيره ممن لا يملك لهم نفعاً ولا ضراً، فقال الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٨٢].

ومعنى الآية الكريمة: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ أي: حظكم من شكر الله عليكم إذا أصابكم المطر والبركة والخير، ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾: وذلك بنسبة النعم لغير الله من الكواكب التي لا قدرة لها على شيء.

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١).

(٢) القول المفيد (٢/١٢٩).

(٣) تسهيل العقيدة، لعبدالله الجبرين.

وعن عبدالله ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ الله، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا» قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ [الواقعة: ٧٥]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٨٢][١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ. وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[الواقعة:٧٥-٨٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه،وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠-٢١].

عباد الله: المطر نعمة من نعم الله تعالى، ويسنُّ عند نزول المطر أمور:

منها: التعرض له أولَ نزوله، وكشف بعض البدن ليصيبه منه، لأنه حديث عهد بربه، إذا لم يكن يتضرر بذلك لبرد أو نحوه.

---

(١) رواه مسلم (٧٣).

فعن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَطَرٌ، فَحَسَرَ رَسُولُ الله ﷺ ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى»[1]. قوله: ﴿ فَحَسَرَ ﴾ أي كشف بعض بدنه، وقوله: «حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى» أي بتكوين ربه إياه، ومعناه: أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها.

ومن السنن عند نزول المطر: قول: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»[2]، ويكرر هذا الدعاء: مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا ومعناه: اللهم اجعله مطراً نافعاً. وفي رواية يقول: «اللَّهُمَّ سَيْبًا نَافِعًا»[3]. ومعنى (سَيْبًا): أي مطراً جارياً على وجه الأرض من كثرته.

ومن السنن بعد نزول المطر قول: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ»[4]، وهذا شكر لله تعالى على نعمته، واعتراف بأنه هو المنعم وحده لا شريك له.

ومن السنن: الدعاء بما تيسر عند نزول المطر، فإنه من مواضع إجابة الدعاء. فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ: قَلَّ مَا تُرَدَّانِ، الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَتَحْتَ الْمَطَرِ»[5].

فلنتق الله تعالى-عباد الله-، ولنعلق قلوبنا بالله تعالى، فبيده ملكوت كل شيء، ولندعوه وحده لإنزال المطر ولا ندعو غيره، ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ

---

(١) رواه مسلم (٨٩٨).
(٢) رواه البخاري (١٠٣٢).
(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٨٩) وصححه الألباني-مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٢٢٣).
(٤) رواه البخاري (١٠٣٨) ومسلم (٧١).
(٥) المستدر للحاكم (٢٥٣٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الذهبي: صحيح.

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٣١) باب قول الله تعالى:

﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ [البروج:١٤]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: إنَّ من هدي الإسلام تربية أتباعه على حبِّ الآخرين، وهذا الحبُّ لا ينتج عن تعامل مادي، ولا ترابط عصبي، بل أساسه التقرب إلى الله به، ومثل هذه الروح إن سرت في المجتمع وجدت أفراده متعاونين متآلفين متحابين كأنهم لَبِنَاتٌ في بنيان مرصوص يشدُّ بعضه بعضاً.

إنَّ طرق الجنة في الإسلام كثيرة، وإنَّ أبوابَها مفتوحةٌ لكل من يلتمس أسباب الدخول، ومنها ما لا يكلف الإنسان عبئاً مادياً ولا جهداً جسمانياً، بل شعورٌ روحي بحق هذا أو ذاك[١]، ألا وهي المحبة.

---

(١) كنوز رياض الصالحين (٦/٢٩٨).

فمحبة الله تعالى من أعظم العبادات وأجلِّها، وهي ركن من أركان العبادة؛ والله تعالى أعظم محبوب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة:٥٤].

فواجب على المسلم -عباد الله- أن يحبَّ الله تعالى لثلاثة أسباب:

حُبُّه لذاته؛ فإن الله تعالى يُحَبُّ لما هو عليه من صفات الجلال والكمال والجمال، فصفاته أحسن الصفات وأعلاها.

ويُحِبُّه: لأنه خلقه ورزقه؛ وأمدَّه بجميع النِّعم.

ويُحِبُّه: لأنه هداه للإسلام والسنة؛ ووفقه لاتباع دينه وشرعه، وهذه أعظم النِّعم.

والمحبة أنواع -عباد الله- أهمها:

محبة الله تعالى؛ وهي: محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم والطاعة والإيثار على مراد النفس.

وهي: واجبة، وهي شرط في صحة الإيمان، وعلامة على صحة التوحيد، ولا تصلح إلا لله وحده. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

ومنها: المحبة الشركية؛ وهي: محبةُ أحدٍ مثلَ محبةِ الله تعالى، أو أكثر من محبته، بحيث يخضع له، ويتذلل له، ويعظمه كتعظيم الله تعالى أو أكثر.

وهي: شرك أكبر. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، والأنداد: الأمثال والنظراء.

ومنها: المحبة الشرعية؛ وهي: المحبةُ المأمور بها شرعاً، وأجلُّها بعد محبة الله تعالى: محبة رسول الله ﷺ. وهي: واجبة.

والمحبة المباحة؛ وهي المحبة التي لا محذور فيها: مثل محبة الوالدين والأولاد والأزواج، ومحبة الطعام والشراب.

ويجب تقديم محبة الله تعالى -عباد الله-، ثم محبة رسوله ﷺ على محبة كل أحد:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

والمعنى: قل يا محمد إن كانت محبة هذه الأصناف الثمانية مقدمة عندكم على حبِّ الله ورسوله، أو فعل ما أوجب الله عليكم من الأعمال التي يحبها ويرضاها، كالجهاد، ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾: أي انتظروا ماذا يَحُلُّ بكم من عقابه؟!

وفي حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١].

ومن ثمار محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ أكثر من محبة ما سواهما: وجود لذة الإيمان وحلاوته في القلب، كما يدل لهذا حديث أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[٢].

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٣) ٦٧.

ومن أعظم العبادات وأجلِّها -عباد الله- وأكثرها أجراً: الحب في الله والبغض في الله؛ فالمؤمن لا يحب إلا لله، ولا يعادي إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله.

فمن أجلِّ أنواع المحبة: المحبة في الله، والمراد بها: محبة المرء المسلم لما فيه من الإيمان، وخصال الخير والتقوى.

مثلُ: محبةِ الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، ومحبة أصحاب رسول الله ﷺ، وآل بيته، وعلماء الأمة، والدعاة إلى الله تعالى، والحكَّامِ المصلحين، وجميع الصالحين.

ففي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي الله، وَتُبْغِضَ فِي الله»[(١)].

وحديث أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»[(٢)].

وروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنه قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا[(٣)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

---

(١) رواه أحمد (١٨٥٣٤) حديث حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨١) حديث صحيح، وهذا إسناد حسن. وصححه الألباني.

(٣) كتاب التوحيد- الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/١٢٠).

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

عباد الله: وعلامات صدق المحبة لله ورسوله ﷺ كثيرة:

ومن أهمِّها: طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ؛ وذلك بفعل ما أمر الله به ورسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، وكلما كان المسلمُ أطوعَ لله تعالى كان أصدق في محبته.

ومن علاماتها: تقديم محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ على كل محبوب، فيقدمُ محابَّ الله على محابِّ نفسه وملذَّاتها، وإذا تعارض ما يريده مع مراد الله قدَّم مراد الله.

ومنها: تعظيم أمر الله ونهيه وأمر رسوله ﷺ ونهيه، وتقديمه على قول كلِّ أحد، صغير وكبير وقريب وبعيد، وتعظيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وشريعته.

ومنها: موالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عادى الله ورسوله ﷺ.

ومنها: بغض ما يبغضه الله تعالى ورسوله ﷺ من الكفر والفساد والضلال والظلم، وجميع الذنوب والمعاصي.

وبقدر ما تزداد محبة الله ورسوله في قلب المسلم بقدر ما تكون آثارها في حياته وعمله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

قال العلامة السعدي رحمه الله: هذه الآية هي الميزان التي يُعرف بها من أحبَّ الله حقيقةً ومن ادَّعى ذلك دعوى مجردةً[١].

وأما البغض في الله -عباد الله-؛ فالمراد به: بغض من يبغضه الله تعالى. وهو نوعان:

أولها: بغض الكفار والمنافقين والمشركين، والبراءة منهم ومن أعمالهم الكفرية.

فالله تعالى لا يحب الكافرين، والمسلم لا يحبهم لأجل ذلك، ولتكذيبهم لكتاب الله تعالى ولرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

ونهى الله عن مودة الكافرين، قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢].

ولا يمنع بُغضُهم من الإحسان إليهم، والعدل معهم، وحسن التعامل معهم، ودعوتهم إلى الله تعالى، وترك ظلمهم والتعدِّي؛ قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨].

---

(١) تفسير السعدي.

والنوع الثاني -من البغض في الله-: بغض المسرفين في الذنوب والمعاصي، مثلُ: بغض الظالمين، والفاجرين، والمجرمين.

وليس هذا بغضاً مطلقاً، بل يُحَبُّ المسلم العاصي بقدر ما فيه من الإيمان والعمل الصالح، ويُبْغَضُ بقدر ما فيه من الفجور والعِصيان، وكلَّما كان المسلم أقرب إلى ربه تعالى كانت محبته الشرعية أكبر، وكلما كان أبعد قلَّت هذه المحبة.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنُقدِّم محبة الله ومحبة رسوله ﷺ على محبة كلِّ أحد، لأنها من أهمِّ المهمات، ومن أفضل العبادات، وأنها أساس لهذا الدين، وهي المقياس الحقيقي للمحبة.

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغنا حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٣٢) باب قول الله تعالى:

﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ... ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سِرِّه وجهره، ذي الجلال والإكرام، والعزة والبقاء، والملكوت والجبروت، والعظمة والكبرياء، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وراقبوه في السرِّ والعلانية، وقدِّموا مخافة الله على مخافة كلِّ شيء ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:١-٢].

عباد الله: خرج عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إلى مكة فاستراح في جانب الطريق، فانحدر عليهم راع من جبل، فقال له ابنُ عمر: أراعٍ؟ قال: نعم. قال: بعني شاةً من الغنم. قال: إني مملوكٌ، وليس هاهنا ربُّها.

فقال له ابنُ عمر وهو يريد يختبره: قل لسيدك: أكلها الذئب! فولَّى الراعي عنه وهو رافع أصبعَه ورأسَهُ إلى السماء يقول: فأين الله جل جلاله؟! قال ابنُ عمر: فأين الله؟ ثم بكى.

ورجع إلى المدينة فلم يزل يقول: قال الراعي: فأين الله، حتى دخل المدينة، فسأل عن مولى الراعي، ثم اشتراه بعدُ فأعتقه، واشترى له الغنم[(١)].

فالخوف -عباد الله-: هو خوف العبد من الله تعـالى أن يعاقبـه في الـدنيا أو الآخـرة، وخوفُه من مقامه بين يدي ربِّه في الآخرة.

والخوف عبادة؛ فخوف العبد من الله تعالى عبادةٌ من أجلِّ العبادات وأشرفها، وهـو ركن من أركان العبادة، فيجب إخلاصه لله تعالى، كما قـال: ﴿ ذَلِـكَ لِمَـنْ خَـافَ مَقَـامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم:١٤].

والخوف المحمود هو: الخوف الذي يدفع صاحبه لعمل الطاعات وتـرك المنكـرات، ولا يصل به إلى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، ولهذا يجب أن يكون معه الرجاء بـالله تعالى وبرحمته، والمؤمن يكون في عامة أحواله بين منزلتي: الرجاء والخوف.

والأمر بالخوف -عباد الله- من الله، والنهي عن الخوف من غيره؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَـافُونِ إِنْ كُنْـتُمْ مُـؤْمِنِينَ ﴾[آل عمـران: ١٧٥]؛ أي: أن الشيطان يخوفكم من أوليائه، بإيهامكم أن لهم قوة، فلا تخـافوهم وخـافوا ربكـم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾، فدل ذلك على وجوب إخلاص الخـوف مـن الله تعـالى، وتقـديم الخوف منه سبحانه على الخوف من الناس، وجَعَلَ الله ذلك شرطاً في الإيمان مما يدل عـلى أن الخوف من غير الله تعالى ينافي الإيمان بالكلية، أو ينافي كماله الواجب.

ولقد أثنى الله تعالى -عباد الله- على عباده الذين أطـاعوه بـأنواع الطاعـة، وخـافوه وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهَّ مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَـامَ

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وصفة الصفوة لابن الجوزي.

الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾[التوبة:١٨]؛ أي: أنه لا يعمر مساجد الله حقيقة إلا الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وداوموا على إقامة الصلاة بأركانها وواجباتها وسننها، وأعطوا الزكاة مستحقيها، وأخلصوا لله الخشية، وهي: المخافة والهيبة التي هي أساس عبودية القلب، ولا تصلح إلا لله وحده.

وكلُّ من خاف من شيء -عباد الله- هرب منه؛ إلا الله جل وعلا فمن خافه لجأ إليه، وتقرَّب منه، وفرَّ إليه، قال بعض السلف رحمهم الله تعالى: من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف من الله ﷻ هرب إليه.

قال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

والخوف من غير الله ثلاثة أقسام -عباد الله-:

أولها: الخوف الطبيعي؛ مثل: الخوف من عدو أو سَبُعٍ أو غرق أو نار، ومنه قوله تعالى في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:٢١]؛ فهذا مباح.

وثانيها: الخوف المذموم؛ وهو الخوف الذي يحمل صاحبه على ترك ما أوجبه الله تعالى عليه، أو فعل ما حرَّم الله عليه. مثل: أن يترك ما يجب عليه من جهاد، أو أمر بمعروف ونهي عن منكر لغير عذر خوفاً من بعض الناس، ومنه قوله تعالى لموسى وأخيه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه:٤٦]؛ فهذا الخوف المذموم محرم.

وثالثها: الخوف الشركي؛ وهو أن يخاف من غير الله تعالى في أمر لا يقدر عليه إلا الله، ويسميه بعض العلماء (خوفُ السِّرِّ).

مثل: أن يخاف من غير الله من وثنٍ أو طاغوت أو وليٍّ أو صاحب ضريح أن يصيبه بمجرد مشيئته وقدرته بما يكره، كمرض أو فقر أو جنون. وهذا ما كان يعتقده المشركون في أصنامهم وآلهتهم، ويخوفون بها أهل الإيمان، ويظنُّون أنها تصيبهم بمكروه إذا خالفوها، كما قال تعالى: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾[الزمر:٣٦]؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله.

ولقد بينت الأدلة الشرعية العاقبة السيئة لمن خاف من الناس كخوفه من الله تعالى، فمن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾[العنكبوت:١٠]، أي: أن بعض الناس إذا أصابه أذىً من الخلق، أو أصابوه بما يكره، جَعَلَ ذلك بمنزلة ألم عذاب الله تعالى، فترك طاعة الله تعالى والإيمان به، وهذا من جهله وضعف بصيرته، حيث فرَّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد.

وعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عليه الناس»[1].

وهذه العقوبة كما تكون في أمر الدنيا،قد تكون في أمر الدين،بالإضلال أو الزيغ أو النفاق، كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة:٧٧].

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤) وصححه الألباني، وصحيح ابن حبان (٢٧٦) واللفظ له.

وروي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ إِنَّ رِزْقَ الله لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ. فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ. إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور:٢٥-٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله من تمسَّك بهديه قرَّبه وأدناه، ومن خالف أمره أبعده وأقصاه، أحمده سبحانه لا يذِلُّ من والاه ولا يعزُّ من عاداه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣].

عباد الله: والأسباب الجالبة للخوف من الله تعالى كثيرة؛ منها: تعظيم الله وتوقيره وإجلاله، ومعرفة عظمة سلطانه وقهره. ومنها: التعرف على أسمائه وصفاته، والتفكر في معانيها، وبخاصة الأسماء التي تدل على صفات القوة والجبروت والعلم، مثل: (السميع،

---

(١) الحديث ضعيف ومعناه صحيح كما قال الشيخ سليمان بن عبدالله، في تيسير العزيز الحميد (ص٤٩٠)، وهو في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦)، تخريج كتاب التوحيد (ص١١٥).

والبصير، والقوي، والعزيز، والجبار)، ومن الصفات: (شديد العقاب، وسريع الحساب، وكونه ذي انتقام). ومن الأسباب الجالبة للخوف من الله: التعرف على نصوص الوعيد والترهيب، كقوله تعالى في تاركي الصلاة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٢-٤٣]. ومنها: تذكُّرُ الموتِ وما بعده، مثل: عذابِ القبر، والحشرِ، والصراطِ، وعذاب النار.

ويجب على المؤمن -عباد الله- أن يجمع بين الخوف من الله تعالى ورجاء رحمته، وبهذا يصل إلى درجة الاعتدال في الخوف والرجاء، فلا يغلب عليه الخوف فييأس من رحمة الله، ولا الرجاء فيأمن من مكر الله، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

ولقد قرر السلف هذا المنهج، فمما ورد في هذا:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: «لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ، وَلَوْ نَادَى مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ النَّارَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ هُوَ»[(١)].

وقال أبو عَلِيّ الرُّوذْبَارِيُّ رحمه الله: "الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ هُمَا كَجَنَاحَيِ الطَّائِرِ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا وَقَعَ منه النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ"؛ لِذَلِكَ قِيلَ: "لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَاعْتَدَلَا"[(٢)].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥٣/١).

(٢) شعب الإيمان (٣٢٨/٢).

فلنتق الله تعالى-عباد الله-، ولنُقدِّم خوف الله تعالى على خوف كلِّ أحد؛ فإن الخوف الحقيقي من الله، يؤدي إلى المبادرة لطاعة الله تعالى بفعل أوامره، واجتناب نواهيه. ويـؤثر في أداء حقوق العباد، واجتناب ظلمهـم والتعـدي علـيهم. ﴿وَيُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠].

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٣٣) باب قول الله عز وجل:

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، كافي من استكفاه، ومجيب من دعاه، وهو مجيب دعوة المضطرين، وملجأ قلوب الحائرين. الذي ما التجأ إليه مُخلِصٌ إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمنٌ إلا حفظه ووقاه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتوكلين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[التغابن:١٢-١٣].

عباد الله: إن الإسلام يهدف إلى تهذيب النفس الإنسانية، وتربيتها على الإيمان الراسخ، والثقة في الله تعالى، والاطمئنان إلى رحمته، من خلال ما يترسخ في النفس من معالمَ إيمانية، تعمل على تنمية ملكات الخير لدى الإنسان، بترسيخ اليقين والتوكل على الله، وعدم التشكيك، أو الاستسلام للقلق النفسي الذي يكون نتيجة لضعف الإيمان[١].

إن تعميق معاني التوكل على الله في النفوس، من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية، حيث يؤدي ذلك إلى علاج كثير من المشكلات التي يعانيها الإنسان في

---

(١) كنوز رياض الصالحين (٢/٣٠٧).

حياته، لأنه يبدد القلق، ويبعث على الجد والاجتهاد في سائر الأمور، خاصة فيما يتعلق بأمور المعاش في الدنيا(١).

فالتوكل عند المسلم إذن: هو اعتماد القلب على الله تعالى في حصول مطلوب أو دفع مكروه، مع فعل الأسباب الممكنة المباحة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: التوكل عمل القلب.

فالمريض -مثلاً- يعتمد بقلبه على الله تعالى في الشفاء، لأنه بيده تعالى، ويتناول الدواء على أنه من أسباب الشفاء.

والتوكل -عباد الله- على الله تعالى عبادة من أعظم العبادات القلبية وأجلِّها، فيجب على المؤمن أن يعتمد بقلبه على الله تعالى وحده، لا على الأسباب التي يبذلها. قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣]، أي: على الله وحده فتوكلوا لا على غيره فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله.

والتوكل على الله وحده من أهم صفات المؤمنين؛ فقد ذكر الله تعالى التوكل مع أهم صفات المؤمنين، فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: لا يرجون غيره، بل يعتمدون عليه، ويفوِّضون أمورهم إليه. فهم يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أنَّ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده لا شريك له.

---

(١) كنوز رياض الصالحين (٢/٣٠٩).

والواجب على المسلم -عباد الله- أن يتوكل على الله تعالى في حصول مقصوده، ودفع المكروه عنه، مع فعل ما يمكنه من الأسباب المباحة المشروعة، وذلك في جميع أموره: الدينية والدنيوية.

فيتوكل على الله في أموره الدينية؛ مثل: حفظ القرآن، والدعوة إلى الله تعالى، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، فيتوكل على الله تعالى في حصول المقصود.

ويتوكل على الله في أموره الدنيوية؛ مثل: التاجر في نجاح تجارته، والمتزوج في نجاح زواجه، والمزارع في نجاح زراعته، والطالب في نجاحه في دراسته، والمعلم في نجاحه في تعليمه، والموظف في نجاحه في وظيفته.

عباد الله: والتوكل على غير الله قسمان:

فإما أن يكون التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت في حصول الرزق، أو النصر على الأعداء. فهذا: شرك أكبر.

وإما أن يكون التوكل -في الأسباب الظاهرة- كالتوكل على الأحياء الحاضرين من الحكام والأطباء ونحوهم، فيما أقدرهم الله عليه، من جلب نفع أو دفع ضر، مثل: الرزق، أو حصول الشفاء. فهذا: شرك أصغر؛ لأنه اعتماد على الأسباب، ونسيانٌ للمسبِّب وهو الله جل وعلا.

والوكالة الجائزة هي توكيلُ الإنسانِ الإنسانَ في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وُكِّل فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها بل

يعتمد على المسبِّب الذي أوجد السبب والمسبَّب.

والتوكل-عباد الله- من أعظم أسباب حصول الخير، ودفع الشر في الدنيا والآخرة، فإن الله تعالى يكفي من توكَّل عليه، ويعينه ويوفقه، ومما يدل على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد، وإذا كان الله هو الكافي لعبده وحده، وجب أن لا يتوكل إلا عليه.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه. قال ابن القيم رحمه الله: ومن كان اللهُ كافِيَهُ وواقِيَهُ فلا مطمعَ فيه لعدوه ولا يضرُّه إلا أذىً لا بدَّ منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يَضُرَّهُ بما يبلغُ منه مرادَه؛ فلا يكون أبداً، وفَرْق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاءٌ له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يُتَشَّفى به منه.

قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاءَ التَّوَكُّل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، ولم يقل نُؤْتِهِ كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسَه سبحانه كافِيَ عبده المتوكِّل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكَّلَ العبدُ على الله تعالى حقَّ توكُّلِهِ، وكادَتْه السمواتُ والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً من ذلك، وكفاه ونصره[1].

وفي الآية دليل على فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٦٦).

ومما يدل على كفاية الله للمتوكِّلين: حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قال: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ» حِينَ قَالُوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣] (١). ومعنى: ﴿ حَسْبُنَا اللهُ ﴾ : كافينا فلا نتوكل إلا عليه.

قال ابن القيم ﷺ: وهو حسْبُ من توَكَّلَ عليه، وكافي من لجأ إليه ،وهو الذي يُؤَمِّنُ خوفَ الخائف، ويجيرُ المستجير، وهو نِعْمَ المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتَّقاهُ آمَنَهُ من كلِّ ما يخافُ ويحذرُ، وجلب إليه كلَّ ما يحتاج إليه من المنافع (٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٦٣).

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١].

عباد الله: إن منهج المسلم في حياته هو إسلام الوجه لله، والتوكل عليه، والأخذ بالأسباب، والسعي على الرزق، وإتقان العمل.

فيجب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه في جلب الرزق، ومن حقق التوكل في الكسب رَزَقَهُ الله تعالى؛ فعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ اللَّهَ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[١].

وهذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزق، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٢-٣]، فلو حقق الناس التقوى والتوكل؛ لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم[٢].

فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجزٌ محض، وإن كان مشوباً بنوع من التوكل، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكلَه عجزاً، ولا عجزَه توكلاً، بل يجعل توكلَه من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها.

والتوكل على الله تعالى لا ينافي فعل الأسباب؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن ظنَّ أن التوكل يغني عن الأسباب المأمور بها فهو ضال... فالالتفات إلى

(١) رواه أحمد (٢٠٥) إسناده قوي- الترمذي (٢٤٩٨) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤) وصححه الألباني.

(٢) جامع العلوم والحكم.

الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نَقْصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع؛ فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله، لا على سبب من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ... ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مُفرِّط مذموم[1].

وللتوكل -عباد الله- على الله تعالى ثمرات، منها: زيادة الإيمان. ومنها: تعلق المؤمن بربه في عموم أحواله، وإذا اعتمد المؤمن على الله تعالى في جميع أموره الدينية والدنيوية دون مَن سواه صح إخلاصه، ودام ارتباطه بربه تعالى. ومن الثمرات:ترك التعلق بغير الله تعالى، من السحرة وغيرهم. ومنها: حصول المقصود بإذن الله تعالى. ومنها: الفوز بثواب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى:٣٦].

ومن ثمرات التوكل: الفوز بمحبة الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومنها: حصول الأمن والطمأنينة وراحة البال، وعدم الخوف ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، كالخوف من السحرة، والعين، ونحوهما.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنفوض أمورنا إلى الله، ولنعلق قلوبنا بالله، ولنحقق التوكل على الله في جميع أمورنا. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٨].

اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٨-٥٢٩).

اللهم إنا نعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا، أنت الحي الـذي لا يمـوت، والجـن والإنس يموتون.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٣٤) باب قول الله تعالى:
﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله معطي الجزيلَ لمن أطاعه ورجاه، شديد العقاب لمن أعرض عن ذكره وعصاه، اجتبى من شاء بفضله فقربه وأدناه، وأبعد من شاء بعدله فولاه ما تولاه، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: الرجاء عبادة قلبية، الرجاء من الله تعالى عبادة من أعظم العبادات، ولكنه إذا زاد عن حدِّه المشروع وصل إلى درجة الأمن من مكر الله.

والمراد بمكر الله: استدراج الله العبد بالنعم إذا عصى، وإملاؤه له حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر. يعني: أن العبد إذا عصاه وأغضبه، أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه.

والأمن من مكر الله: هو استمرار العاصي في معصيته، أو الكافر في كفره، واستزادته من ضلاله، اغتراراً بنعم الله عليه، ظاناً أن الله لا يعاقبه في الدنيا، ولا في الآخرة.

والأمن من مكر الله تعالى حرام، كما قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩].

فالله سبحانه لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بيّن أن الذي حملهم على ذلك

هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ. أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف:٩٧-٩٩]، أي الهالكون. وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرا.

والأمن من مكر الله -عباد الله- من كبائر الذنوب، كما في حديث عبدالله ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مُتَّكِئاً فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا الْكَبَائِرُ؟ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ وَالإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَهَذَا أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ»[(١)].

وقد ورد عن جماعة من الصحابة ﷺ التأكيد على أنه من الكبائر؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْأَمْنُ لِمَكْرِ اللهِ»[(٢)].

ولقد حرم الله تعالى -عباد الله- الأمن من مكر الله تعالى، لما فيه من المفاسد، منها:

إساءة الأدب مع الله تعالى، والجهلِ به وبأسمائه وصفاته، كقدرته وقوّته وجَبروته وعزته.

وحرم الله الأمن من مكر الله لما فيه من: التفريط في حق الله تعالى بترك أداء الواجبات، والاسترسال في فعل المحرمات.

وحرم الله الأمن من مكر الله لما فيه من: التقصير في ركنين من أركان العبادة: حيث فرَّط في الخوف من الله تعالى فلم يعد عنده خوفٌ أصلاً، وغلا في الرجاء فخرج به عن الحدِّ المشروع، وبهذا يترك الاعتدال الواجب بين الخوف والرجاء.

---

(١) مسند البزار (١٠٦)- تفسير ابن أبي حاتم (٩٣١/٣)- حديث حسن.

(٢) الطبراني في الكبير (١٣٠٢٣)، شعب الإيمان للبيهقي(٢٨٧).

وحرم الله الأمن من مكر الله لما فيه من: الغرور والثقة الزائدة بالنفس، والعُجب بها.

ولقد وصف الله تعالى من يأمن مكر الله تعالى بالخسارة، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِّ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِّ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٩]، وهذا يشمل: الخسارة في الدنيا والآخرة.

فالحذر من الاستدراج -عباد الله-؛ فعلى المسلم أن يحذر من استدراج الله له بالنعم مع إقامته على معصيته، واستمراره فيما يُسخطه؛ فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾[الأنعام:٤٤][(١)]. نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

عباد الله: وضد الرجاء الخوف؛ والخوف من الله تعالى عبادة من أعظم العبادات، ولكنه إذا زاد عن حدِّه المشروع وصل إلى درجة اليأس أو القنوط من رحمة الله.

فاليأس: هو انقطاع الرجاء والأمل من رحمة الله، واستبعاد فرج الله وعطائه.

والقنوط: هو شدة اليأس وغايته ومنتهاه. فهو يعتقد بأن الله لا يغفر له، إما بكونه إذا تاب لا يقبل توبته، وإما أن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب معها، فهو ييأس من توبة نفسه[(٢)].

والقنوط من رحمة الله حرام، كما قال تعالى في قصة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا

---

(١) رواه أحمد (١٧٣١١) حديث حسن.

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٥٦).

مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[يوسف:٨٧].

والقنوط من رحمة الله تعالى من كبائر الذنوب، كما في حديث ابْـنِ عَبَّـاسٍ، أَنَّ رَجُـلا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِّ! مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِّ، وَالإِياسُ مِـنْ رَوحِ اللهِّ، وَالْقُنُـوطُ مِـنْ رَحْمَةِ اللهِّ»(١).

وقد ورد عن جماعة من الصحابة ﷺ التأكيد على أنه من الكبائر؛ فعَـنِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ﷻ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»(٢).

ولقد صف الله تعالى من يقنط من رحمة الله بأوصاف، منها:

الكفر؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيْأَسُـوا مِـنْ رَوْحِ اللهِّ إِنَّـهُ لَا يَيْـأَسُ مِـنْ رَوْحِ اللهِّ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[يوسف:٨٧]، وهذا يدل على شدة تحريمه، لأنه من أعمال الكافرين التـي لا يجوز التشبه بهم فيها.

ومنها: الضلال؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِـنْ رَحْمَـةِ رَبِّـهِ إِلَّا الضَّـالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦]، والضالون: هو الذين أخطئوا طريق الصواب.

ولقد حرم الله تعالى القنوط من رحمته لما فيه من المفاسد، منها:

إساءة الأدب مع الله تعالى، والجهـل به وبأسمائه وصفاته، وتجريد الله تعالى من صفات الكمال اللائقة به، مثل: رحمته، ومغفرته، وسعة عطائه، وكرمه، وجوده.

---

(١) (لفظ آخر) مسند البزار (١٠٦)- سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٠٥١)- حديث حسن.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٥٦)، شعب الإيمان (١٠١٩) صحيح.

وحرم الله القنوط لما فيه من: إساءة الظن بالله تعالى، حيث ظن أن الله تعالى لا يغفر الذنوب لعباده، ولا يتجاوز عن زلاتهم، وأنه لا يعطي عباده ولا يرزقهم ولا يستجيب لهم.

وحرم الله القنوط لما فيه من: تكذيب آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ الدالة على كرم الله وسعة عطائه ومغفرته.

وحرم الله القنوط: لما يترتب عليه من: الإغراق في الذنوب والمعاصي، والشرود عن الله تعالى، والإيغال في البعد عنه، وإغلاق باب التوبة والإنابة، والصدِّ عن سبيل الله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ. وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ. قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ. قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ. قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر:٤٩-٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد:٢٨].

عباد الله: يجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف من الله تعالى، ورجاء رحمته، وبهذا يصل إلى درجة الاعتدال، فلا يغلب عليه الخوف فييأس من رحمة الله، ولا الرجاء فيأمن من مكر الله، قال الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وقد قرر السلف هذا المنهج، فمن ذلك:

قال أَبو عَلِيٍّ الرُّوذَبَارِيُّ رحمه الله: "الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ هُمَا كَجَنَاحَيِ الطَّيْرِ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا وَقَعَ منه النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ"، لِذَلِكَ قِيلَ: "لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَاعْتَدَلَا"[(١)].

وقال شُعْبَة بن الحجاج: "لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ، مَا زَادَ خَوْفُهُ عَلَى رَجَائِهِ وَلَا رَجَاؤُهُ عَلَى خَوْفِهِ"[(٢)].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعلم أنه لا ينبغي للمطيع أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان؛ ولا ينبغي للعاصي أن يقنط من رحمة الله ولو كثرت ذنوبه، ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ [الزمر:٥٣-٥٤].

---

(١) شعب الإيمان (٩٩٦).

(٢) شعب الإيمان (٩٩٥).

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٣٥)
باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[الروم:٢٥]، أحمده على القضاء حلوه ومره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقامة لذكره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الصابرين، وقدوة الناس أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه،وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٣].

عباد الله: إن قيام الإنسان بالطاعات واجتنابه المنهيات يحتاج إلى صبر ومجاهدة نفس، كما أن تحمل الإنسان ما ينزل به من مصائب ونوائب يحتاج إلى صبر[(١)].

والمراد بالصبر على أقدار الله: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التَّسخُّطِ، وحبسُ الجوارح عن لطمِ الخدود وشقِّ الجيوب ونحوهما.

والصبر واجب بإجماع العلماء. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران:٢٠٠].

---

(١) كنوز رياض الصالحين (١/٣٧٠).

وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»[(١)].

وللصبر -عباد الله- مكانة عظيمة من الدين؛ وذلك: أن الإنسان لا يمكنه أن يعبد الله إلا بالصبر، سواء أكان صبراً على طاعة الله، أو صبراً عن معصيته، أو صبراً على أقداره المؤلمة، ولهذا كثر الأمر بالصبر في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولعظم مكانة الصبر، قَالَ عَبْدُ الله بن مسعود: «الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ»[(٢)]، وقال العلماء: (الإيمان نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر)، ومعنى ذلك: أن المسلم مُتقلِّبٌ بين نِعَمٍ يجب شكرها، وأحوالٍ يجب الصبر عليها.

ولقد رغَّب الشرع -عباد الله- في الصبر، وبيَّن له فضائل كثيرة، منها: الصابرون يوفَّون أجرهم بغير عدٍّ ولا إحصاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠].

ومن الفضائل: محبة الله تعالى للصابرين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٦].

ومنها: معية الله الخاصة للصابرين، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

ومن الفضائل: الصبر خيرٌ لأصحابه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[النحل:١٢٦]؛ وقال ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ

---

(١) رواه البخاري (١٢٥٢) ومسلم (٩٢٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٩/١٠٤).

عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(١).

ومنها: أنَّ الصبر يدل على صدق العزيمة، قال الله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان:١٧].

وما من أحد -عباد الله- إلا ويتعرَّض للمصائب، ولكنَّ الناس تختلف مواقفهم عند ذلك.

فالناس حال وقوع المصائب الدنيوية على أربع مراتب:

أولها: الشكر والحمد، وهو مستحب، وهو أفضل المراتب.

وثانيها:الرضا، وهو مستحب .

وثالثها: الصبر، وهو واجب.

ورابعها: الجزع والتَّسَخُّطُ، وهو محرم.

والجزع والتسخط -عباد الله- ينافي الصبر، ويُنقص الإيمان، ويُعرِّض الإنسانَ لسخط الله تعالى.

وللجزع عند المصيبة وترك الصبر عقوباتٍ متعددة، منها:

سخط الله تعالى على العبد الذي يجزع، ويترك الصبر على المقدور؛ فعَنْ أَنَسٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»(٢) "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ".

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٢) رواه الترمذي(٢٣٩٦) ط الرسالة العالمية (٢٥٥٩)- حديث حسن.

والنائحة لـمَّا لم تصبر في الدنيا عوقبت بالنار؛ فعن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[١].

والصبر -عباد الله- على أقدار الله يكون: بـالقلب، واللسان، والجوارح.

فصبر القلب: بترك الجزع، قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١]، قال علقمةُ: هو الرجلُ تصيبه المصيبة، فيعلمُ أنها من عند الله فيرضى ويُسَلِّم[٢].

وصبر اللسان: بترك التشكي والندب والنياحة.

فالتشكي: إظهار الاستياء والتكدُّر. والندب: رفع الصوت بتعداد فضائل الميت ومحاسنه. والنياحة: رفع الصوت بالبكاء على الميت.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»[٣].

والمراد بالكفر هنا: الكفر الأصغر الذي لا يخرج عن الإسلام، ووصفها بالكفر يدل على أنها من الكبائر.

وصبر الجوارح: بترك لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك عند المصيبة؛ فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بن مسعود ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ،

(١) رواه مسلم (٩٣٤).
(٢) تفسير الطبري، وابن كثير.
(٣) رواه مسلم (٦٧).

وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»[(١)].

والبكاء -عباد الله- عند المصائب، سواءً أكان حزناً على الميت أو لغير ذلك من الأسباب من غير ندب ولا نياحة، أو البكاء على وجه الرحمة والرأفة: فهذا جائز، ولا ينافي الصبر ولا الرضا بقضاء الله.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال عندما دخل على ولده إبراهيم ﷺ وهو يجود بنفسه: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[(٢)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦].

---

(١) رواه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥).

عباد الله: الصبر شاقٌّ على النفوس ومنزلته عظيمة لا يُهدى إليها إلا موفق.

ومما يعين المسلم على الصبر:

معرفة أن المصيبة من علامات إرادة الله الخير بالعبد المسلم. لأن المصائب تكفِّر الذنوب؛ فعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»[(١)].

وفي حديث أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٢)].

ومما يعين على الصبر: معرفة أن وقوع البلاء بالمؤمن من علامات محبة الله له. كما في حديث أنس: «وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»[(٣)].

ومما يعين على الصبر: استحضار صغر المصيبة، بالنسبة لغيرها؛ لأنه ما من مصيبة إلا وهناك أكبر منها، فيحمد المسلم ربه على أن لم تكن أكبر منها، والنظرُ في واقع الناس المبتلين يُخَفِّفُ هذا، فكلُّ من ابتُلي بشيء فسيجد من ابتلي بما هو أشدُّ منه.

ومما يعين على الصبر: نظر المصاب إلى ما بقي عنده من النعم الدينية والدنيوية؛ من المال والأهل والولد، والصحة والعافية، والسلامة في الدين، فمهما كانت المصائب، فما بقي للإنسان أكثر مما فاته؛ لأن نعم الله عليه لا تعدُّ ولا تُحصى.

ومما يعين على الصبر: النظر إلى أنَّ المصيبة لم تكن في الدين. فمهما ابتلي الإنسان في بدنه أو ماله أو ولده أو غير ذلك من أمور الدنيا، فليحمد الله أن لم يُصَبْ في دينه

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وصححه الألباني- ط الرسالة العالمية (٢٥٥٨).

(٣) الترمذي (٢٣٩٦)، ط الرسالة العالمية (٢٥٥٩)- حديث حسن.

كتوحيده، وصلاته، وطاعته لربه جلَّ وعلا، واستقامته على دينه، وبُعْدِه عن أحوال الضالين والمنحرفين، فالدنيا مهما بقيت فهي إلى زوال كامل، وأمر الآخرة هو الأساس والباقي للإنسان.

ومما يعين على الصبر: النظر إلى أن عامة المصائب والابتلاءات تأتي عارضة في زمن ثم تنقضي؛ فما هو إلا صبر يسير بالنسبة للعمر، ويعقبه ثواب كثير، ولينظر الإنسان إلى حاله قبل البلاء، فقد كان في عافيةٍ زمناً طويلاً، ولينظر إلى ما بعد البلاء من عافية وأجر.

ومن أعظم ما يعين على الصبر: معرفة أحوال الـمُبْتَلِين، وصبرهم، وأشدُّ الناس بلاءً هم الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاقتداء بأولي العزم من الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عليهم السلام في صبرهم، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

ومن صور صبر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

صبر رسولنا ﷺ في مواقف كثيرة، منها: يوم أُحُدٍ، حيث شُجَّ رأسُه، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُه، وقُتِلَ عمه حمزة رضي الله عنه، وكثير من أجلَّاء الصحابة رضي الله عنهم، فصبر عليه الصلاة والسلام.

ومنها: صبر نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على تكذيب قومه وإيذائهم له، حتى إنهم أوقدوا له ناراً عظيمةً ثم رموه فيها عليه السلام، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

ومنها: صبر نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على فَقْدِ ماله وولده، وما أصيب به من المرض.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنستعن بالله تعالى على الصبر على البلايا، فإن الصبر يثمر: هداية القلب. وطمأنينة النفس. وراحة البال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

اللهم اجعلنا من الصابرين عند البلاء، وأنزل على قلوبنا السكينة والطمأنينة يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٣٦) باب ما جاء في الرياء

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، أخشى الناس وأتقاهم لله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وراقبوه في السرِّ والعلانية، واعلموا أنكم ملاقوه بأعمالكم، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١].

عباد الله: الإخلاص لله وحده عبادة عظيمة لها أثر في الدنيا والآخرة، ومما يقدح فيها ويضادها: الرياء والسمعة.

فالرياء: إظهار الشخص العبادة بقصد أن يراها الناس، فيحمدوه عليها.

ومن الرياء: السمعة، وذلك أن يُسمع الناس شيئاً من الطاعة والخير كذكر الله تعالى، لكي يثني عليه الناس. والفرق بين الرّياء والسّمعة أنّ الرّياء يكون في الفعل، والسّمعة تكون في القول[١].

ومن أمثلة الرياء: أن يحسِّن الإنسان صلاته ليراه الناس ويُثنوا عليه. وأن يتصدق الإنسان ليُثني عليه الناس. وأن يحسِّن الواعظ موعظته ليُثني عليه الناس.

---

(١) نضرة النعيم.

والرياء حرام -عباد الله-، وهو من الشرك الأصغر.

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٤-٧].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[1].

ومخالطة الرياء للعمل على وجهين -عباد الله-:

أولها: أن يكون الرياء في أصل العمل. مثل: أن يقوم فيصلي من أجل الناس، أو يتصدق من أجل الناس، أو يذكر الله من أجل الناس.

فهذا العمل فاسد لا يقبله الله تعالى، وذلك أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا إذا كان خالصاً له وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر:٣].

الوجه الثاني: أن يكون أصل العمل لله تعالى، ولكن يزيد فيه وصفاً أو شيئاً لأجل الناس. مثل: أن يصلي لله فإذا أحسَّ بمن يراه طوَّل صلاته، أو يتصدق لله فإذا شعر بمن يراه زاد في الصدقة.

فإذا كان خاطراً عارضاً، فهذا يجب دفعه، فإذا دفعه لم يضرَّهُ.

وأما إذا استمر معه، فهذا لا يبطل جميع عمله، وإنما يبطل العمل الذي قارنه الرياء.

ولذلك ينبغي الخوف من الرياء؛ فالرياء نوع من الشرك بالله تعالى، وهو يحبط

---

(١) رواه أحمد (٢٣٦٣٠)، (٢٣٦٣١)- سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٥١).

العمل؛ ولذلك خافه النبي ﷺ على أمته، فالواجب على المؤمن أن يخافه على نفسه، وأن يكون شديد الحذر منه. فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[1].

فإذا كان النبي ﷺ يخافه على أصحابه ﷺ وهم الذين وجّه لهم الخطاب ابتداءً، فغيرهم ممن لا يصل إلى منزلتهم أولى بأن يُخاف عليه من الرياء.

ولقد ذمَّ النبي ﷺ الرياء في أعمال عظيمة؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا، إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤) إسناده ضعيف- وحسنه الألباني- حسن بشواهده- صحيح الجامع (٢٦٠٧).

فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[١].

فقوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار، دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال.

عباد الله: قد يأتي الشيطان إلى المسلم فيوهمه أنه يرائي الآخرين ليبعده عن العمل الصالح، فإذا حصل هذا فليدفعه المسلم عن نفسه، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا يترك العمل الصالح؛ خوفاً من الرياء.

وليس من الرياء أن يعمل المسلم عملاً يخلص فيه لله ﷻ، ويطلع عليه بعض الناس، فيثنون به عليه، فيفرح بفضل الله ورحمته، ويستبشر بذلك؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٢).

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: الإخلاصُ لله أساسُ الدين وروحُ العبادة ولُبُّ التوحيد، وسببٌ لقبول الأعمال والنجاة في الآخرة من عذاب الله، وعليه مدار قبول الأعمال وردها وتفاضلها.

قال ابن القيم ﵀: فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحداً، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض[١].

فلا يقبل الله تعالى عملاً للمسلم إلا إذا توفر فيها شرطان:

أولها: الإخلاص لله تعالى. قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَّ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:١١].

وعن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٢].

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٠).

(٢) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

ومعنى الحديث: أن من عمل شيئاً لله ولغيره من المخلوقين، فإن الله تعالى لا يقبل عمله، بل يتركه لذلك الغير، فيكون عمله باطلاً لا ثواب فيه ويأثم به.

وثانيهما: المتابعة لرسول الله ﷺ. والمراد بها: أن يكون العمل موافقاً لسنة النبي ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقصان. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وعَنْ عَائِشَةَ ؓ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٢). وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

وقال الفضيل، في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]؛ قال: أخلصُه وأصوبُه. قال: إنَّ العملَ إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً؛ لم يُقبلْ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً؛ لم يقبل؛ حتى يكون: خالصاً صواباً!، قال: والخالص: إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة.

فينبغي -عباد الله- أن نعالج أنفسنا من الرياء، وأن نخلص العمل لله في جميع أمورنا؛ ويتلخص علاج الرياء بأمور.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) ح١٧ -وهذا لفظه-.

(٣) مسلم (١٧١٨) ح١٨.

منها: تذكر عظمة الله تعالى وجلاله، وأن العبادة يجب إخلاصها له وحده لا شريك له.

ومنها: مدافعة الرياء، والاجتهاد في استحضار الإخلاص لله تعالى.

ومن علاج الرياء: تذكر أن الناس لن ينفعوه بشيء، وأنهم مهما بلغوا فلن يغنوا عنه من الله شيئاً، فيترك النظر إليهم وإلى ثنائهم ومدحهم.

ومنها: تذكره بأن الله تعالى لا يقبل العمل ما دام فيه شيء من الشرك.

ومن العلاج: تعويد النفس على إخفاء بعض العبادات، وعدم إظهارها، مثل: قيام الليل، وصدقة السر.

ومنها: اللجوء إلى الله تعالى والإلحاح عليه في الدعاء بأن يعيذك من الرياء، ومما ورد من الدعاء في هذا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»[1].

وللسلف -عباد الله- أحوال وأقوال مع الإخلاص:

قال مكحول: «ما أخلص عبدٌ قطُّ أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه».

وقال أبو سليمان الدّارانيّ: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرِّياء».

وقال يوسف بن الحسين: «أعزُّ شيءٍ في الدُّنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرِّياء عن قلبي فكأنَّه ينبت على لون آخر».

---

(١) الأدب المفرد (٧١٦) وصححه الألباني.

وقال ابن القيّم: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر، يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه».

فلتكن أعمالنا خالصة لله -عباد الله-؛ فثمراته عظيمة: فالإخلاص يؤدي إلى تقوى الله والرضا.

والفوز بشفاعة النبي ﷺ في الآخرة.

والإخلاص سبب لمغفرة الذنوب.

ويُنقِّي القلب من الحقد والحسد، ويُهذِّب النفس ويُحصِّنها من سيئ الصفات.

والإخلاص يُنفِّس الكروب ويزيل الهموم ويريح النفوس.

وبالإخلاص يدرك العبد الأجر على العمل الذي يعجز عنه. ﴿فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا للهَّ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

اللَّهُمَّ إِنَّا نعُوذُ بِكَ أَنْ نشْرِكَ بِكَ وَنحن نعْلَمُ، ونسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نعْلَمُ.

اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم من دون رياء ولا سمعة، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٣٧)

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره ،مالك الملك، ذي العزة والجبروت، والكبرياء والعظمة، أحمد سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: فالإنسان بطبيعته محبٌّ للمال لأنه من زينات الدنيا، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦].

ولكنَّ الإفراط في حبِّ المال منهيٌّ عنه؛ لأنه يفتن الإنسان ويجعله عبداً له ويشغله عن طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٢٨]، أي: تشغل البال عن القيام بالطاعة. وقَالَ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ»(١).

إن من اتباع الهوى -عباد الله- الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حبُّ المال والشرف، ومن حبِّ المال والشرف استحلال المحارم، ومن أجل ذلك عتب على

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٦) وصححه الألباني، كنوز رياض الصالحين (٢٦٩/٧).

صاحب المال والشرف الرغبة في الدنيا وتفضيلها على الآخرة[(١)].

فعَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[(٢)].

فمن طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية: كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من طلب الشرف بالمال -وكلاهما مذموم-، وأقبح وأشد فساداً وخطراً ؛فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى، والنعيم المقيم، ويطلب به ما عند الله، والقرب منه، والزلفى لديه[(٣)].

والمراد بإرادة الإنسان بعمله الدنيا: هو أن يعمل المسلم الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك ثواب الله تعالى، وإنما يريد مالاً أو جاهاً أو منزلة أو وظيفة في الدنيا.

مثل: من تعلم العلم الشرعي؛ لمجرد الحصول على الوظيفة. أو حج بيت الله تعالى نيابة عن أحد؛ لمجرد الحصول على المال. أو جاهد في سبيل الله تعالى؛ لمجرد الحصول على الغنيمة.

وقد يختلط الأمر -عباد الله- على بعض الناس بين من يريد بعمله الدنيا، وبين الرياء.

فنقول: يجتمع المرائي ومن أراد بعمله الدنيا في: أنَّ كلاً منهما لم يقصد بالطاعة وجه الله والدار الآخرة.

---

(١) كنوز رياض الصالحين (٣٧٤/٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٦) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ -وصححه الألباني- ط الرسالة العالمية (٢٥٣٣).

(٣) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٥١).

ويفترقان في: أن المرائي يريد ثناء الناس؛ ومن أراد بعمله الدنيا يريد: المال أو الجاه ونحوهما.

ولا يجوز للمسلم -عباد الله- أن يعمل شيئاً من الأعمال الصالحة لا يريد بذلك إلا مجرد المطامع الدنيوية؛ بحيث يكون رضاه وسخطه معلقاً بما يُعطاه من الدنيا، دون التفات إلى الحياة الحقيقية، وهي الحياة الآخرة.

كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[التوبة:٥٨]، فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله.

ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة -عباد الله- فإنه يعاقب على ذلك في الآخرة بعقوبات؛ منها: حبوط العمل وعذاب النار؛ قال الله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[هود:١٥-١٦]؛ أي: أن من كانت الدنيا همّه وطلبته فنواها بأعماله ولم يلتفت للآخرة، جازاه الله بحسناته في الدنيا إن شاء -تعالى-، كما في الآية الأخرى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنةٌ يُعطى بها جزاء[(١)].

ومن عقوبات من أراد الدنيا بعمل الآخرة: الحرمان من دخول الجنة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا[(٢)].

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص:٢٩٠).

(٢) رواه أحمد (٨٤٥٧) وأبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) وصححه الألباني.

ومن العقوبات: الخيبة والخسارة في الدنيا والآخرة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[(١)].

وسمي عبداً للدينار وغيره؛ لكونه يعمل العمل الصالح لأجل الدينار والدرهم، لا يرضى ولا يسخط إلا لأجلهما، فصار رضاه وسخطه لغير الله. ومن كانت هذه حاله فقد وقع في الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب، وقد استحق التعاسة والخسارة بدعاء النبي ﷺ بذلك عليه.

ومن المسائل الدقيقة الخفية على كثير من الناس إلا من رحم الله: ما ذكر عن السلف من أنواع الأعمال التي يفعلها الناس من العبادات.

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٧٥).

ومثله من يتصدق من أجل شفاء مريضه، فنقول: اجعل صدقتك خالصة لله، وشفاء المريض يأتي تبع بإذن الله.

وكذلك من يتصدق من أجل دفع البلاء عن نفسه وعن أولاده، فنقول: اجعل صدقتك خالصة لوجه الله، ودفع البلاء يأتي تبع إن شاء الله. ولا تجعل محافظتك على الصلاة من أجل جلب الرزق، ولكن اجعل محافظتك على الصلاة خالصة لوجه الله، والرزق يأتي تبع بإذن الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[الشورى:٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤].

عباد الله: من نظر إلى من يعمل عمل الآخرة لأجل الدنيا، فإنه يخاف على نفسه من أي عمل يعمله، أو يسول له الشيطان بأن لا يتولى أي عمل من الأعمال الصالحة التي فيها أجرة أو رزق من الدولة بسبب تولي هذا العمل.

فنقول: يجوز لمن تولى بعض الأعمال الصالحة -كتعليم القرآن الكريم، وتدريس العلم الشرعي- أن يأخذ ما تدفعه الدولة من الرواتب لمن تولى هذه الولايات الشرعية؛ لما في ذلك من الإعانة على رِفعة الدِّين وإقامة الشرائع، ولا يُعدُّ ذلك من إرادة الدنيا بعمل الآخرة، ما دام أنَّ نيته لله. ومما يدلُّ على ذلك:حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[1].

وكذلك -عباد الله- يشرع تولي الأكفاء للأعمال الشرعية، مثل: تولي القضاء، والإفتاء، وإمامة المسجد، والأذان، وتدريس القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وقد يجب على الكفء تولي عمل من الأعمال، وذلك إذا لم يوجد من هو أهل لتولي ذلك العمل، وكانت الحاجة إليه ماسة.

وعلى من تولى ذلك مراعاة: الاجتهاد في تصحيح النية، وإخلاصها لله تعالى.

ومنها: أن يستحضر نيةَ القيام بفرض الكفاية؛ لأن تولي هذه الأعمال فرض كفاية على المسلمين؛ لأن أمورهم لا تصلح بدونها.

ومنها: الإحسان في هذا العمل، وإتقانه على الوجه المشروع.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنجعل أعمالنا خالصة لوجه الله تعالى، ولا يكن رضى الإنسان وسخطه، بما يُعطى أو يُمنع. ﴿فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٣٧).

اللهم اجعلنا ممن يرجوك ولا يرجو غيرك، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكـريم، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٣٨) باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أرباباً

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والهداية والإضلال، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس وأتقاهم لله، وأخوفهم من عذابه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أيها المسلمون: العبودية لله تعالى هي أعلى وأشرفُ مقاماتِ العبد، وكمالُ الإنسان في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبدُ تحقيقاً لعبوديته لربه، ازداد كمالُهُ وعَلَتْ منزلتُهُ.

ومن هذه العبادات-عباد الله-: الطاعة في التحليل والتحريم.

فالتحليل والتحريم هو حقيقة التشريع، وهو حق خاص لله تعالى، لا يجوز أن يشاركه فيه أحد، وهو مقتضى ربوبيَّتِه على خلقه، وطاعتُهم فيه دون سواه، هو مقتضى توحيدِ الألوهية. كما قال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[يوسف:٤٠].

والطاعة -عباد الله-: ضد المعصية، ومعناها امتثال الأمر واجتناب النهي. وهي إما أن تكون [طاعة مشروعة أو طاعة ممنوعة].

والطاعة المشروعة؛ إما أن تكون طاعة مطلقة، أو طاعة مقيدة.

فالطاعة المطلقة: هي طاعة الله ورسوله: وتعني الاستجابة والانقياد لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ والتسليم والرضى بذلك الأمر بدون تردد أو مماراة، وقد ورد ذلك في آيات كثيرة منها: قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال:١].

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

والطاعة حق لله تعالى؛ فهو سبحانه المالك المعبود المطاع، والخلق مُلْكٌ وعبيدٌ له، فالله سبحانه يُطاع لذاته، وغيره إنما يُطاع لأنَّ الله جل وعلا أذن بطاعته.

وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠].

والرسول ﷺ هو المبلِّغ عن الله،والذي أمر الله بطاعته، وأخبر أنه لا ينطق عن الهوى، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[النساء:٦٤].

ورتَّب الله ﷻ على هذه الطاعة الجزاء العظيم في الآخرة، فقال: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء:٦٩].

وأما الطاعة المقيدة: فهي التابعة لطاعة الله ورسوله ﷺ. ويتبع طاعة الله ﷻ، ورسوله ﷺ طاعة من أمرنا الله ورسوله بطاعته مثل:

طاعة ولاة الأمور، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»[١].

وممن أمرنا الله ورسوله بطاعته: طاعة أهل العلم والذكر، قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٧].

وممن أمرنا الله ورسوله بطاعته: طاعة الوالدين، وهي من الإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

وممن أمر الله ورسوله بطاعته: طاعة الزوجة لزوجها، قال ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»[٢].

ويشترط في الطاعة التابعة لطاعة الله ورسوله، أن لا تكون في معصية؛ فإن أمر الوالي أوالعالم، أو أمر الزوج والوالد بمعصية فلا طاعة له، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:١٥]. وقال ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) رواه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).

فالطاعة المطلقة لله وحده، أما غيره فطاعته مقيدة بطاعة الله ورسوله ﷺ.

وأما الطاعة الممنوعة -عباد الله-، وهي طاعة غير الله [فهي طاعة شركية أو محرمة].

فالطاعة الشركية؛ تسمى الطاعة في التشريع، ومعناها: طاعة أحد من الناس في تغيير أحكام الله تعالى، بتحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله. مثل: طاعة أحد في إسقاط وجوب صلاة من الصلوات الخمس، أو في إباحة الزنا، أو إباحة الخمر، أو إباحة الربا. وهذه حكمها: شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام؛ لأنها اتخاذ شريك مع الله تعالى في التشريع، فمن أطاع أحداً من العلماء أو الأمراء أو غيرهم في تحريم ما أحلَّ الله، أو تحليل ما حرَّم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله.

فعَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ وَالْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾ [التَّوْبَة:٣١]، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ: ﴿ أَلَيْسَ يُحَرِّمُوْنَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ ﴾، فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: ﴿ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم ﴾[1].

ومن الطاعة الممنوعة: الطاعة المحرمة؛ وهي الطاعة في معصية الله تعالى. **مثل**: طاعة أحد في ترك الصلاة، أو في شرب الخمر، أو في فعل الفاحشة، أو في أكل الربا.

وهذه حكمها: حرام، ولكنها لا تصل إلى درجة الشرك.

ولقد عمت البلوى -عباد الله- بهذا المنكر العظيم؛ فكم نرى ونسمع بين الفينة

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥) وحسنه الألباني، تفسير الطبري ت: شاكر (٢١٠/١٤)، المعجم الكبير للطبراني (٩٢/١٧)، السنن الكبرى للبيهقي (١٩٨/١٠)- كتاب التوحيد.

والأخرى، عبر وسائل التواصل أو في بعض القنوات الفضائية، -ممن لا يُنسب إلى العلم، أو من صغار المتعلمين- من يخرج ويتكلم في مسألة عظيمة، ويدعو إلى تحريم ما أحلَّ الله، أو إلى تحليل ما حرَّم الله صراحة، ويقول فيها قولان،-فأصبحت هذه الكلمة مَركباً لكل من يريد المخالفة اتباعاً لهواه -، مع أنَّ فتواه فيها مناقضة صريحة لكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ويتَّبِعه كثير من جهلة الناس والعياذ بالله.

فيجب تقديم طاعة الله -عباد الله- تعالى ورسوله ﷺ على طاعة أي أحد، سواء أكان طاعة في التشريع. أو طاعة في فعل الواجبات، وترك المحرمات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله من تمسَّك بهديه قرَّبه وأدناه، ومن خالف أمره أبعده وأقصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: أخبر الله عن اليهود والنصارى أنهم بدَّلوا دينهم، واتخذوا علماءهم وعبَّادهم آلهة من دون الله تعالى؛ لأنهم أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله، فقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا

أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، فدل على أنَّ الطاعة في التحليل والتحريم شرك أكبر.

وهذا النوع من الشرك هو الذي يسميه العلماء: "شرك الطاعة"، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٢١].

وللسلف آثار -عباد الله- في تقديم طاعة الله ورسوله ﷺ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُوْشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ؛ أَقُوْلُ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ! وَتَقُوْلُوْنَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!» فما بالك بمن يقدم ما دون أبي بكر وعمر.

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ وَيَذْهَبُوْنَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ!! وَاللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيْبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ ﴾ [النُّوْر:٦٣] أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ نعوذ بالله من زيغ القلوب.

ولقد نهى أهل العلم عن طاعتهم في اجتهادهم إذا كان يخالف الكتاب والسنة، وأقوالهم في ذلك كثيرة:

قال الإمام أبو حنيفة: "إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ، فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة"[(١)].

وقال الإمام الشافعي: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت[(٢)].

---

(١) أهمية العناية بالتفسير والحديث والفقه (ص: ٣٨).
(٢) صفة الصفوة (١/ ٤٣٨).

وَقَالَ الإمام مَالِكُ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

وَقَالَ الإمام أَحْمَدُ: لَا تُقَلِّدْنِي وَلَا تُقَلِّدْ مَالِكًا وَلَا الثَّوْرِيَّ وَلَا الْأَوْزَاعِيَّ، وَخُذْ مِنْ حَيْثُ أَخَذُوا(٢).

فهذا فيه التحذير من تقليد العلماء من غير دليل، وترك العمل بالكتاب والسنة وأن ذلك شرك في الطاعة.

وأما العامة: فيجوز التقليد لمن لا يعرف الدليل؛ بأن يقلد من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم (٣).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنقدم كلام الله ورسوله ﷺ على كلام كل أحد كائناً من كان. فهذا فيه السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة. ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٥١].

جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/٣٠٧).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/١٣٩).

(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٩٨).

كتاب التوحيد (٣٩) باب قول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ... ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحكم العدل، جامع الناس ليوم لا ريب فيه، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: إفراد الله جل وعلا في ربوبيته وفي إلهيته يتضمن ويقتضي ويستلزمُ أن يُفردَ في الحكم، فكما أنه جل وعلا لا حُكم إلا حكمُه في ملكوته، فكذلك يجب أن يكونَ لا حكم إلا حكمه فيما يتخاصم فيه الناس وفي الفصل بينهم، فالله جل وعلا هو الحَكَمُ، وإليه الحكم سبحانه، ﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر:١٢]، فتوحيد الله جل وعلا في الطاعة، وتحقيقُ شهادة أن لا إله إلا اللهُ وأن محمداً رسول الله لا يكون إلا بأن يكون العبادُ مُحكِّمين لما أنزل الله جل وعلا على رسوله[١].

فتحكيم شرع الله –عباد الله– على عباده، له أهمية كبرى في دين الإسلام؛ منها: أن

---

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص٤٤٢).

تحكيم الشريعة مرتبط بتوحيد الربوبية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

ومنها: أن تحكيم الشريعة مرتبط بتوحيد الألوهية، كما قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠].

ومنها: أن تحكيم الشريعة مرتبط بتوحيد الأسماء والصفات، كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة:١٠].

ومنها: أن تحكيم الشريعة مرتبط بالإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان:٢٢] وتحكيم الشريعة استسلام لأمر الله وحده.

ومنها: أن تحكيم الشريعة مرتبط بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.. ﴾ [النساء:٦٥].

فالله تعالى خالق العباد، وهو العليم بأحوالهم، الخبير بما يصلحهم ويفسدهم، ومن حكمته الكاملة أن شرع لهم ما يتناسب مع فطرهم، ويصلح أحوالهم، وقد تضمن شرعه غاية الحكمة والعدل، والجمع بين مصالح الدنيا والآخرة، والفرد والجماعة، فالواجب عليهم جميعاً التحاكم إلى شريعته، لأنه لا شيء أصلح لهم منها، وهي الشريعة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان؛ لأنها من الله تعالى.

وكل ما سوى حكم الله تعالى وشرعه فهي أحكام جاهلية؛ لأنها لا تُستمدُّ من نور الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ

يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

فالتحليل والتحريم -عباد الله- هو حقيقة التشريع، وهو حقٌّ خاصٌّ لله تعالى لا يجوز أن يشاركه فيه أحد، وهو مقتضى ربوبيَّتِه على خلقه، وطاعتُهم فيه دون سواه هو مقتضى توحيدِ الألوهية. ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

ونحمد الله جلَّ وعلا على ما تميزت به بلادنا بوجود المحاكم الشرعية التي تحكم بشرع الله.

فيجب على كل مسلم -عباد الله- الرِّضا بشريعة الله تعالى، والتسليمُ لها، وأن لا يجد في نفسه من أحكامها شيئاً، كحرجٍ أو ضيقٍ أو عدمِ رضا، ولا يتمُّ إيمان المسلم إلا بذلك. قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

والتحاكم إلى شرع الله تعالى هو: تحكيم شريعة الله تعالى في شؤون الحياة كلها، والرجوع إليها عند النزاع والتخاصم.

والمسلم ينبغي له أن يطبق شرع الله تعالى في كل أحواله.

والتحاكم إلى شريعة الله تعالى واجب على جميع المسلمين أفراداً وجماعات، مؤسسات وحكومات. قال الله تعالى: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة:٤٨]، وقال: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

ويجب التحاكم -عباد الله- إلى شريعة الله تعالى في كل شيء، في المعاملات التجارية والاقتصادية، والشؤون السياسية، وشؤون السِّلْم والحرب، وشؤون الأسرة، والشؤون الاجتماعية، والأخلاق والسلوك، والتربية والتعليم، والجرائم، والدماء،

والمصالحات، وغير ذلك.

والتحاكم إلى شرع الله -عباد الله-، له آثار حميدة.

منها: تحقيق التوحيد، بإفراد الله تعالى بالطاعة، وتمام الاستسلام له.

ومن آثاره: تحقيق المتابعة لرسول الله ﷺ، بطاعته فيما جاء به من ربه جلَّ وعلا.

ومنها: تحقيق العدل والإنصاف، ومنع الظلم والتعدي.

ومنها: تحقيق الأمن، والمحافظة على الممتلكات العامة والخاصة.

ومنها: الوقاية من الجريمة، وبهذا تتحقق حماية المجتمع، وصيانة الأنفس، والأعراض.

ومن آثار التحاكم إلى شرع الله: إصلاح الفرد والمجتمع في كافة شؤون الحياة.

وأما الآثار السيئة للتحاكم إلى غير شرع الله، فمنها: وقوع الشرك، باتخاذ شركاء لله تعالى في التشريع، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى:٢١].

ومنها: تعطيل شريعة الله تعالى.

ومنها: انتشار البغي والظلم والفوضى، وانتفاء تحقيق العدل والإنصاف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[النور:٥١-٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

عباد الله: التحاكم إلى غير شرع الله تعالى هو: نَبْذُ تحكيم الشريعة الإسلامية، والحكم بالقوانين الوضعيَّة، أو الأعراف القبلية، أو الأذواق البشرية، سواء أكان هذا في شؤون الحياة كلها، أم كان في جانب من جوانبها.

والتحاكم إلى غير شرع الله تعالى من أعظم المحرمات، وأكبر الموبقات، وقد وَصَفَ الله تعالى الذين لا يحكُمون بما أنزله من الكتاب والهُدى بثلاثة أوصاف هي أسوأ الأوصاف وأقبحُها: وصفه بالكفر، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ووصفه بالظلم، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، ووصفه بالفسق، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

فالتحاكم إلى شرع الله تعالى هو مقتضى الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، والتحاكم إلى غير شرع الله تعالى والدعوة إلى تحكيم القوانين الوضعية ينافي الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

وحقيقة التحاكم إلى غير شرع الله أنه تحاكم إلى الطاغوت. وهو: مجاوزة الحد، ومعناها هنا: كلُّ ما تحاكم إليه متنازعان غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو طاغوت

لأنه تُعُدِّي به حدُّه. قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾[النساء:٦٠-٦١]، ودلت الآية الكريمة على أن الذي يدعو إلى التحاكم إلى الطواغيت هو الشيطان الرجيم،وأن هذا من إضلاله لهم لإبعادهم عن هُدَى الله تعالى.

والمنافقون -عباد الله-من عهد النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة، على مَرِّ التاريخ، في كل زمان ومكان يدعون إلى تحكيم غير شريعة الله تعالى، ويُظهرون للناس أنهم يريدون بذلك الإصلاح؛ ليخدعوا الجاهلين فيقبلوا دَعواهم، ولكنَّ الله تعالى قد بيَّن حقيقة دعوتهم في الباطن حتى لا يَغترَّ بهم المسلمون، وحقيقةُ دعوتهم: أنهم يريدون الفسادَ في الأرض، وزعزعةَ المسلمين عن دِينهم. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦].

فكل خير وصلاح، وأمن واستقرار، فسببه طاعة الله تعالى، والتحاكم إلى شريعته، وكل فساد وضلال وشر، فسببه البعد عن طاعة الله تعالى والبعد عن تحكيم شريعته.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحكم شرع الله تعالى في أنفسنا، وفي أهلينا وأولادنا، ومع غيرنا، وفي تعاملاتنا، وفي مجتمعنا، وفي كل أمورنا. ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[القصص:٧٠].

اللهم احفظ علينا ديننا وثبتنا عليه، واحفظ بلادنا وأمننا وشريعتنا وقادتنا، من كيد الكائدين ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٤٠)

باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

عباد الله: الإيمان بالله تعالى هو أساس العقيدة ولبُّها، والإيمان معنى عام ، والتوحيد جزء منه، فالإيمان شامل لإيمان العبد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، والتوحيد داخل في ركن الإيمان بالله تعالى، فلا يصح الإيمان بالله تعالى إلا بتوحيده سبحانه.

والتوحيد أنواعه ثلاثة:

توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله سبحانه؛ فهو الخالق، الرازق، المالك، المدبِّر لأمور خلقه جميعاً.

وتوحيد الألوهية: وهو إفراد الله بالعبادة؛ ويسمى توحيد العبادة.

وتوحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ.

وهذه الأقسام تُشكِّل بمجموعها جانب الإيمان بالله الذي نسميه التوحيد، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة يُكمِّل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله[(١)].

فهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد متلازمة، من لم يؤمن بها جميعاً لم يكن موحداً.

فتعظيم الأسماء والصفات -عباد الله- من كمال التوحيد، وأنَّ جحد الأسماء والصفات مناف لأصل التوحيد؛ فالذي يجحد اسماً سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ وثبت ذلك عنه وتيقنه، فإنَّه يكون كافراً بالله جل وعلا، كما قال سبحانه عن المشركين: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد:٣٠]. أي: يَجْحَدُونَ وَحْدَانِيَّةَ اللهِّ، وَيُكَذِّبُونَ بِهَا[(٢)].

فكفار قريش ﴿يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، والمراد: أنهم يكفرون بهذا الاسم لا بالمسمى،

---

(١) مقالة: شبكة الألوكة.

(٢) تفسير الطبري (١٣/٥٣٠).

فهم يقرون به، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥]، وفي حديث سهيل بن عمرو: «لما أراد النبي ﷺ أن يكتب الصلح في غزوة الحديبية قال للكاتب: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل: أما الرحمن؛ فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب باسمك اللهم»، وهذا من الأمثلة التي يراد بها الاسم دون المسمى. وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠][1].

وعن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ ساجداً يدعو: يا رَحْمَنُ يا رَحيمُ، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحداً، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[2].

أي: بأي اسم من أسمائه تدعونه؛ فإنَّ له الأسماء الحسنى فكل أسمائه حسنى؛ فادعوا بما شئتم من الأسماء،ويراد بهذه الآية الإنكار على قريش.

وفي الآية دليل على أنَّ من أنكر اسماً من أسمائه تعالى فإنه يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾، ولأنه مكذِّبٌ لله ولرسوله، وهذا كفر[3].

وفي صحيح البخاري: عن عَلِيٍّ قال: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»[4].

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/١٩٠).
(٢) تفسير الطبري (١٥/٥٧٩).
(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/١٩٠).
(٤) البخاري (١٢٧).

وسبب هذا القول -والله أعلم- ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القُصَّاص وأهل الوعظ. فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل فربما استنكرها بعض الناس وردها. وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك، فأرشدهم أمير المؤمنين ﷺ إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال من الحرام الذي كُلِّفوا به علماً وعملاً، دون ما يُشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى ردِّ الحق وعدم قبوله فيفضي- بهم إلى التكذيب، ولا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم[1].

وقال ابن حجر: وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[2].

والواجب على المسلم -عباد الله- أنه إذا سمع صفة من صفات الله في كتاب الله، أو في سنة رسوله ﷺ، أن يجريها مجرى جميع الصفات، وهو إثباتها بلا تكيف، وبلا تمثيل.

ونصوص الصفات ليست مما ينهى عن التحديث به؛ بل ينبغي ذكرها وإعلانها؛ فليس استنكار بعض الناس لها بمانع من ذكرها، فما زال العلماء قديماً وحديثاً يقرأون آيات الصفات وأحاديثها بحضرة العوام والخواص.

فعن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه.

---

(١) فتح المجيد (٣٥٤).

(٢) رواه مسلم (١/١١)، فتح الباري لابن حجر (١/٢٢٥).

وهذا يدل على: أنه لا مانع من ذكر آيات الصفات وأحاديثها بحضرة عوام الناس وخواصهم من باب التعليم.

وأن من ردَّ شيئاً من نصوص الصفات أو استنكره بعد صحته فهو من الهالكين.

وينبغي الإنكار على من استنكر شيئاً من نصوص الصفات[(١)].

فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الإيمان بكتاب الله كله واليقين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: علينا الاعتقاد الجازم بأَنَّ الله ﷻ له الأَسماء الحسنى والصفات العُلى، وهو

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣١٨).

متَّصف بجميع صفات الكمال، ومنزَّهٌ عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات.

وأَهل السُنّة والجماعة: يَعْرِفُونَ ربهم بصفاته الواردة في القرآن والسنَة، ويصفون ربَّهم بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسولهُ ﷺ، ولا يحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه، ولا يُلحدون في أَسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أَثبته لنفسه من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، وقاعدتهم في كلِّ ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]. وقوله: ﴿ وَللهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأَهل السُنَّة والجماعة: لا يُحدِّدون كيفية صفات الله جل وعَلا، لأنه تبارك وتعالى لم يخبر عن الكيفية، ولأَنه لا أَحد أَعلم من الله سبحانه بنفسه، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ﴾ [البقرة:١٤٠]. وقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤]. ولا أَحدَ أَعلم بالله بعد الله من رسوله ﷺ الذي قال الله في حقه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم:٣-٤].

وأَهل السنة والجماعة: يؤمنون أَنَّ الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣].

وكما أَنَّ ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه الذوات، فكذلك صفاتهُ لا تشبهُ الصفات، لأَنَّه سبحانه لا سميَّ له، ولا كفءَ له، ولا نِدَّ له، ولا يُقاس بخلقه؛ فيثبتون لله ما أَثبته لنفسه إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل.

ويؤمنون بأَنَّ الله ﷻ محيطٌ بكلِّ شيء، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤].

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بأَن الله تعالى استوى على العرش فوق سبع سماوات، كما يؤمنون بعلوه تعالى على خلقه، وأنه بائن من خلقه، أَحاط بكل شيءٍ علماً، كما أَخبر عن نفسه في كتابه: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥].

وأَهل السُّنَة والجماعة: يثبتون لله علماً، وقدرةً، وقوةً، وعزاً، وكلاماً، وحياةً، ومحبةً، ورحمةً، ونفْساً، وغضباً، وسخطاً، وكراهيةً، ورضاً، وضحكاً، ومعيةً، وقدماً، وساقاً، ويداً، وسمعاً، وبصراً، ووجهاً، وعيناً، وغيرها من الصفات التي تليق بجلاله وعظمته وكماله سبحانه، والتي وصف بها نفسه في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيه ﷺ بكيفية يعلمها الله ولا نعلمها؛ لأنَه تعالى لم يخبرنا بالكيفية.

فمنهج أَهل السنَّة والجماعة في كلِّ ذلك: الإِيمان الجازم، والإقرار الكامل، والتسليم التام، بما أَخبر به الله تعالى في كتابه، وأَخبر به رسوله ﷺ في سنته، والعمل بهما من جميع وجوهها، من دون إلحاد، أو تحريف، أو تأويل، أو تعطيل، أو تكييف.

كما قال الإِمام الزُّهري رحمه الله: (مِنَ الله الرِّسَالةُ، وعلى الرسولِ البلاغُ، وعلينا التَسليمُ).

وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله: (آمنتُ بالله، وبما جاءَ عن الله على مرادِ الله، وآمنتُ برسول الله وبما جاء عن رسولِ الله على مُراد رَسُولِ الله).

وسأل رجل الإمامَ مالكاً عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ فقال: (الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقول، والإِيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنهُ بدعة، وما أراكَ إِلا ضالاً)؛ وأَمر به أن يُخرج من المجلس[(١)].

---

(١) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة (١/٤٩).

فلنتق الله تعالى-عباد الله-، ولنؤمن بأسماء الله وصفاته، ولنتعلَّم معانيها، فالعلم بها يدعو إلى محبته وخشيته، ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه، ولنتعبَّد الله بها، فإن فيها الآثار الطيبة في سلامة القلوب، وسلامة الأخلاق والسلوك. وفي هذا فوز العبد وسعادته في الدارين.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٤١) باب قول الله عز وجل:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا...﴾

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[الروم:٢٥]، أحمده على القضاء حلوه ومره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفضل على عباده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، واشكروه على نعمه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

أيها المسلمون: الله تعالى هو الـمُنعم على عباده؛ ونحن نتقلب بنعم كثيرة، أعظمها نعمة الإسلام، وصحة العقيدة، ثم نعمة الأمن في الأوطان؛ فالله تعالى يُسدي علينا النعم، ويدفع عنا النقم؛ فالمريض يشفى بإذن الله، والفقير يغتني بحول الله، والعبد تحصل له مصيبة وبلية فينجو منها بقدر الله، والأرض المجدبة ينزل عليها المطر بأمر الله؛ ويذهب الواحد منا المسافات الطويلة، بأوقات قصيرة، وكل ذلك بحفظ الله.

فالواجب علينا -عباد الله-، إضافة جميع النعم إلى الله تعالى، لأنَّه سبحانه هو الـمُنعِمُ على جميع خلقه، فلا أحدَ سواه يُنعم عليهم؛ وأمَّا العباد فهم أسباب يُجري الله تعالى النِّعم على أيديهم متى شاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل:٥٣]، ولا يكون العبد موحداً كامل التوحيد، حتى ينسبَ جميع النِّعم إلى الله تعالى بقلبه، ولسانه، ويستعملَ نِعَمَ الله بجوارحه في طاعته، ويجتنبَ استعمالها في معصيته.

ونِعَمُ الله تعالى على عباده كثيرة جداً، لا يمكن لأحد أن يعدَّها أو يحصيها، قال الله تعالى مذكراً بذلك: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

فيجب شكر الله تعالى على جميع نعمه، قال الله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل:١١٤].

والشكر الكامل -عباد الله- يتحقق بوجود ثلاثة أركان:

اعترافُ القلب بنعمة الله، ويقينُه أنَّ كلَّ نعمة فهي من الله جل وعلا.

وإقرارُ اللِّسان بالنعمة، وثناؤه على الله تعالى بنعمه كلِّها.

واستعمالُ النِّعمة في طاعة الله، وتجنُّب استعمالها في معصيته.

وشكرُ الله تعالى على نعمه، وإضافتها إليه، لا يعني التنكُّرَ للمعروف، وجحدَ الناس ما أحسنوا به، بل إنَّ من تمام الإيمان: شكرَ الناس على إحسانهم، والثناءَ عليهم به، والدعاءَ لهم، وتركَ الجفاء معهم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ ﷻ»[(١)].

قال أَبُو حاتم ابن حبان: الواجب على من أسدى إليه معروفاً، أنْ يشكُره بأفضلَ منه أو مثله؛ لأنَّ الإفضال على المعروف في الشكر، لا يقوم مقام ابتدائه وإن قلَّ، فمن لم يجد فليثن عَلَيْهِ؛ فإنَّ الثناء عند العدم، يقوم مقام الشكر للمعروف، وما استغنى أحدٌ عن

(١) رواه أحمد في مسنده (٧٥٠٤)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٥)، وقال حديث حسن.

شكر أحد[١].

ومن كفران النعمة -عباد الله-: أن يُنعِمَ اللهُ على عباده، ويأتي العبد فينسب تلك النعمة إلى غير الله؛ بمعنى أن يُضيف النِّعم إلى السبب الظاهر، مع نسيان المسبِّب والمنعم الحقيقي وهو الله تعالى.

فالواجب إذاً: أن تنسب النعمة إلى الـمُسدِي لا إلى السبب؛ لأنَّ السبب لو أراد الله جل وعلا لأبطل كونه سبباً، وهذا السبب إذا كان آدمياً فقلبه بين أُصبعين من أصابع الله جل وعلا، لو شاء لصدَّه عن أن يكون سبباً، أو أن ينفعك بشيء، فالله جل وعلا هو وليُّ النعمة[٢].

ونسبة النعم لغير الله -عباد الله-، لها صور كثيرة، وهي ثمة ألفاظ يستعملها كثير من الناس، في مقابلة النِّعم، أو في مقابلة اندفاع النِّقم، وتكون تلك الألفاظ نوع شرك بالله جل وعلا، بل هي شرك أصغر بالله جل وعلا[٣].

فمن صور نسبة النعم لغير الله: قول: (لولا فلان لم يكن كذا).

قال عون بن عبدالله رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[النحل:٨٣]. يقولون: لولا فلانٌ لم يكن كذا. وهذا كما يقول بعض الناس: لولا الطيار لهلكنا، أو لولا السائق لاصطدمت السيارة.

وفي هذه الأحوال يجب نسبة النعم إلى الله تعالى، فيقال مثلاً: كان السائق بفضل الله

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص:٢٦٣).

(٢) التمهيد لصالح آل الشيخ.

(٣) التمهيد لصالح آل الشيخ.

متنبِّهاً، ويقال: وفَّق اللهُ الطيارَ لكذا، أو يقال: لولا الله ثم فلان لكان كذا، ونحو ذلك من العبارات التي فيها نسبة الفضل لله جل وعلا، وأنَّ المخلوق ما هـو إلا سـببٌ أعطانـا الله تعالى النعمة على يده.

وفي حكمها قول بعضهم: تقدم الطب قضى على الأمراض.

وقولهم: الخطط التنموية تقضي على الفقر والجهل.

وقولهم: حصلتُ على هذه الكنوز بسبب معرفتي بوجوه المكاسب.

ومن صور نسبة النعم لغير الله: قول:(هذا بشفاعة آلهتنا).

قال ابن قتيبة رحمه الله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾[النحل:٨٣]: يقولـون: (هـذا بشفاعة آلهتنا). والمعنى: أنَّ الله تعالى إذا أنعم عـلى الكـافرين بشيـء مـن رزق أو ربـح أو نزول مطرٍ، يُقِرُّون بأنَّ الله تعالى رزقهم ذلك، ولكنَّهم يعودون فينكرونـه بقـولهم: رُزقنـا ذلك بشفاعة آلهتنا.

ومن صور نسبة النعم لغير الله: قول: (كانـت الـريح طيبـة، والمـلاح حاذقـاً). قـال بعض السلف رحمهم الله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣]: هـو كقـولهم: (كانت الريح طيبــة، والمـــلاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جـار على ألسنة كثـير)-وهـذا في السفن الشراعية التي تجري بالريح-. والمعنى: أنَّ الله تعالى إذا أنعم على أهـل السـفينة بالسلامة نسبوا ذلك إلى غيره كالرِّيح وقائد السفينة، مع أنَّ الله تعـالى هـو الـذي أجـرى الفلك في البحر، وسخَّر لها الريح، فكان الواجب أنْ تُنسب النعمة إليه لأنه هو المنعم بها.

ومن صور نسبة النعم لغير الله: نسبة المطر لغير الله تعالى.

كقولهم: (مطرنا بنوء كذا وكذا). فإضافة المطر إلى النجوم، من إضافة الـنعم إلى غـير الله، وإن كان الله رتَّب الأشياء على حسب ما تقتضيه حكمته وإرادته، لكن هي أسـباب،

تارة لا يأتي شيء، وتارة يأتي في غير وقته؛ لأنَّ الأمر بيده سبحانه، وهو المتصرف في خلقه[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: وبعد التعرُّف على صور نسبة النعم لغير الله، والتي من ألفاظها: قول: (لولا فلان لم يكن كذا).

وقولهم: (مطرنا بنوء كذا وكذا). وما شابهها من الألفاظ الدارجة على ألسنة كثير من الناس.

---

(١) شرح كتاب التوحيد: لابن حميد.

فنسبة النعم لغير الله بهذه الألفاظ، نوعان -عباد الله-:

النوع الأول: كفرٌ أصغر.

ويسمى: (كفر النعمة)، وهو نسبة النعم إلى غير الله باللسان فقط.

فعن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»،قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذمُّ سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به).

والنوع الثاني: كفرٌ أكبر.

وذلك إذا نُسبت النِّعم إلى غير الله على أنه هو الخالق لها، والمعطي لها على الحقيقة؛ أو جَحَدَ الإنسان نعمة الله تعالى مطلقاً؛ أو نسبها لله بلسانه مع إنكار ذلك بقلبه. فهذا كله من الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

فكل النعم صغرت أو عظمت هي من الله جل جلاله وحده. وأما العباد: فإنما هم أسبابٌ تأتي النعم على أيديهم، وأسبابٌ في إيصال النعمة إليك، فمن كان سبباً في معالجتك، أو سبباً في توظيفك، أو سبباً في نجاحك، أو نحو ذلك لا يدلُّ على أنَّه هو وليُّ النعمة، أو هو الذي أنعم، فإن وليَّ النعمة هو الرب جل وعلا،وهذا من كمال التوحيد

---

(١) رواه البخاري (٨٤٦)، (١٠٣٨)، ومسلم (٧١) وهذا لفظه.

فإنَّ القلب الموحِّد يعلم أنَّه ما ثمَّ شيءٌ في هذا الملكوت إلا والله جل وعلا هو الذي يرسله، وهو الذي يمسك ما يشاء كما قال سبحانه: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

ولهذا يجب على العبد أن يوحِّد فيقول: لولا الله ثم فلان، فيجعل مرتبة السبب ثانية ولا يجعلها هي الأولى الوحيدة؛ لأنَّ الله جل وعلا هو المُسدي للنعم المتفضل بها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ما علَّق العبد رجاءَه وتوكُّلَه بغير الله إلا خاب من تلك الجهة؛ ولا استنصر بغير الله إلا خُذِل[١].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعلق قلوبنا بالله، ولنتوكل عليه، فمن توكل عليه كفاه، ولنتأدب مع الله تعالى بألفاظنا برد الفضل إليه. ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





(١) مجموع الفتاوى (١/٢٩).

كتاب التوحيد (٤٢) باب قول الله تعالى:

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، فلا مؤخر لما قدمه، ولا مقدم لما أخره، تفرد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء؛ المغيثُ لجميع مخلوقاته فما استغاث ملهوفٌ إلا نجَّاه، العليمُ الخبيرُ فلا يخفى عليه ما أسرَّهُ العبد وأضمره، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: ربنا تبارك وتعالى هو المنعم على عباده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشا، أي مهداً كالفراش، والسماء بناء، وأنزل لهم من السماء ماء، أي أنزل الأمطار فأخرج بها من الثمرات فواكه مختلفة؛ فإنَّ الأرض واحدة، والماءُ واحدٌ، ومع هذا تجد النبات مختلفاً، هذا مرٌّ وهذا حلوٌ، وهذا أصفر وهذا أخضر، وهذا مرتفع على ساق وهذا منبسط على الأرض، والمادة واحدة -الأرض والماء والشمس-، فمن الذي كوَّن هذا ومن الذي أوجده؟ ألم يكن الله؟.

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]، أمرك أن لا تجعل له شريكاً ولا نظيراً، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: أنه الخالق لهذه الأشياء كلِّها، فهو المستحقُّ للعبادة، كما قال

تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[الطور:٣٥]. إذن يتعين أنَّ للخلق خالقاً خلقهم وأوجدهم؛ وقد استدل به كثير من المفسرين ... على وجود الصانع تعالى، كما قيل:

تَأَمَّلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا ... مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ[1]

ويقول الشاعر:

فَوَاعَجَبَا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أم كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجاحِدُ؟

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[2]

فالأرض وما فيها من نبات وجبال آيات، والسماء وما فيها من نجوم آيات، بل ابن آدم نفسه آية: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات:٢١]، من الذي أوجد هذا الآدمي من العدم وجعل له عقلاً ثابتاً، وسمعاً وبصراً، ولساناً ناطقاً؟.

إنه الله جل جلاله، الخالق الرازق، مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره، ولهذا قال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]، وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا ﴾ قَالَ: «الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبُهُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ

---

(١) مدارج السالكين (٣/٣٣٢).

(٢) الدر الفريد وبيت القصيد (٨/١٣١).

وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ»[(١)].

فالكلاب: تُتخذ لحفظ المواشي وغيرها؛ والبط: من طيور الماء تُتخذ في البيوت، فإذا دخلها غير أهلها استنكرته وصاحت.

(لا تجعل فيها فلاناً): أي: لا تجعله في مقالتك فتقول: لولا الله وفلان، بل قل: لولا الله وحده.

(هذا كله به شرك). أي: هذه الألفاظ المذكورة وما شابهها شرك بالله، أي: شرك أصغر.

فالله تبارك وتعالى ينهى الناس أن يتخذوا له أمثالاً ونظراء يصرفون لهم شيئاً من عبادته؛ وهم يعلمون أن الله وحده الخالق الرازق؛ وأن هذه الأنداد عاجزة فقيرة ليس لها من الأمر شيء. وما ذكره ابن عباس أمثلة لاتخاذ الأنداد؛ لأن لفظ الآية يشملها وإن كانت شركاً أصغر والآية نازلة في الشرك الأكبر؛ فالسلف يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر[(٢)].

وقال الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣]، قال عون بن عبدالله رحمه الله في تفسير الآية: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

فيحرم قول: (لولا الله وفلان)، وهو من الشرك الأصغر.

والحكمة -عباد الله- من تحريم قول: (لولا الله وفلان): لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى. ولما فيه من مساواة غير الله بالله في اللفظ، وهو شرك أصغر، وذريعة إلى المساواة

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦٢/١).
(٢) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص ٣٢٥).

في التعظيم والعبادة الذي هو شرك أكبر.

وعَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»[١].

فينهى ﷺ أن يعطف اسم المخلوق على اسم الخالق بالواو بعد ذكر المشيئة ونحوها؛ لأن المعطوف بها يكون مساوياً للمعطوف عليه؛ لكونها إنما وُضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ وتسوية المخلوق بالخالق شركٌ؛ ويُجوِّز ﷺ عطف المخلوق على الخالق بثُمّ؛ لأن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور فيه؛ وهذا يجعل العبد متأخراً في المنزلة وليس مساوياً لله رب العالمين. لكونه صار تابعاً.

ويختص هذا الحكم: -وهو العوذ بالمخلوق- بالمخلوقين الأحياء الذين لهم قدرة، دون الأموات والعاجزين، فلا يجوز أن يسند إليهم شيء[٢].

ويشرع -عباد الله- أن يقال بدلاً عن (لولا الله وفلان): لولا الله لما حصل كذا وكذا، وهذا أكمل، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: لا تجعل فيها فلاناً.

ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان لما وقع كذا وكذا.

كَانَ إِبْرَاهِيمُ النخعي رحمه الله يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: "أَعُوذُ بِاللهَّ وَبِكَ. وَيُرَخِّصُ أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِاللهَّ ثُمَّ بِكَ. وَيَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ. وَيُرَخِّصُ أَنْ يَقُولَ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٍ"[٣].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٠) وصححه الألباني.

(٢) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص ٣٢٩).

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ١٩٣).

ومن الأمثلة المشابهة -عباد الله- لكلمة (لولا الله وفلان)، المشابهة لها في الحكم: قولهم: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا الطبيب مات فلان. ولولا السائق لهلكنا. وما لي إلا الله وأنت. وهذا من بركات الله وبركاتك.

وقولهم: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ولولا أنت لم يكن كذا، فكل هذه الألفاظ من الشرك الأصغر؛ لما فيها من التشريك بين الخالق والمخلوق، والتسوية بينهما بالعطف بالواو، وهذا ممنوع(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

(١) دروس في العقيدة، لعبدالعزيز الراجحي (٤/١١)، بترقيم الشاملة آليا.

عباد الله: التعظيم بالحلف حقٌّ لله سبحانه وتعالى، فلا يُحلف إلا به؛ فعـــن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(١).

فأخبر ﷺ خبراً معناه النهي: أن من أقسم بغير الله من المخلوقات فقد اتخذ ذلك المحلوف به شريكاً لله وكفر بالله؛ لأن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فلا يُحلف إلا به أو بصفة من صفاته. فدلَّ على أنه من حلف بغير الله فقد اتخذ المحلوف به نداً لله(٢).

وقال ابن مسعود ﵁: «لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»(٣).

فابن مسعود ﵁: لا يحب لا هذا ولا هذا، ولكن الحلف بالله كاذباً أهون عليه من الحلف بغيره صادقا(٤).

لأن الحلف بالله في هذه الحالة فيه حسنة التوحيد، وفيه سيئة الكذب، والحلف بغيره صادقاً فيه حسنة الصدق وسيئة الشرك؛ وحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق. وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك(٥).

عباد الله: يغفُل بعضُ الناس عند حصول نعمة لهم، أو اندفاع نقمة عنهم، فينسون الخالق المدبر الذي ساقها لهم، وأنعم بها عليهم، ولا يذكرون إلا السبب الظاهر القريب

---

(١) رواه الترمذي (١٥٣٥) وحسنه.

(٢) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص ٣٢٦).

(٣) مصنف لعبدالرزاق الصنعاني (١٥٩٢٩).

(٤) ابن عثيمين.

(٥) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص ٣٢٨).

الذي ساق الله النعمة على يده، أو سخَّره لدفع النقمة عنهم، فيرددون: لولا فلان لحصل كذا، ولولا فلان ما حصل كذا؛ والواجب عليهم: ذكر المسبِّب أولاً، وهو الله جل وعلا، ثم بعد ذلك يذكرون المخلوقَ الذي سخَّره الله لما فيه خيرهم، فيقولون: لولا الله ثم فلان لما حصل كذا.

فالشرك -عباد الله-: كما يقع بالعمل والاعتقاد يقع كذلك بالألفاظ، وعامة شرك الألفاظ تعتبر من الشرك الأصغر، وهو أنواع كثيرة يدخل فيها الحلف بغير الله، والتشريك بين الله وخلقه في الألفاظ، وإضافة الأشياء إلى غير الله، وعدم تعظيم الله تعالى في الدعاء ونحو ذلك.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحفظ ألسنتنا من الألفاظ الشركية المخالفة للشرع، فاللسان خطره عظيم، ولا نتساهل في اللسان، فكل كلمة يتكلم بها الإنسان هو مسئول عنها يوم القيامة. ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

ولنعظم الخالق حق التعظيم. ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر: ٣٨].

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٤٣)

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحَلِفِ بالله

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[الروم:٢٥]، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٨١].

عباد الله: إنَّ المسلم مُحاطٌ بسياجٍ نورانيٍّ متوهج بالتوجيهات الإلهية، والبشارات النبوية، ومحددٌ بالمعالم التي تُؤطِّر السلوك الإسلامي، قولاً وفعلاً واستقبالاً للأحداث، وتناغماً معها أو رفضاً لها في ظلِّ هذه المعالم التي أوصى بها رسول الله ﷺ؛ ومن هذه المعالم: أن لا يحلف المسلم بغير الله، وأن لا يُقسم بمخلوقٍ حتى ولو كان له فضل ومزية عند خالقه، كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء[(١)].

بل ينبغي أن يُعظَّمَ اللهُ جلَّ وعلا حق التعظيم.

فعن ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ

---

(١) كنوز رياض الصالحين (١٧٨/٢٠).

حُلِفَ لَهُ بِاللهِّ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِّ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ»[(١)].

والحلف بغير الله تعالى محرم، وهو من الشرك الأصغر.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِّ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[(٢)].

وفي حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ»[(٣)]، وفي رواية: «وَلَا بِالطَّوَاغِيتِ»[(٤)].

ويكون الحلف بغير الله تعالى شركاً أكبر إذا صاحبه تعظيمُ المحلوف به كتعظيم الله تعالى، بل ربما بلغ ببعض الجاهلين أن يُعظِّموا المخلوق أشدَّ من تعظيم الخالق، كمن يحلف بالله كاذباً، ولا يجرؤ على أن يحلف بغيره من الأولياء كاذباً.

والحكمة من النهي عن الحلف بغير الله تعالى، وجعله شريكاً: أنَّ الحلف تعظيم للمحلوف به، فمن حلف بغير الله تعالى، فقد ساواه في التعظيم بالله تعالى. وأنَّ الحلف بالله تعالى تعظيمٌ له، ولا يجوز للمسلم أن يُعظِّم غير الله تعالى.

ومن حلف بغير الله تعالى -عباد الله-، فكفارة حلِفِهِ أن يبادر بقول: (لا إله إلا الله).

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ، فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»[(٥)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٠١) وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (١٥٣٥) وحسنه.

(٣) روه مسلم (١٦٤٨).

(٤) النسائي (٣٧٧٤).

(٥) رواه البخاري (٦٦٥٠) -وهذا لفظه- ومسلم (١٦٤٧).

والحَلِفُ المشروع -عبادالله- هو: الحَلِفُ بأسماء الله تعالى وصفاته. فعن عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهَّ أَوْ لِيَصْمُتْ». وفي رواية: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِالله»[1].

فعلى المسلم -عباد الله- أن يُعظِّمَ الحلف بالله تعالى؛ ومن هذا التعظيم:

أولاً: حفظ اليمين: فعلى المسلم أن يحفظ يمينه لقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩]، ولحفظ اليمين عدة صور: منها: أن لا يحلف المسلم إلا بالله تعالى أو بأسمائه وصفاته، ويتجنَّب الحلف بغيره. ومنها: أن يتجنَّب الحِنْثَ، أي: نقض اليمين؛ إلا إذا كان الحنث خيراً له. ومنها: أن يكفِّر عن يمينه إذا حَنِث. ومنها: أن يتجنَّب الإكثار من الأيمان، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم:١٠]، والحلّاف كثير الحلف.

وفي الإكثار من الأيمان مساوئُ -عباد الله- منها: ضعف تعظيم اليمين بالله. ومنها: تعريض نفسه للحنث بسبب كثرة الأيمان. ومنها: التساهل في اليمين بسبب الإكثار منها. ومن مساوئها: أنها تجرُّ إلى الكذب في اليمين في البيع وغيره، فإنَّ الشخص إذا تساهل باليمين سهلت عليه. ومنها: أنه لم يكن من سنة النبي ﷺ وأصحابه الإكثار من اليمين، بل لا يكادون يحلفون إلا على الأمور العظيمة، وحقيقة اليمين إنما شُرعت للتأكيد، وهذا لا يكون إلا في الأمور المهمة. ومنها: أنَّ الناس إذا علموا كثرة أيمانه لم يثقوا بيمينه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ

---

(١) رواه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦).

وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[المائدة:٨٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

عباد الله: ومن تعظيم الحلف بالله تعالى: ثانياً: الصدق إذا حَلَفَ بالله: فيجب على المسلم أن يَصْدُقَ في جميع كلامه، ويتأكد هذا إذا حَلَفَ بالله تعالى، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ»[1].

والكذب في اليمين حرام، وهو معصية كبيرة، وتسمى اليمين الكاذبة: (اليمين الغموس)، وقد حذَّر النبي ﷺ منها، فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ»[2].

ومن تعظيم الحلف بالله تعالى -عباداللهِ-: ثالثاً: تصديق الحالف بالله: فيجب على المسلم أن يُصَدِّقَ من حلف له بالله تعالى، ويرضى بيمينه، ما لم يكن معروفاً بالكذب في اليمين، لحديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ،

(١) ابن ماجه (٢١٠١) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٦٦٧٥).

وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِّ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِّ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ»[(١)].

فقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِاللهِّ فَلْيَصْدُقْ»، إشارةٌ إلى أنَّ الذي يجب القناعة بحلِفِهِ هو من عُلم منه الصدق، أما الكذوب فلا يدخل من لم يصدِّقه في هذا الوعيد.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والاقتناع بالحلف بالله لا يخلو من أمرين:

الأول: أن يكون ذلك من الناحية الشرعية؛ فإنه يجب الرضا بالحلف بالله، فيما إذا توجهت اليمين على المدعى عليه فحلف، فيجب الرضا بهذا اليمين بمقتضى الحكم الشرعي.

الثاني: أن يكون ذلك من الناحية الحسية، فإن كان الحالف موضع صدق وثقة؛ فإنك ترضى بيمينه، وإن كان غير ذلك؛ فلك أن ترفض الرضا بيمينه، ولهذا لما قال النبي ﷺ لحويِّصَة ومحيِّصَة: «تبرئكم يهودُ بخمسين يمينا. قالوا: كيف نرضى يا رسول الله بأيمان اليهود؟»؛ فأقرهم النبي ﷺ على ذلك[(٢)].

والحكمة من إيجاب الاقتناع بالحَلِفِ بالله: تعظيم الله جلَّ وعلا. وتعظيم الحلف بالله تعالى.

فهذا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقنع بالحَلِفِ بالله؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللهِّ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِّ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي»[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٠١) وصححه الألباني.

(٢) القول المفيد (٢/٣٣٤).

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٤).

ومعنى: (آمنت بالله) صدقت من حلف به. (كذبت عيني) أي ما ظهر لي من كون المأخوذ سرقة فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه حق أو ما أذن له صاحبه في أخذه ونحو ذلك. وقيل قاله عليه السلام مبالغة في تصديق الحالف بالله تعالى.

فلنتق الله تعالى –عباد الله–، ولنعظِّم الله تعالى في قلوبنا حقَّ التعظيم، ولنصْدُقْ في أقوالنا وأفعالنا وأيماننا، ولنعظِّم الله تعالى في قبولنا والرضا للأيمان من غيرنا، فإن ذلك من تعظيم الله تعالى.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٤٤) باب قول: ما شاء الله وشئت

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والضر والنفع، والهداية والإضلال، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١].

عباد الله: اعلموا أنَّ مشيئةَ الله نافذةٌ في كلِّ شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ومشيئة الخلق تابعة لمشيئة الله جلَّ وعلا. ولذلك ينبغي للواحد منا أن يُعظِّم الله تعالى، وأن يُحسِّن ألفاظه مع الله. فلا يجوز أن يشرك مع الله أحد من خلقه في مشيئته وإرادته سبحانه، أو صفاته وأفعاله؛ ومن هذه الألفاظ.

عباد الله: قول: (ما شاء الله وشئت) وما شابهها.

فيحرم قول: (ما شاء الله وشئت)، وهو من الشرك الأصغر.

كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قَالَ: «الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبُهُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ

وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ»[(١)].

وفي حديث الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ القرشي رضي الله عنه، أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، قَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ النَّصَارَى، فَقَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا صَلَّوْا، خَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ -أما بعد-: «إِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ، أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا»، قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ»[(٢)].

وفي هذا الحديث من الفوائد والأحكام: الاعتناء بالرؤيا وأنها سببٌ لتشريع بعض الأحكام وقتَ حياة الرسول ﷺ. ومنها: أنَّ قول: (ما شاء الله وشاء فلان) وما أشبه ذلك شركٌ أصغر. ومعرفة اليهود والنصارى بالشرك الأصغر، مع ما هم عليه من الشرك الأكبر من أجل الطعن بالمسلمين. ومنها: استحباب قصر المشيئة على الله، وإن كان يجوز أن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان[(٣)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/٦٢).

(٢) رواه أحمد (٢٠٦٩٤)، ابن ماجه (٢١١٨) باختصار، المستدرك للحاكم (٥٩٤٥)، المعجم الكبير للطبراني (٨٢١٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٨).

(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص٣٣٨).

وفي حديث قُتَيْلَةَ، امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، «فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ»[1].

ففي هذا الحديث: أنَّ قول ما شاء الله وشئت، والحلف بغير الله شرك، لأنَّ الرسول ﷺ أقر اليهودي على اعتبارهما من الشرك؛ فإذا اعتقد أنَّ المعطوف مساو لله؛ فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ؛ فهو شرك أصغر؛ ومنها: فهم الإنسان إذا كان له هوى؛ أي: إذا كان له هوى فهم شيئاً، وإن كان هو يرتكب مثله أو أشدَّ منه؛ فاليهود -مثلاً- أنكروا على المسلمين قولهم: (ما شاء الله وشئت)، وهم يقولون أعظم من هذا، يقولون: عزير ابن الله، ويصفون الله تعالى بالنقائص والعيوب.

ومن ذلك بعض المقلدين يفهم النصوص على ما يوافق هواه؛ فتجده يحمل النصوص من الدلالات ما لا تحتمل؛ كذلك أيضًا بعض العصريين يحملون النصوص ما لا تحتمله حتى توافق ما اكتشفه العلم الحديث في الطب والفلك وغير ذلك، كل هذا من الأمور التي لا يُحمد الإنسان عليها؛ فالإنسان يجب أن يفهم النصوص على ما هي عليه، ثم يكون فهمه تابعاً لها، لا أن يُخضع النصوص لفهمه أو لما يعتقده.

ومنها: قبول الحق ممن جاء به وإن كان عدواً مخالفاً في الدين كما قَبِل النبي ﷺ من اليهودي مع أن ظاهر قصده الذم واللوم للنبي ﷺ وأصحابه.

ومن الفوائد: أنَّ العالم إذا نهى عن شيءٍ فإنه يبين البديل الذي يُغني عنه إذا أمكن

(١) رواه النسائي (٣٧٧٣) وإسناده صحيح، وأحمد (٢٧٠٩٣). وصححه الألباني.

فالنبي ﷺ أمرهم أن يقولوا: «ورب الكعبة»، ولم يقل: احلفوا بالله، وأمرهم أن يقولوا: «ما شاء الله، ثم شئت».

ومنها: أن النهي عن الشرك عامٌّ لا يصلح منه شيء حتى بالكعبة التي هي بيت الله في أرضه فكيف بغيرها؟[١].

ونُهي -عباد الله- عن قول: ما شاء الله وشئت: لـما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى. ولـما فيه من مساواة غير الله بالله في اللفظ، وهو شرك أصغر، وذريعة إلى المساواة في التعظيم والعبادة الذي هو شرك أكبر.

عباد الله: لفظ (ما شاء الله وشئت) منهيٌّ عنها؛ ويشرع أن يقال بدلاً عنها:

ما شاء الله وحده، وهذا أكمل، كما جاء في رواية لحديث الطفيل: «فَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[٢].

وأيضاً يشرع أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، لحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»[٣].

والفرق بين قول: (ما شاء الله وشئت)، وقول: (ما شاء الله ثم شاء فلان)؛ هو أن العطف بالواو فيه مساواة بين الخالق والمخلوق، لأن الواو لمطلق الجمع والاشتراك فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، بخلاف العطف بـ (ثمَّ) فإنه يقتضي الترتيب والتأخير في المنزلة،

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص٣٣٤).

(٢) المستدرك للحاكم (٥٩٤٥).

(٣) رواه أحمد (٢٣٢٦٥)، وأبو داود (٤٩٨٠).

وهذا يجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئةالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩] أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠-٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: نبينا ﷺ عظيم، ومن تعظيمه: أن نُوقِّره ونجلّه وننصره، إلا أنَّ ذلك التعظيم لا يصل إلى مساواته بعظمة الله ﷻ.

ففي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ؟، فَقَالَ: «جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»[(١)].

وفي رواية: «جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»[(٢)].

(١) رواه أحمد (٢٠٦١)، السنن الكبرى للنسائي (١٠٧٥٩) وهو في عمل اليوم والليلة (٩٨٨).

(٢) الأدب المفرد (٧٨٣) وصححه الألباني.

فتعظيم النبي ﷺ بلفظ يقتضي مساواته للخالق شرك، فإن كان يعتقد المساواة؛ فهو شرك أكبر، وإن كان يعتقد أنه دون ذلك؛ فهو شرك أصغر، وإذا كان هذا شركاً؛ فكيف بمن يجعل حق الخالق للرسول ﷺ؟! هذا أعظم؛ لأنه ﷺ ليس له شيء من خصائص الربوبية، بل يلبس الدرع، ويحمل السلاح، ويجوع، ويتألم، ويمرض، ويعطش كبقية الناس، ولكن الله فضَّله على البشر بما أوحي إليه من هذا الشرع العظيم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ [الكهف:١١٠] فهو بشر، وأكد هذه البشرية بقوله: ﴿ مِثْلُكُمْ ﴾، ثم جاء التمييز بينه وبين بقية البشر بقوله تعالى: ﴿ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]، ولا شك أن الله أعطاه من الأخلاق الفاضلة التي بها الكمالات من كل وجه؛ أعطاه من الصبر العظيم، وأعطاه من الكرم ومن الجود، لكنها كلها في حدود البشرية، أما أن تصل إلى خصائص الربوبية؛ فهذا أمر لا يمكن، ومن ادعى ذلك؛ فقد كفر بمحمد ﷺ وكفر بمن أرسله.

فالمهم أننا لا نغلو في الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فننزله في منزلة هو ينكرها، ولا نهضم حقه الذي يجب علينا؛ فنعطيه ما يجب له، ونسأل الله أن يعيننا على القيام بحقه، ولكننا لا ننزله منزلة الرب جَلَّ وَعَلَا.

وفي الحديث: إنكار المنكر، وإن كان في أمر يتعلق بالمنكِر؛ لقوله ﷺ: «أجعلتني لله ندا؟!»، مع أنه فعل ذلك تعظيماً للنبي ﷺ، وعلى هذا إذا انحنى لك شخص عند السلام؛ فالواجب عليك الإنكار[1].

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٣٠).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحفظ ألسنتنا من الألفاظ الشركية المخالفة للشرع، ولنقدر الله حق قدره، ولا نساويه بخلقه، فالله عظيم بذاته وأسمائه وصفاته.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٤٥)

باب من سب الدهر فقد آذى اللّه

الخطبة الأولى:

الحمدلله الملك القهار، العزيز الجبار، الرحيم الغفار، الحليم الرفيق، مقلب القلوب والأبصار، مقدِّر الأمور كما يشاء ويختار، مكوِّر النهار على الليل، ومكور الليل على النهار، جعلهما مواقيت الأعمال ومقادير الأعمار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢].

عباد الله: هذه الدنيا دار ابتلاء، ودار امتحان؛ فقد تمرُّ على الإنسان المصائب، وقد تتوالى عليه المحن والبلايا؛ فهذه أمراض تنتشر، تفتك بالقاصي والداني، وهذا ضرائب وغلاء للأسعار تجعل الغني يخشى من الفقر، وهذه حوادث ونوازل ومصائب وبلايا تنزل بالمجتمعات؛ فليُعلم أنَّ ذلك من عند الله، فهو مقدِّر الأمور ومصرِّفها كما يشاء ويختار، له الحكمة البالغة، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؛ فالأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر. فالواجب على الواحد منا الرضا بقضاء الله وقدره، والصبر على ما يُقدِّره الله على العبد. وحفظ لسانه عن مسبة ذلك الزمن، أو ذلك المكان أو ما أشبه ذلك. وليحذر من التَّسخُّطِ، فإن ذلك مما يُذهب إيمانه أو ينقصه.

فقد كان شأنُ العرب أن تسُبَّ الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلةِ بها، مثل: موت عزيز، أو هرمٍ، أو تلفِ مالٍ أو غير ذلك، فيقولون: يا خيبة الدهر ونحوُ هذا

من ألفاظ سبِّ الدهر، فنهى الإسلام عن التشبُّهِ بهم في ذلك لما فيه من المفاسد.

فالدهر: هو الزمان. والمراد بسب الدهر: عيبُه أو لعنه، والتَّسخُّطُ مما وقع فيه.

ومن الأمثلة على سبِّ الدهر -عباد الله- قول بعض الجهال: لعن الله اليوم الذي رأيتك فيه، أو عرفتك فيه أو: لعن الله الساعة التي حصل فيها كذا أو: الزَّمن غدَّار أو: هذا زمان سوء، أو سنة سوء أو يا خيبة الدهر ، أو:يا خيبة اليوم الذي رأيتك فيه أو قول العامة: (هذه سنة قشرا) أو (هذا يوم أقشر) أو(هذه ساعة قشرا)[(١)].

فالدهر -عباد الله- خلقٌ مُسخَّر؛ فالله سبحانه وتعالى خالقُ الدهر ومُصرِّفه، وليس للدهر من الأمر شيء، فمسبته مسبَّةٌ لمن صرَّفه وهو الله، وذلك ناشئ من ضعف الدين ونقص العقل.

وسب الدهر -عباد الله- حرام؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[(٢)]. وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»[(٣)]. وفي رواية: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»[(٤)].

ومعنى قول الله ﷻ في الحديث القدسي: «وَأَنَا الدَّهْرُ»: أي أنَّه جلَّ وعلا خالق الدهر والمتصرف فيه، وهو الذي يقلِّب الليل والنهار، ويُجري حوادثه بمشيئته، فمن سبَّ الدهر فإنما يسبُّ مَن خَلَقَهُ وأجرى فيه الحوادث، وهو الله جلَّ في علاه.

---

(١) شرح كتاب التوحيد:لابن حميد (ص٦٢٤)، (ص٦٢٧).

(٢) رواه البخاري (٤٨٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٦) ح٢.

(٣) مسلم (٢٢٤٦) ح٥.

(٤) مسلم (٢٢٤٦) ح٤.

وقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ» أي: يتنقصني؛ لأنه لا يلزم من الأذية الضرر، فالإنسان يتأذى بسماع القبيح ومشاهدته، ولكنه لا يتضرر؛ ونفى سبحانه عن نفسه الضرر، ﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ [آل عمران:١٧٦].

فالخلق قد يؤذون الله بالتنقص ولا يضرونه[(١)].

وسبُّ الدهر -عباد الله- قسمان:

أولها: أن يسبَّ الدهرَ مُعتقداً أنه الفاعل بنفسه، أو أنه فاعلٌ مع الله تعالى. كأن يعتقد بسبِّه الدهر، أنَّ الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر فهذا حكمه: شرك أكبر. لأنه اعتقد أنَّ مع الله خالقاً، ولأنَّه نسب الحوادث إلى غير الله؛ وكلُّ من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر.

وثانيها: أن يسبَّ الدهر، لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أنَّ الله هو الفاعل لكن يسبَّه؛ لأنه محلٌّ لهذا الأمر المكروه عنده. فهذا حكمه: محرم؛ لأنه في حقيقته سبٌّ لله تعالى[(٢)].

وليس من سب الدهر -عباد الله-: وصفه بأوصاف مختلفة غير متضمنة للسبِّ، بل يقصد منها مجرد الوصف والإخبار لا الذم والعيب.

كأن يقال مثلاً: هذه أيامٌ شديدة- وهذه أيامٌ باردة- وما أشدَّ الحرَّ هذا اليوم -وهذا عام جَدْبٍ وقَحْطٍ. لأنه جاء في القرآن في قصة لوط عليه السلام أنه قال: ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود:٧٧]، وكذلك يقول الله جل وعلا: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

---

(١) القول المفيد (٢/٣٥٢)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص٣٤١).

(٢) القول المفيد (٢/٣٥٢).

﴿أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[الحاقة:٧]، وسماها في آية أخرى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ [فصلت:١٦]؛ فوصْفُ الأيام بالشدة ليس داخلاً في ذلك السب؛ وإنما المقصود أن تضاف إليها الحوادث فتسب[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

عباد الله: ومسبة الدهر؛ هذه العادة السيئة لا تزال موجودة عند الناس، وإن تغيرت الأساليب، وقد تضاف الأمور والحوادث إلى شيء شبيه بالدهر، كقولهم مثلاً: الكوارث الطبيعية، فإذا وقع زلزال أو أمطار وفيضانات أو رياح سموها كلها كوارث طبيعية نسبة للطبيعة، وهذا كقولهم: أهلكنا الدهر؛ لأنَّ كل ما يقع في الأرض فهو من تدبير الله جل وعلا؛ فلا يقع على الناس حوادث من فيضانات أو رياح أو زلازل أو براكين إلا بسبب ذنوبهم، يعاقبهم الله جل وعلا بها، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (١١٠/ ٦)، بترقيم الشاملة.

عَنْ كَثِيرٍ ﴾[الشورى:٣٠] فيجب أن يعترفوا أنَّ هذا بتقدير الله وتدبيره. أما الطبيعة فهي لا تصنع شيئاً[(١)].

ونسبة الحوادث -عباد الله- إلى الدهر كفرٌ من عمل الجاهلية، حيث كان كثير من العرب في جاهليتهم يُنكرون البعث بعد الموت، ويزعمون أنه ليس هناك حياة إلا الحياة الدنيا، يموت قومٌ ويحيا آخرون، ويزعمون أنَّ الذي يفنيهم هو: مرور الأيام والليالي، فكانوا يقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية:٢٤]، فذمَّهم الله تعالى على اعتقادهم الباطل، وبيَّن أنَّ ذلك بسبب جهلهم وقلة علمهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:٢٤].

ولذلك نهى الشرع -عباد الله- عن سبِّ الدهر، لما فيه من المفاسد، ومنها:

أنَّ السبَّ في حقيقة الأمر يقع على من فعل هذه الأفعال، وهو الله ﷻ، فهو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعزُّ المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء. ومن مفاسد مسبة الدهر: أنه سب لمن لا يستحق السب، فإن الدهر خلق مسخر منقاد لأمر الله.

ومنها: أنه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضرَّ من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان. ومن المفاسد: ما تضمنه من الاعتراض على قضاء الله وقدره. ومن المفاسد: ما تضمنه من الجزع وترك الصبر الواجب عند حلول المصائب.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (١٢/١١٠)، بترقيم الشاملة.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحفظ ألسنتنا عما لا يليق بجلال الله، من تنقص وإيذاء؛ ولنؤمن بقضاء الله وقدره، فما كان ولا يكون في هذا الكون إلا بعلمه ومشيئته سبحانه وتعالى. ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَّ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٤٦)
باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ذي الجلال والإكرام، والعزة والبقاء، والملكوت والجبروت، والعظمة والكبرياء، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، فهي وصية الله للأولين والآخرين، ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء:١٣١].

عباد الله: التوحيد يقتضي من الموحِّد المؤمن بالله جلَّ وعلا أن يعظِّمه، وألا يجعل مخلوقاً في منزلة الله جلَّ وعلا فيما يختصُّ به؛ لأنَّه قد يجعل المخلوق في منزلة الله لشبهةٍ وصفٍ قام به[1].

فالله ﷻ له أسماءٌ وصفاتٌ يختصُّ بها؛ فلا يجوز منازعة الله ﷻ فيها بالتسمي أو الاتصاف بها، ومن ذلك: قاضي القضاة وملك الملوك ونحوها، فمن تسمَّى أو اتصف بذلك فقد نازع الله تعالى فيما هو من خصائصه، وهذا فيه منافاةٌ للتوحيد، ورفعٌ للنفس

---

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص٢٩٢).

فوق قدرها[١].

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ»، «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ ﷻ». قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ»؛ وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ»[٢].

فقوله ﷺ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ»: أي: أوضع اسم، والمراد بالاسم المسمى، فأوضع اسم عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك ؛ لأنه جعل نفسه في مرتبة عليا، فالملوك أعلى طبقات البشر من حيث السلطة؛ فجعل مرتبته فوق مرتبتهم، وهذا لا يكون إلا لله ﷻ، ولهذا عُوقب بنقيض قصده؛ فصار أوضع اسم عند الله، إذ قصده أن يتعاظم حتى على الملوك، فأهين، ولهذا كان أحبَّ اسمٍ عند الله ما دلَّ على التذلل والخضوع، مثل: عبدالله، وعبدالرحمن، وأبغض اسم عند الله ما دلَّ على الجبروت، والسلطة، والتعظيم.

قوله: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»: أي: لا مالك على الحقيقة الملك المطلق إلا الله تعالى. وأيضاً لا مَلِك إلا الله ﷻ؛ ولهذا جاءت آية الفاتحة بقراءتين: ﴿ملِكِ يوم الدين﴾ و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤]؛ لكي يجمع بين الملك وتمام السلطان؛ فهو سبحانه ملك مالك، ملك ذو سلطة وعظمة وقول نافذ، ومالك متصرف مدبر لجميع مملكته.

فالله له الخلق والملك والتدبير؛ فلا خالق إلا الله، ولا مدبر إلا الله، ولا مالك إلا الله،

(١) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) واللفظ له.

قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣] [(١)].

قوله: وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ»، أغيظ: من الغيظ وهو الغضب؛ أي: إنَّ أغضب شيء عند الله ﷻ وأخبثه هو هذا الاسم، وإذا كان سبباً لغضب الله وخبيثا؛ فإنَّ التسمِّي به من الكبائر [(٢)].

فالتسمي بالأسماء المنهي عنها: يشمل ما إذا سمَّى نفسه، أو سماه غيره به، فرضي، أما إذا سماه غيره به فلم يرض، فإنه لا يدخل في الذمِّ، لعدم الرضا، فيلحقُ الوعيدُ المسمِّي، ومن رضي بذلك الاسم [(٣)].

فالتسمي بحاكم الحُكَّام ونحوه، مثل ملك الأملاك، وسلطان السلاطين وما أشبه ذلك، مما يدل على النفوذ والسلطان [(٤)].

ومن تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكاً مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنَّه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله سبحانه وتعالى؛ فالله هو القاضي فوق كل قاضٍ، وهو الذي له الحكم، ويُرجَع إليه الأمر كله [(٥)].

ومثله الذي يطلق عليه أنه سيد الخلق أو سيد الناس، أو أنه الحاكم على الخلق، أو أنه ملك الملوك.

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثمين.
(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثمين.
(٣) التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص ٢٩٢).
(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثمين.
(٥) شرح رياض الصالحين لابن عثمين.

فكل من أطلق عليه شيء من ذلك فإنه مستحق بأن يكون أخنع وأغيظ اسم عند الله جل وعلا وأحقر وأذل، ويعاقبه الله جل وعلا إما في الدنيا عاجلاً، وإما أن يمهله في الدنيا ثم يعاقبه في الآخرة[(١)].

وأما سيد الناس أو سيد الخلق فهذا لا يجوز أن يكون إلا لرسول الله ﷺ؛لأنه هو سيد بني آدم صلوات الله وسلامه عليه[(٢)].

وكل الألقاب التي يتلقَّب بها الناس مما تدل على العظمة فإنها مكروهة ومبغضة، ولم تكن عادة العرب تعظيم بعضهم لبعض بالألقاب وبالأسماء التي تدل على ترفع بعضهم على بعض، وإنما جاءت هذه من العجم؛ لأنهم هم الذين يستعبد بعضهم بعضاً[(٣)].

وأما إذا كانت الأسماء لا يصح إطلاقها ولا يصح معناها إلا لله جلَّ وعلا، فإطلاقها على غيره من العظائم، وهو منافٍ لتوحيد الله جلَّ وعلا، وفيه منازعة لله جل وعلا، فإنَّ ملك الملوك هو الله جل وعلا، وهو الذي يرجع إليه الأمر كله، وهو الذي بيده الملك.

فكل ملك أو رئيس فملكه عارية، وسوف يُنتزع الملك منه.

وكذلك إذا كان الإنسان يترفع على غيره بفعل دون الأسماء فسوف يُذم ويلقى جزاءه، ولهذا كان الرسول ﷺ ينهى أن يقوم الناس على الرجل وهو جالس؛ فعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ

(١) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

(٢) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

(٣) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١].

وكذلك مدح الإنسان فإنه يكون فتنة؛ لأن فيه أنه قد يُعطى من الثناء ما ليس فيه، فربما استأنست نفسه بذلك، ثم يطلب ذلك ويصير آثماً بهذا الطلب الذي يطلبه، والخلق كلهم عباد لله جل وعلا، وأكرمهم أتقاهم، ومن كان لله أتقى فهو عند الله أرفع وأكثر مثوبة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣] .

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

عباد الله: الأسماء والأوصاف التي فيها تعظيم الإنسان لنفسه، أو تعظيم الناس له، منهيٌّ عنها؛ والأسماء التي فيها تذلل وخضوع، مرغَّبٌ فيها.

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٩) وصححه الألباني.

قال ابن عثيمين: إذا أضفنا القضاة وحصرناها بطائفة معينة، أو ببلد معين، أو بزمان معين، مثل أن يقال: قاضي قضاة المملكة العربية السعودية، أو قاضي قضاة مصر، أو الشام، أو ما أشبه ذلك؛ فهذا جائز؛ لأنه مقيد، ومعلوم أن قضاء الله لا يتقيد،فحينئذ لا يكون فيه مشاركة لله ﷻ، على أنه لا ينبغي أيضًا أن يتسمى الإنسان بذلك ، أو يسمى به، وإن كان جائزاً؛ لأن النفس قد تصعب السيطرة عليها، فيما إذا شعر الإنسان بأنه موصوف بذلك، فقد يأخذه الإعجاب بالنفس، والغرور، حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله، وهذه مسألة عظيمة لها خطرها، إذا وصلت بالإنسان إلى الإعجاب بالرأي بحيث يرى أن رأيه مفروض على من سواه؛ فإن هذا خطر عظيم، فمع القول بأن ذلك جائز، لا ينبغي أن يقبله اسماً لنفسه، أو وصفاً له، ولا أن يتسمى به.

وأما إن قُيد بقبيلة؛ فهو جائز، لكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف؛ أن لا يغتر، ويعجب بنفسه، ولهذا قال النبي ﷺ للمادح: «قطعت عنق صاحبك».

ومن الألفاظ والألقاب المشابهة للنهي عنها: (آية الله، حجة الله، حجة الإسلام)؛ فإنها ألقاب حادثة، لا تنبغي؛ لأنه لا حجة لله على عباده إلا الرسل.

والعبارة السليمة أن يقال: عالم، مفتٍ، قاضٍ، حاكم، إمام، لمن كان مستحقا لذلك[1].

فلنتق الله تعالى–عباد الله–، ولنتواضع، فقد أُمرنا بالتواضع، ونهينا عن التكبر. ولنتأدب مع الله تعالى في احترام أسمائه، ولنعظم الله تعالى حق التعظيم، ولا نشابه

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثمين.

بخلقه، لا بألفاظ ولا غيرها؛ فأسماء الله تعالى كلها حسنى؛ تامة عظيمة، تشتمل على معانٍ جليلة، قد بلغت في الحسن غايته، متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٤٧)

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

الخطبة الأولى:

الحمدلله الملك القهار، العزيز الجبار، الرحيم الغفار، الحليم الرفيق، مقلب القلوب والأبصار، مقدِّر الأمور كما يشاء ويختار، مكوِّر النهار على الليل، جعلهما مواقيت الأعمال ومقادير الأعمار، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: تعظيم أسماء الله تعالى وصفاته من تعظيم الله تعالى، ويكون ذلك باحترامها، وعدم امتهانها، وعدم مشاركة الله تعالى فيها بالتسمي بها، فمن تسمَّى بشيءٍ من أسماء الله تعالى، أو اتصف بصفة من صفاته، وجب عليه تغيير ذلك؛ لأنَّ فيه نقصاً في توحيد العبد، وعدم تعظيم لله تعالى[(١)].

فيحرم -عباد الله- تسمية غير الله تعالى بالأسماء التي اختُصَّ الله بها، مثل: الله، والرب، والرحمن، والخالق، والرزَّاق، والسلام، والمهيمن، والجبار، والمتكبر، والبارئ،

(١) شرح فتح المجيد لعبدالله الغنيمان.

والحكَم، والقدوس، وملك الأملاك.

قال الله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥].

وحديث أبي شُرَيْحٍ، هَانِئِ بن يزيد الكندي، أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[(١)].

فقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ».

(الحكَم): من أسماء الله تعالى، ومعناه: الحاكم الذي إذا حكم لا يُردُّ حكمه.(وإليه الحكم): أي: الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة.

وقول أبي شريح: (إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ)؛ أي: أنا لم أُكَنِّ نفسي بهذه الكنية، وإنما كنَّاني بها قومي.

فقال له النبي ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا»، أي: الإصلاح بين الناس والحكم بينهم بالإنصاف وتحرِّي العدل.

فاستحسن النبي ﷺ هذا العمل دون التكنية، ولذلك غيَّرها فكنَّاه بأكبر أولاده: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[(٢)].

(١) رواه أبو داود (٤٩٥٥) وهذا لفظه، وهو عند النسائي (٥٣٨٧) وهو حديث حسن، حكم الألباني: صحيح.

(٢) الملخص في شرح كتاب التوحيد.

فيجب احترام أسماء الله تعالى -عباد الله-، والتأدب معها.

ومن احترامها: تجنُّب تسمية أحدٍ باسم اختص الله تعالى به.

ومن احترامها: تغيير اسم أي شخص تسمَّى بشيء من أسماء الله تعالى التي اختُصَّ الله بها.

ويجوز التسمِّي بأسماء الله تعالى المشتركة التي لا تختصُّ به سبحانه وتعالى، مثل: العزيز، والملك، والقوي، والكريم، والحليم، والسميع، والبصير.

ولكن ما أضيف لله تعالى من هذه الأسماء فإنه مختصٌّ بكلِّ كمال، بخلاف ما إذا أضيف للمخلوق، فإنَّ المخلوق ناقص.

ومما يدل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف:٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف:٥٠]. فالإنسان يوصف بأنه سميع، والله ﷻ هو السميع، ولكن ليس السميع كالسميع، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

والحكمة من النهي -عباد الله- عن التسمِّي بالحَكَم، وما شابهها:

أنَّ هذه الأسماء تتضمن وصفاً مختصاً بالله وحده، لا يتجاوزه إلى غيره، ففي التسمِّي بها تعدٍّ على وصفٍ خاصٍّ بالله تعالى؛ فمعنى الحَكَم: الحاكم الذي إذا حكم لا يُردُّ حكمه، وهو الذي منه الحكم، وإليه ينتهي الحكم، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

ومنها: التأدب مع الله تعالى فيتجنَّب الأسماء الخاصة به.

ومنها: احترام وتعظيم أسماء الله تعالى الخاصة به.

ومن الحِكَم: سدٌّ لذريعة الشرك في الألفاظ، الذي قد يُفضي إلى تعظيم أحد غير الله تعالى.

ولئلا يشارك أحدٌ اللهَ تعالى في صفته. قال ابن القيم رحمه الله: فَهَذَا مَقْتُ اللهِ وَغَضَبُهُ عَلَى مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَاكِمُ الْحُكَّامِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى الْحُكَّامِ كُلِّهِمْ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، لَا غَيْرُهُ[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه:٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

عباد الله: احترام أسماء الله تعالى مطلوب منا جميعاً؛ وهذا الاحترام قد يكون مستحباً من جهة الأدب، وقد يكون واجباً، فأسماء الله تعالى يجب احترامها، بمعنى يجب ألا تُمتهن، ويستحب احترامها أيضًا فيما كان من الأدب ألا يوصف به غير الرب جل وعلا.

وهذا راجع إلى تعظيم شعائر الله جل جلاله، قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ

---

(١) الجواب الكافي (ص١٣٨).

فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢]، وقال جل وعلا: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾[الحج:٣٠]. فالشعائر: هي كل ما أشعر الله بتعظيمه، يعني: أعلم بتعظيمه؛ ومما أشعر الله بتعظيمه: أسماؤه الحسنى جل وعلا، فيجب احترامها وتعظيمها؛ ولهذا يستدلُّ أهل العلم على وجوب ألا تمتهن أسماؤه الموجودة في الجرائد، أو في الأوراق أو في الكتب الدراسية بعد الانتهاء منها، أو أن تُرمى، أو أن توضع في أمكنة قذرة؛ وعلى وجوب احترام كل ما فيه اسم من أسماء الله[(١)].

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: "أَوَّلُ فَرْضٍ فَرَضَهُ اللهُّ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ مَعْرِفَتُهُ، فَإِذَا عَرَفَهُ النَّاسُ عَبَدُوهُ، قَالَ اللهُّ تَعَالَى: ﴿ فَاعْلَم أنه لَا إِلَه إِلَّا الله ﴾ . فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَ اللهَّ وَتَفْسِيرَهَا فَيُعَظِّمُوا اللهَّ حَقَّ عَظَمَتِهِ"[(٢)].

فالعلم بأسماء الله ﷻ وصفاته، يزرع في القلب الأدب مع الله تعالى والحياء منه[(٣)].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظم الله تعالى حق التعظيم، ولنعظم أسماءه وصفاته، فإن هذا من تقوى القلوب.﴿ هُوَ اللهُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللهُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهَّ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللهُّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

---

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص٤٩٦).
(٢) الحجة في بيان المحجة: الأصبهاني (١/١٣٣).
(٣) ولله الأسماء الحسنى: الجليل (ص١١-١٦).

جعلنا الله وإياكم من المتقين، المعظمين لله تعالى ولأسمائه وصفاته.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٤٨)

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

الخطبة الأولى:

الحمد لله معطي الجزيلَ لمن أطاعه ورجاه، شديد العقاب لمن أعرض عن ذكره وعصاه، اجتبى من شاء بفضله فقربه وأدناه، وأبعد من شاء بعدله فولاه ما تولاه، أنزل القرآن رحمة للعالمين، فمن تمسَّك به نال مناه، ومن تعدَّى حدوده خسر دينه ودنياه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: الثبات على الدين من أهم الأمور التي يسعى إليها المسلم في كل وقت، ويتأكد في زمن الفتن؛ وإذا كان يسعى للثبات، فإنَّ المؤمن يعظِّم الله جل وعلا، ويعظِّم رسوله ﷺ، ويعظِّم شعائر الدين وسُننه، فيستحيل أن يهزأ بشيء منها، سواء أكان جاداً أو مازحاً. وهل يجتمع الإيمان بالله ورسوله ﷺ مع الاستهزاء بالدين وأهله؟ أبداً لا يجتمعان.

والمقصود بالاستهزاء: السخرية؛ والمراد به هنا: السخرية بالله تعالى، أو برسوله ﷺ، أو بشيء من شعائره، أو بالمؤمنين بسبب إيمانهم، سواء أكان ذلك بالقول أو الفعل أو الإشارة.

والاستهزاء بالدين -عباد الله- كفر أكبر؛ مخرج من ملة الإسلام. كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهَّ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦].

ورد في سبب نزولها: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ،-يَعْنِي رَسُولَ الله ﷺ، وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ-. فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ. فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ؛ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ»، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ»؛ مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»[(١)].

ويكفر-عباد الله- من استهزأ بالدين لأسباب، منها: استهانته بالله تعالى ونبيه ﷺ وشريعته، وهذه الاستهانة لا تكون إلا ممن ليس عنده شيء من الإيمان.ومنها: أنه لم يقم في قلبه تعظيم الله تعالى ولا نبيه ﷺ ولا شريعته، لأنه لو قام هذا التعظيم بقلبه لما استهزأ. ومنها: أن الاستهزاء بالدين من أظهر علامات المنافقين.

ومن وقع في الاستهزاء -عباد الله- بالله تعالى أو بسنة النبي ﷺ أو بشعيرة من شعائر الدين فإنه يكفر سواء أكان جاداً أم مازحاً، وعلى هذا تترتب عليه أحكام الكفر في الدنيا، وتوعده الله بالعذاب في الآخرة، فتُعرض عليه التوبة، فإن تاب وإلا أقيم عليه حد الردة، والحكم بذلك وتنفيذه موكول لولي الأمر.

---

(١) لفظ كتاب التوحيد- تفسير ابن جرير (١٠/١٧٢-١٧٣)، ط الحلبية- تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٨٢٩).

وسنة الله في المستهزئين تعجيل العقوبة لهم في الدنيا كما حصل لأعداء الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، لما كذبوا واستهزءوا بالرسل أصابهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنعام:١٠].

وأعداء رسول الله ﷺ استهزءوا به وسخروا منه وكذبوه وآذوه فأصابهم القتل في الدنيا مع ما ينتظرهم في الآخرة من العذاب المهين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ أي: مُبغضك وذامُّك ومُنتقصك ﴿ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ أي: المقطوع من كل خير[1].

والاستهزاء بالدين له صور كثيرة -عباد الله-:

منها: السخرية بالله تعالى. مثل قول اليهود: إنَّ يد الله مغلولة.

ومن صوره: السخرية بالنبي ﷺ. مثل: تنقُّص بعض المنافقين المعاصرين بالنبي ﷺ بكثرة زوجاته؛ أو اتهام أحاديثه ﷺ بالشدة أو الجفاء، والغلو والتطرف.

ومن صوره: السخرية بدين الإسلام. مثل: وصفه بالرجعية والتخلُّف والجمود، أو أنه لا يصلح لهذا العصر، أو لا يناسب التطور والمدنية الحديثة، أو أنه يولِّد الإرهاب والتشدد، أو أن فيه وحشية وانتهاكاً لحقوق الإنسان. وسواءً سخر بجميع شرع الله ﷻ، أو سخر بحكم من أحكامه.

ومن صوره: السخرية بشعائر الدين. مثل: الأذان، أو الصلاة، أو الحج، أو الأمر

---

(١) تفسير السعدي.

بالمعروف والنهي عن المنكر، أو بحجاب المرأة المسلمة، وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[المائدة:٥٨].

ومن صوره: السخرية بذكر الله تعالى وكتابه الكريم. مثل: رمي المصحف في القاذورات، أو اتهامه بتخلف تشريعاته، أو أنها لا تناسب العصر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[النساء:١٤٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: والاستهزاء بالدين وأهله من صفات المنافقين، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[البقرة:١٣-١٥].

والصحابة -عباد الله- هم صفوة هذه الأمة وخيرها بعد نبيها ﷺ، وهم الذي بلَّغوا هذه الشريعة ونشروها بين الناس، ودَعَوا إليها، وجاهدوا في ذلك مع رسول الله ﷺ

وبعده، وفتحوا البلدان، وبيَّنوا هذا الدين لمن بعدهم، فكل خيرٍ واصلٍ للأمة فعن طريقهم، وكل خيرٍ فعله واحد من هذه الأمة إلى يوم القيامة فهو في ميزان حسناتهم ﭬ.

فلذا كان الواجب على كل مسلم محبتهم وتقديرهم واحترامهم، وكانت السخرية بهم أو بواحد منهم معصية كبيرة، وإثماً عظيماً قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر.

والاستهزاء بالعلماء -عباد الله- والصالحين والدعاة إلى الله تعالى محرم؛ وهو نوعان:

إما أن يستهزئ بهم من أجل إيمانهم وتمسُّكِهم بالدين، وحملِهم له، مثل أن يقال: هؤلاء رجعيون، أو هؤلاء متخلفون، أو ضالون. وهذا النوع كفر، لأنه من جنس استهزاء المنافقين بأصحاب النبي ﷺ. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

والنوع الثاني: أن لا يستهزئ بهم من أجل ما هم عليه من الدين، بل من أجل ذواتهم؛ كأن يقول فلان لا يفهم، أو يقلِّده في مشيته أو في طريقة كلامه ساخراً. وهذا النوع: محرم وكبيرة من الكبائر، وهو داخل في معاداة أولياء الله تعالى. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»[1].

ويدخل في ذلك السخرية بالمسلمين، فهي محرمة.

وأما موقف المسلم من المستهزئين؛ فأهم ما يجب على المسلم تجاه المستهزئين:إنكار هذا الأمر بقلبه، وكراهيته، والنفور منه، والبعد عن روايته ونقله. وعدم موالاة الهازلين

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

الساخرين المستهزئين؛ والبراءة مما فعلوه. ومناصحة من وقع منه ذلك بالحكمة والرفق وبيان خطر ما وقع فيه. والابتعاد عن كل ما يعرض صور الاستهزاء من مسموع أو مقروء أو مرئي كبعض الروايات والأفلام والمسلسلات.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظِّم ونوقِّر الله في قلوبنا، ونعظم دينه ونبيه وشعائر دينه وعباده الصالحين، ولنحذر من مزالق اللسان، «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمغرب»، وليبتعد عن مجالسة أهل المنكر -مباشرة أو عبر وسائل التواصل- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٤٩) باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾

الخطبة الأولى:

الحمدلله رب العالمين، الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمدلله الذي لا يُحمد غيره، ولا معبود بحق سواه، أسبغ علينا النعم، ودفع عنا النقم، نتقلب بالنعم ليلاً ونهاراً، ظاهراً وباطناً، وما بكم من نعمة فمن الله، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[البقرة:١٧٢].

عباد الله: الله سبحانه وتعالى ينعم على عباده، بالنعم الظاهرة والباطنة، وقد ينسى بعض الناس، أو يتكبر فينسب نعم الله تعالى عليه إلى نفسه.

والمراد بنسبة النعم إلى النفس: أن يضيف الإنسان ما آتاه الله من النعم إلى نفسه، مع نسيان المنعم الحقيقي وهو الله تعالى.

ومن أمثلة نسبة النعم إلى النفس:

قول الطالب إذا نجح: هذا بجدي واجتهادي.

والواجب: أن ينسب النعمة لله، فيقول مثلاً: الحمدلله، هو الذي أعانني وسهَّل عليَّ، فذاكرت واجتهدت ونجحت.

ومنها قول التاجر: جمعتُ ثروتي بذكائي ومعرفتي بوجوه البيع والشراء.

والواجب: أن ينسب النعمة لله، فيقول مثلاً: هذا من فضل الله عليَّ، أو الحمدلله الذي رزقني، أو الحمدلله الذي يسَّر لي أسباب الرزق.

ومنها قول بعض الناس إذا حصلت له نعمة: أنا مستحق لها.

والواجب: أن يعلم العبد افتقاره إلى ربه، وأنه لا يستحق على ربه شيئاً، وكل ما أعطاه الله تعالى تفضُّلٌ من الله عليه لا باستحقاق له على ربه.

ونسبة النعم -عباد الله- إلى النفس حرام، وهو من الكفر الأصغر الذي يسمى: (كفر النعمة)، وهو نقصٌ في كمال التوحيد الواجب. كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَا لِي﴾: أي: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يريد من عندي.

فأخبر الله تعالى في هذه الآية: أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله، وفي حال اليسر ينكر نعمة الله عليه، ويعرض عن شكرها؛ لزعمه أنه إنما حصلت له هذه النعمة بكده وكسبه وحوله وقوته.

ومن النماذج -عباد الله- في شكر نعمة الله وكفرها: قصة الثلاثة من بني إسرائيل: الأبرص والأقرع والأعمى فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا،

قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا؛ قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيه هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَالله لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لله. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رُضِيَ، عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[١].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

فقد قصَّ علينا رسول الله ﷺ قصة الثلاثة رجال من بني إسرائيل، وكيف أن أحدهم أنعم الله عليه فشكر، واثنين منهم أنعم الله عليهما فكفرا نعمته، ثم بيَّن النبي ﷺ عاقبة كل واحد منهم.

ومن النماذج: قصة قارون؛ عندما رزقه الله المال، قال الله عنه: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص:٧٨] قال قتادة رحمه الله بياناً لقول قارون: أي على علم مني بوجوه المكاسب. وقال بعض العلماء: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٤٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه،وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

عباد الله: الله تعالى هو المنعم على عباده، فالواجب علينا نسبة جميع النعم إليه، والحذر من نسبتها لغيره.

فيجب إضافة جميع النعم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه هو المنعم على جميع خلقه، فلا أحد سواه ينعم عليهم؛ وأما العباد فهم أسباب يُجري الله تعالى النعم على أيديهم متى شاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، ولا يكون العبد موحداً كامل التوحيد حتى ينسب جميع النعم إلى الله تعالى بقلبه ولسانه ويستعمل نعم الله بجوارحه في طاعته، ويجتنب استعمالها في معصيته.

ونعم الله تعالى على عباده كثيرة جداً، لا يمكن لأحدٍ أن يعدَّها أو يحصيها، قال الله تعالى مذكراً بذلك: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ويجب شكر الله تعالى على جميع نعمه، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤].

والشكر الكامل يتحقق بوجود ثلاثة أركان:

اعتراف القلب بنعمة الله، ويقينه أن كل نعمة فهي من الله جل وعلا.

وإقرار اللسان بالنعمة وثناؤه على الله تعالى بنعمه كلها.

واستعمال النعمة في طاعة الله، وتجنُّب استعمالها في معصيته.

وشكر الله تعالى -عباد الله- على نعمه، وإضافتها إليه، لا يعني التنكُّرَ للمعروف، وجحدَ الناس ما أحسنوا به، بل إنَّ من تمام الإيمان شكرَ الناس على إحسانهم، والثناءَ عليهم بها، والدعاءَ لهم، وتركَ الجفاء معهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ ﷻ»[1].

---

(١) مسند أحمد (٧٥٠٤)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظم الله ﷻ، ولنشكره على نعمه، وذلك بنسبة جميع النعم إليه، فهو المنعم الحقيقي.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٥٠) باب قول الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله القوي المتين، الظاهر القاهر المبين، لا يعزب عن سمعه أقلُّ الأنين، ولا يخفى على بصره حركاتُ الجنين، ذلَّ لكبريائه جبابرة السلاطين، وبطل أمام قدرته كيد الكائدين، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

عباد الله: نعم الله تعالى كثيرة، والواجب تجاه النعم هو الشكر، ومن نعم الله تعالى التي يجب شكرها: نعمة الولد، وشكرها هو القيام بأمر الله تجاهها، ومن ذلك تسمية الولد تسمية لا تعارض الشرع، فلا يجوز أن يعبَّد لغير الله أبداً، لأن ذلك كفران لنعمة الله تعالى. ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠].

قال ابن كثير: وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك

المشركون من ذريته، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس، فالمقصود هنا جنس الزوج والزوجة من ذرية آدم والله أعلم.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾: صلاح الأولاد يشمل أمرين: صلاح الخلقة والبدن والصورة. الأمر الثاني: أن يكون صالحاً في دينه وفي فطرته وفي اتجاهه إلى الله جل وعلا.

والصالح في البدن هو الظاهر، أي: ليس فيه عيوب، وليس مشوهاً، وإنما هو مخلوق من بني آدم سوي كامل الخلقة.

ومن هذا أن البنت إذا ولدت لإنسان فإنها من نعم الله، ويجب أن يشكر الله عليها؛ لأنها لم تكن مولوداً مشوهاً أو ذاهب العقل أو ذاهب بعض القوى، أو غير كاملة الخلقة، بل هي نعمة من النعم التي يجب أن يشكر الله عليها.

فالمقصود أنه إذا ولد للإنسان مولود سواء كان ذكراً أو أنثى، وكان تام الخلقة، صالحاً في بدنه، ليس فيه تغيير في خلقته، فإن هذه نعمة كبيرة يجب على الوالدين أن يشكراها.

وقعت قضية في أحد المستشفيات، وفيها عبرة للإنسان الذي يعتبر؛ كان رجل من الناس رزقه الله عدداً من البنات، ثلاثاً أو أكثر، وفي الحمل الأخير قال لزوجته: إن أتيت ببنت فأنت طالق! فالمرأة الضعيفة المسكينة ذهبت إلى المستشفى فوضعت، وإذا بالمولود بنت، فصارت تبكي، فسألوها: ما السبب؟ فأخبرتهم، وكان هناك طبيب عاقل، فقال للموظفين: إذا أتى الزوج فأرسلوه إليَّ قبل أن يرى زوجته أو يرى بنته، فجاء إليه، وكان يوجد في المستشفى مولود ذكر مشوه في خِلْقته، فأخذه وذهب به إليه وقال: أنت القائل كذا لزوجتك؟ فإن الله قد عاقبك، فتعال وانظر، فذهب به إلى المولود المشوَّه، فلما رآه صار يبكي كثيراً، فقال الطبيب: هذا عقابك على ما قلت، فقال: لن أعود لمثل هذا، ثم

قال له: أما الآن فليس هذا ولدك، ولدك هي بنت صالحة، وأحمد الله واستغفر مما وقعت فيه، فصارت موعظة له[(١)].

ويستحب -عباد الله- تعبيد الأسماء لله تعالى؛ قال ابن حزم رحمه الله: "وَاتَّفَقُوا على اسْتِحْسَان الأسماء المضافة إلى الله عز وجل: كعبدالله وعبدالرَّحْمَن وَمَا أشبه ذَلِك"[(٢)].

وأحب الأسماء إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن، كما في حديث عبدالله بنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى الله عَبْدُالله وَعَبْدُالرَّحْمَنِ»[(٣)].

وسبب أنها أحبَّ الأسماء إلى الله تعالى: نسبتها لأجلِّ أسمائه تعالى.

وكونها معبَّدة لله تعالى، ففيها تذلل وخضوع لله جلَّ في علاه.

وأنها تُشعر من تسمَّى بها بعبوديته لله تعالى، وبُعدِه عن خصال الكِبر والخروج عن الطاعة كلَّما تفكر في معنى اسمه.

قال ابن القيم رحمه الله: كَانَ أحب الْأَسْمَاء إِلَى الله عبدالله وَعبدالرَّحْمَن، بِحَيْثُ إذا وعى الطِّفْل وعقل، علم أنه عبد الله وَأَن الله هُوَ سَيّده ومولاه[(٤)].

ومعنى تعبيد الأسماء لله: نسبة عبودية الإنسان لله، كتسميته بـ (عبدالله) أو (عبدالعزيز).

---

(١) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

(٢) مراتب الإجماع (ص:١٥٤).

(٣) رواه مسلم (٢١٣٢).

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود (ص:٢٣٢).

ويحرم -عباد الله- تعبيد الأسماء لغير الله تعالى. مثل: عبدُالحارث، وعبدُالكعبة، وعبدُ الرسول، وعبدُ المسيح، وعبدُ علي، وعبدُ الحسين، وعبدُ الأمير، وعبدُالمطلب.

ويدخل في حكمها: غلام أحمد، وغلامُ الرسول، وغلام الحسين؛ إذ هي بمعنى عبدالرسول، وعبد الحسين.

ومن الأدلة على تحريم تعبيد الأسماء لغير الله: قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الأعراف:١٩٠].

قال ابن كيسان: هم الكفار سموا أولادهم عبدَ العزى وعبدَ اللات وعبدَ مناة ونحوه[١].

ومن الأدلة على التحريم: أن النبي ﷺ كان يغير الأسماء المعبدة لغير الله تعالى.

ومنها: إجماع العلماء على ذلك، قال ابن حزم رحمه الله: اتَّفَقُوا على تَحْرِيم كل اسْم معبد لغير الله عز وجل كَعبد الْعُزَّى، وَعبد هُبل، وَعبد عَمْرو، وَعبد الْكَعْبَة، وَمَا اشبه ذَلِك[٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) تفسير البغوي- طيبة (٣/٣١٤).

(٢) مراتب الإجماع (ص١٥٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] .

عباد الله: وحرَّم الشرع التعبيد لغير الله لأسباب منها:

سدُّ ذريعة الشرك بأن يعظَّم غير الله بنسبة العبودية له، وقد ينطبع في نفس الذين تسمَّوا بهذه الأسماء تعظيمُ من عُبِّدوا له، واتخاذه نداً لله تعالى.

ومن الحِكم: ما تضمنه ذلك من صورة العبادة لغير الله،حتى وإن لم يعبده.

ومن الحِكم: ما فيه من الكذب، إذ العبادُ عبادُ الله تعالى وحده.

وكانت العرب -عباد الله- في جاهليتها تعبِّد الأسماء لآلهتهم، فيسمون: عبدَالعزى، وعبدَ مناف، وعبدَ هبل؛ وقد يعبِّدون لما يعظِّمونه كالكعبة، فيسمون: عبدَ الكعبة.

فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك وتحريمه، وغيَّر النبي ﷺ أسماءَ جماعة من الصحابة ﷺ كانوا معبَّدين لغير الله تعالى، منهم: عبدُالرحمن بن عوف ﷺ، وكان اسمه:عبدَ عمروٍ. ومنهم : عبدُالرحمن بن سمرة ﷺ، وكان اسمه: عبدَ الكعبة. ومنهم: عبدالله المزني ذو البجادين ﷺ، وكان اسمه: عبدَ العزى.

فيجب على الأب اختيار الاسم الحسن في اللفظ والمعنى في قالب النظر الشرعي

واللسان العربي، فيكون: حسناً، عذباً في اللسان، مقبولاً للأسماع، يحمل معنى شريفاً كريماً، ووصفاً صادقاً، خالياً مما دلت عليه الشريعة على تحريمه أو كراهته، مثل: لوثة العجمة، وشوائب التشبه، والمعاني الرخوة.

ومعنى هذا أن لا تختار اسماً إلا وقد قلَّبت النظر في سلامة لفظه ومعناه، على علم ووعي وإدراك، وإن استشرت بصيراً في سلامته مما يُحذر، فهو أسلم وأحكم[١].

ودلت الشريعة -عباد الله- على تحريم تسمية المولود في وجوه عدة، منها:

تحريم كل اسم معبد لغير الله تعالى.

وتحريم التسمية باسم من أسماء الله تعالى المختصة به.ويحرم التسمية بالأسماء الأعجمية المولدة للكافرين الخاصة بهم. والمسلم المطمئن بدينه يبتعد عنها وينفر منها، ولا يحوم حولها. وقد عظمت الفتنة بها في زماننا، فيُلتقط اسم الكافر من أوربا وأمريكا وغيرهما، وهذا من أشد مواطن الإثم وأسباب الخذلان، ومنها: بطرس، جرجس، جورج، ديانا، روز، سوزان.. وغيرها.

وهذا التقليد للكافرين في التسمي بأسمائهم، إن كان عن مجرد هوى وبلادة ذهن، فهو معصية كبيرة وإثم، وإن كان عن اعتقاد أفضليتها على أسماء المسلمين، فهذا على خطر عظيم يزلزل أصل الإيمان؛ وفي كلتا الحالتين تجب المبادرة إلى التوبة منها، وتغييرها شرط في التوبة منها[٢].

---

(١) تسمية المولود: بكر أبو زيد (ص١٢).

(٢) تسمية المولود: بكر أبو زيد (ص١٩-٢٠).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظم الله ﷻ، ولنشكره على ما رزقنا من النعم التي منها الولد، وذلك بتسمية أولادنا بما يوافق شرعنا، وبما يكون لها من المعاني الحسنة، والأوصاف الجميلة، وأن تكون معبدة لله تعالى، لا لغيره.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٥١) باب قول الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا... ﴾

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، فلا مؤخر لما قدمه، ولا مقدم لما أخره، تفرد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء؛ الواحدُ الأحد الربُّ الصمد، فلا شريك له فيما أبدعه وفطره، الحيُّ القيوم فما أقومه بشئون خلقه وأبصره، العليمُ الخبيرُ فلا يخفى عليه ما أسرَّهُ العبد وأضمره، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: من الإيمان بالله تعالى: الإيمان بجميع أنواع التوحيد الثلاثة، الذي منها: توحيد الأسماء والصفات؛ فالله جل وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو متصف بجميع صفات الكمال، ومنزَّه عن جميع صفات النقص، متفردٌ بذلك عن جميع الكائنات والمخلوقات[١].

فالله تعالى له الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[الأعراف:١٨٠]، وقد اشتملت الآية الكريمة على شيئين:

---

(١) الوجيز في عقيدة السلف (ص٥٤).

الأول: أن لله تعالى أسماءً كثيرة.

ومن أسماء الله تعالى تسعة وتسعون اسماً أشار إليها النبي ﷺ، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

ومراتب إحصاء أسمائه تبارك وتعالى التي من أحصاها دخل الجنة: (حفظها)-و(فهم معانيها)- و(دعاؤه بها)(٢).

وأسماء الله تعالى -عباد الله- غير محصورة في عدد، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ ﷻ هَمَّهُ،وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»(٣).

ففي الحديث: دلالة على أن لله أسماء، لم ينزلها في كتاب، ولم يعلمها لأحد من خلقه، بل استأثر بها في علمه سبحانه.

والمعنى الثاني الذي دلت عليه الآية: معنى أن أسماء الله تعالى حسنى. ومعنى أنها حسنى: أنها تامة عظيمة، تشتمل على معانٍ جليلة، قد بلغت في الحسن غايته، وذلك لأنها

(١) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).
(٢) بدائع الفوائد (١/٢٨٨).
(٣) رواه أحمد (٤٣١٨)-إسناده ضعيف، مسند أبي يعلى(٥٢٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة (١٩٨).

متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

فعلى المسلم أن يدعو الله تعالى بأسمائه الحسنى كما أمره الله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وهذا يشمل نوعي الدعاء-دعاء العبادة ودعاء المسألة-:

فأما دعاء العبادة: فأن يتعبد لله تعالى بمقتضى أسمائه الحسنى.

كاسم الله (السميع): يتعبد المسلمُ لله بمعرفة أن الله يسمعه مهما قال، فيجتهد أن لا يقول إلا ما يرضيه.

واسم الله (البصير): يتعبد المسلمُ لله بمعرفة أن الله يراه أينما كان، فيجتهد أن لا يراه إلا على ما يرضيه.

و(الرحيم): يدل على الرحمة، وحينئذ يتطلع إلى أسباب الرحمة ويفعلها. و(الغفور): يدل على المغفرة، وحينئذ يتعرض لمغفرة الله ﷻ بكثرة التوبة والاستغفار.

و(القريب): يقتضي أن يتعرض إلى القرب منه بالصلاة وغيرها، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[١].

وأما دعاء المسألة: فذلك يتضمن ثلاثة أمور:

أن يسأل الله بها، مثل أن يقول: يا رب، ويا كريم، ويا رحيم، ثم يسأل حاجته.

وأن يتوسل إليه بها، مثل أن يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[٢].

ومثل: دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٧٥).
(٢) أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤).

الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧].

ومثل أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، ثم يسأل حاجته[١].

ومما يتضمنه دعاء المسألة: أن يسأله ويتوسل إليه بالاسم المناسب لحاجته: فإذا أراد طلب المغفرة قال: يا غفور اغفر لي. وإذا أراد طلب الشفاء قال: يا شافي اشفني. وهكذا.

ومن أعظم الانحراف العقدي -عباد الله-: الإلحاد في أسماء الله، وهو انحراف بأسماء الله عن الاعتقاد الحق الواجب فيها.

والمراد بالإلحاد: الميل؛ ومعنى الإلحاد في أسماء الله: الميل بها عما يجب اعتقاده فيها.

وهو أنواع: فمنها: الشرك في أسماء الله، قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف:١٨٠]: يشركون، وله حالان:

شرك التشبيه والتمثيل: وذلك بتشبيه الصفات التي دلت عليها أسماء الله تعالى بصفات المخلوقين، فيقول من ألحد: صفة السمع التي دلَّ عليها اسم الله (السميع) كصفة سمع المخلوق وهذا إلحاد في أسمائه والعياذ بالله.

والحال الثانية: شرك التسمية والاشتقاق: وذلك بتسمية الأصنام بأسماء الله تعالى، أو اشتقاق أسماءٍ لها من أسمائه تعالى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سمَّوا اللات من (الإله)، والعزى من (العزيز).

ومن أنواع الإلحاد في أسماء الله: تسمية الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه، ولا سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الأعمش: ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾: يدخلون فيها ما ليس منها.

(١) أحمد (٢٣٠٤١) إسناده صحيح.

ومن أنواع الإلحاد في أسماء الله: إنكار شيءٍ من أسمائه الثابتة بالكتاب والسنة، مثل إنكار المشركين اسم (الرحمن)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠].

ومن أنواع الإلحاد في أسماء الله: إنكار ما دلت عليه أسماؤه الحسنى من صفات الكمال العلى، أو تعطيلها، أو تحريفها عما دلت عليه من معانيها الحقيقية.

فيحرم الإلحاد -عباد الله- في أسماء الله تعالى، وقد تهدد الله تعالى الذين يلحدون في أسمائه بقوله تعالى: ﴿وَللهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]؛ فالله سبحانه وتعالى سوف يجازيهم ويعاقبهم بسبب إلحادهم في أسمائه جلَّ وعلا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

عباد الله: وبعد معرفة أسماء الله تعالى، وما فيها من الحسن والكمال؛ وبعد سماع ما وقع فيها من الشرك والإلحاد، ممن ضل عن الصراط المستقيم؛ فما هو الواجب علينا اعتقاده في أسماء الله تعالى.

إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وعدم تسمية الله تعالى إلا بما سمى الله به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ؛ لأن أسماء الله توقيفية لا تُؤخذ إلا من الكتاب والسنة، لا مجال للاجتهاد فيها.

وإثبات معاني أسماء الله تعالى، فإن لها معانٍ مفهومة من لغة العرب.

وإثبات ما دلت عليه من صفات الكمال العُلى؛ فاسم (السميع) يدل على صفة السمع، واسم (البصير) على صفة البصر، واسم (القوي) على صفة القوة، وهكذا في جميع الأسماء الحسنى.

ومما يجب علينا: ترك تسمية غير الله تعالى بالأسماء التي اختص الله بها، مثل: (الله) و(رب العالمين) و(الرحمن). قال الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظم الله تعالى حق التعظيم، ولنتعلم أسماءه الحسنى وصفاته العلى وما فيها من المعاني الجميلة، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٥٢)

باب لا يقال السلام على الله

الخطبة الأولى:

الحمد لله القوي المتين، الظاهر القاهر المبين، سلَّم عباده من الشرور والآفات، ويسَّر لهم طريق الأعمال الصالحات، أحمده سبحانه وأشكره وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

عباد الله: الإيمان بالله تعالى وتوحيده مبنيٌّ على التعظيم والإجلال له ﷻ؛ وتعظيم الله: هو إجلال الله جلَّ وعلا بالقلب، واللسان، والأعمال: فعلاً وتركاً. وأصل التعظيم يكون بالقلب، وتعظيم المؤمن لربه لا بدَّ أن يظهر على لسانه وجوارحه. ومما يعين على تعظيم الله: التعرف على معاني أسماء الله وصفاته[(١)].

ومن أسماء الله تعالى التي يجب تعظيمها: (السلام).

فالله جلَّ وعلا هو المسلِّم لغيره، ونحن نطلب السلامة منه؛ فهل يليق بالله أن ندعوَ له بالسلامة؟، هذا أمر محال؛ فالله يُدعى، ولا يُدعى له، ويُطلب منه ولا يطلب له.

---

(١) توحيد: ٣/م- ف٢ (١٢) ١٤٤١هـ.

فالسلام من أسماء الله الحسنى:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:٢٣].

وعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[(١)].

واسم الله (السلام) يتضمن معنيين: أولهما: أنه جلَّ وعلا سالمٌ من كلِّ عيب ونقص، وذلك لكماله وغناه، وسالمٌ عن مشابهة أحدٍ من خلقه. والمعنى الثاني: أنه المسلِّم لغيره من مخلوقاته، فهو يسلِّمهم من الآفات، ويرزق المؤمنين الأمان والطمأنينة في الدنيا والآخرة.

وقول: (السلام على الله) محرم. كما في حديث عَبْدِاللهَّ بن مسعود، قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهَّ، فَإِنَّ اللهَّ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ للهَّ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهَّ الصَّالِحِينَ، -فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ-، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو»[(٢)].

ونُهي عن قول: (السلام على الله) -عباد الله- لِحكَمٍ وأسباب، منها:

أن (السلام) اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى هو السلام، فكيف يقال:

---

(١) رواه مسلم (٥٩١).

(٢) رواه البخاري (٨٣٥)، واللفظ له، ومسلم (٤٠٢).

"السلام على الله"؛ ولهذا نثني على الله بالسلام، كما في الدعاء الثابت عن النبي ﷺ عقب الصلاة: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ».

ومن الحِكَمِ: أنَّ الواجب على العبد تمجيد الله تعالى وتعظيمه، والسلامُ عليه ينافي ذلك، لما فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى، وذلك أنَّ حقيقة (السلام): الدعاءُ للمسلَّم عليه بالسلامة من النقص والآفات وإشعارُهُ بالأمنِ والسلامِ من قِبَلِ المسلِّم، والله تعالى وهو الذي يؤمِّنُ غيره ويسلِّمُه، فلم يكن بحاجة إلى أن يُدعَى له بذلك، لكمالِ غِنَاهُ جلَّ في علاه، وافتقارِ كلِّ مخلوق إليه.

والسلام-عباد الله- تحية أهل الإسلام في الدنيا والآخرة.

السلامُ تحية أهل الإسلام في الدنيا كما علَّمهم ذلك رسول الله ﷺ، وهو مشتق من اسم الله (السلام)، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1].

والسلامُ تحية أهل الجنة، وبالسلام يتلقاهم ربهم، وبه تتلقاهم الملائكة الكرام: قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٤]، وقال: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

والجنة -عباد الله- دار السلام، وذلك لأن فيها السلامة الدائمة الكاملة من جميع الآفات، فهي نعيم دائم لا شقاء فيه. قال الله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٧].

---

(١) الأدب المفرد (٩٨٩) وحسنه الألباني.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[يونس:٢٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: ربنا سبحانه وتعالى هو مصدر السلام والأمن، وكل من ابتغى السلامة عند غيره سبحانه فلن يجدها، وهذا معنى قوله ﷺ: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ». ولذلك سميت الجنة دار السلام؛ لأن من دخلها سَلِمَ من الآفات والشرور والمنغِّصات والأكدار[1].

ولذلك فإن من آثار الإيمان باسمه سبحانه (السلام): الاعتقاد واليقين بأن من أراد الأمن والسلام سواء في نفسه، أو في بيته، أو في مجتمعه، فإنه لا يكون إلا في الإيمان بالله ﷻ، والأنس به، والالتزام بأحكامه وشريعته التي كلها أمن وسلام على الفرد والأسرة والمجتمع، وكلما كان المسلمون أكثر التزاماً بشريعة الله ﷻ كانوا أكثر تحصيلاً للسلام، والعكس بالعكس، وهذا من موجبات اسمه سبحانه (السلام).

---

(١) ولله الأسماء الحسنى: الجليل (ص٢٠٦).

ومن آثاره: سعي المؤمن في إشاعة السلام بين المسلمين بإفشاء السلام، وكفِّ الشر، والسبِّ، والقذف، والعدوان عليهم، قال ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[١]، مع السعي لنشر الإسلام الذي هو دين السلام في الأرض بالدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى[٢].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظم الله حق التعظيم، ولنطلب السلامة منه جلَّ وعلا، فهو السلام ومنه السلام. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

جعلنا الله وإياكم سالمين غانمين مغفوراً لنا..

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





---

(١) رواه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠).

(٢) ولله الأسماء الحسنى: الجليل (ص٢٠٨).

كتاب التوحيد (٥٣) باب قول:
اللهم اغفر لي إن شئت

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: من العبادات العظيمة: التعبد لله تعالى بدعائه والتضرع إليه؛ وكلُّ من دعا الله مخلصاً في دعائه فقد وُفق لخير عظيم، كما قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»[١].

والعبد المؤمن يدعو ربه في كل صلاة أن يهديه الصراط المستقيم.

وإذا دعا الإنسان ربه فإنه يجزم بهذا الدعاء، ويوقن بالإجابة، ولا يُعلِّق الدعاء ولا يستثني فيه بالمشيئة، كما يفعله بعض الناس في غالب أدعيته.

فالاستثناء في الدعاء: هو تعليق الدعاء بمشيئة الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد (١١١٣٣) وإسناده جيد –واللفظ له–، والترمذي (٣٨٩٠) ط: الرسالة، والأدب المفرد (٧١١).

مثل: أن يقول في دعائه لنفسه: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، الله يهدينا إن شاء الله.

ومثل: أن يقول في دعائه لغيره: الله يغفر لك إن شاء الله، الله يشفيك إن شاء الله. وهذا جارٍ على ألسنة كثيرٍ من الناس وهم لا يشعرون.

فالاستثناء في الدعاء -عباد الله- محرم، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ»[١].

ونُهي عن الاستثناء في الدعاء -عباد الله- لأسباب وحِكَمٍ، منها:

أنه يُشعر بأن الله له مُكرِهٌ -تعالى الله عن ذلك- فإنَّ الله أعظم وأجلُّ، ولهذا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[٢].

ونُهي عن الاستثناء في الدعاء: لأنه يُشعر بأنَّ هذا أمرٌ عظيم على الله، ويعجز عنه -سبحان الله عن ذلك-، ولهذا قَالَ ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[٣].

ونُهي عن الاستثناء في الدعاء: لأنه يُشعر باستغناء العبد عن ربه جلَّ وعلا، وعدم افتقاره إليه، وفي هذا إساءة أدب مع الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦٧٩).

إذاً: هذه الأمور، وهذه المعاني الثلاثة، تمنع من أن يُعلِّق الإنسان سؤال الله بالمشيئة، وهذا في المسألة التي يسألها الإنسان ربه ويدعوه، بخلاف الخبر الذي يخبر به، فإن كونه يخبر عن شيء سيقع، هذا يُعلَّق بالمشيئة؛ لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله [(١)].

فالواجب -عباد الله- على الداعي أن يعزم المسألة في دعائه؛ ومعنى عزم المسالة: الإلحاح في طلبها، من غير ضعف، ولا تعليق على مشيئة، ولا تردد في طلبه من ربه جل وعلا.

وهذا يدل على افتقار الداعي لربه جل وعلا، وشدة حاجته إليه، واضطراره إلى إجابته، وعلى إيقانه بإجابته، كما إن السائل يدل على تعظيم الله تعالى، حيث إنه سأله حاجته وهو يعلم أنه القادر على تحقيقها.

والإنسان فقير إلى ربه فقراً لا ينفك عنه، إذا لم تحصل له السعادة والمغفرة والعطاء من ربه جلَّ وعلا فهو هالك ومعذب ولا شك؛ فيتعين عليه أن يرغب في الدعاء إلى الله، وأن يلحَّ، وأن يُعظِّم الرغبة والإقبال عليه بشدة؛ وأما الاستثناء وتعليق الدعاء بالمشيئة فيدل على خلاف الرغبة وخلاف الجزم، وخلاف كونه فقيراً إليه سبحانه. وأما من جانب الرب جلَّ وعلا فهو غني، يعطي ما يشاء بلا عدٍّ ولا حساب، ولا يكون الشيء عظيماً عليه بأن يعطيه، فلا داعي للاستثناء؛ لأن الاستثناء فيه نقص من ناحية العبد وجهل، وفيه تنقص من العبد لربه جلَّ وعلا في هذا [(٢)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

---

(١) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

(٢) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

عباد الله: الدعاء عبادة، ومن أراد إجابة دعائه فليتأدب بآدابه، والتي منها: إخلاص الدعاء لله. والكسب الحلال، وتجنب الحرام. واستحضار القلب حين الدعاء، وعدم الغفلة فيه. والإيقان بالإجابة. وابتداء الدعاء: بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ. ومن آدابه: الطهارة. واستقبال القبلة. ورفع اليدين.

ومنها: تكرار الدعاء والإلحاح فيه: إما تكراره في الحال الواحدة من الدعاء، بأن يكرره ثلاثاً إذا دعا؛ قَالَ ابْنِ مَسْعُودٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا»[1].

وإما تكراره مراراً في جميع أحوال العبد وأوقاته؛ ومن أكثر وألحَّ على الله تعالى فسرعان ما يستجاب له.

فالله تبارك وتعالى مالك الملك، وملكه واسع عظيم، وكل شيء بيده، وهو واسع العطاء لعباده، ولا يضره ما يعطيهم منذ خلق الدنيا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) رواه مسلم (١٧٩٤).

قال الله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾[النحل:٩٦].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» وَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»، وَقَالَ: «عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»[2].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنتأدب بآداب الدعاء، ولا نعلِّق الدعاء بالمشيئة ولا نستثني بأدعيتنا، ولنلحَّ على الله بأدعيتنا، ولنثق بكرم الله وعطائه الذي لا يُحدّ، فهو عطاء تام غير منقوص، وهو لا يشغله شيء عن شيء، وأن يتدبر الداعي كلمات الدعاء، وأن ينبض بها قلبه، وتنطق بها مشاعره وأحاسيسه قبل أن يتحرك بها لسانه.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة:١٨٦].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه البخاري (٧٤١١)، واللفظ له، ومسلم (٩٩٣).

كتاب التوحيد (٥٤)

باب لا يقول: عبدي وأمتي

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والضر والنفع، والهداية والإضلال؛ لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

عباد الله: من تأمل نصوص الكتاب والسنة، رأى نصوصاً كثيرة تحثُّ على القيام بكل ما يقوِّي التوحيد ويُنمِّيه ويغذِّيه، من الحثِّ على الإنابة إلى الله وانحصار تعلُّقِ القلب بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك، وإلى التحرر من رقِّ المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها، وخصوصاً حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم.

ونهى عن أقوال وأفعال يُخشى أن يُتوصل بها إلى الشرك، كل ذلك حماية للتوحيد.

ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بها

خُلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها، لتكمل لهم السعادة والفلاح[(١)].

ولقد وصف الله رسوله ﷺ بالحرص على أمته، ورحمته بهم، وشفقته عليهم، أن يلحق بهم العنت والمشقة، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

فقد أنذر أمته وحذرهم من الشرك الذي هو أعظم الذنوب الموجبة للنار والعذاب الأليم، ونهاهم عن جميع الأسباب الموصلة إليه[(٢)].

ومن ذلك: الشرك في الألفاظ؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي، مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي»[(٣)].

فهذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد، وسداً لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم. فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم، فينهى عنه لذلك. وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى. وإنما المعنى أن هذا مالك له. فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار. فالنهي عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ. وهذا من أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب تعالى، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ.

(١) القول السديد: لابن سعدي (ص٤٣-٤٤).
(٢) توحيد (١م)-ف١ (ص٩٥)-١٤٤٢هـ.
(٣) رواه البخاري (٢٥٥٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٩).

وهو قوله: «سَيِّدِي، مَوْلاَيَ».

وكذا قوله: «وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي»؛ لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله. قال الله تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ [مريم:٩٣]. ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيماً لله تعالى، وأدباً وبعداً عن الشرك، وتحقيقاً للتوحيد. وأرشدهم إلى أن يقولوا: «فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي». وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، فقد بلَّغ ﷺ أمته كل ما فيه لهم نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين. فلا خير إلا دلهم عليه، خصوصاً في تحقيق التوحيد، ولا شرَّ إلا حذرهم منه، خصوصاً ما يقرب من الشرك لفظاً وإن لم يقصد به[١].

فكل هذا من باب حماية التوحيد، ومن باب التأدب مع الله جل وعلا، فيجب أن يُحمى اسم الله جل وعلا، وألا يكون فيه مشاركة للمخلوقين، بأن يقال: هذا رب فلان وفلان، وهذا بالنسبة للعقلاء المكلفين.

أما غير العقلاء من بهائم وجمادات وغيرها، فليس موجهاً إليها، ولهذا يجوز أن يقال: هذا رب الدابة! ورب الناقة! ورب الشجر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) فتح المجيد (ص٤٠٥).

الخطبة الثانية:

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليـه، وعـلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: إن تحقيق التوحيد: تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخـلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكـبر المنـاقض لأصـل التوحيـد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التـي تُكـدِّر التوحيـد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره.

فمن حقق توحيده بأن امـتلأ قلبـه مـن الإيـمان والتوحيـد والإخـلاص، وصـدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله، ولم يجـرح ذلـك بـالإصرار عـلى شيء من المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب؛ ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها. ومن أخصِّ ما يدلُّ على تحقيقه: كمال القنوت لله، وقوة التوكل على الله؛ بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبـه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبـه وبغضـه وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله، متبعاً فيها رسول الله.

والناس في هذا المقام العظيم درجات: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام:١٣٢].

وليس تحقيق التوحيد بالتمنِّي ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلى العاطلة،

وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان، وحقائق الإحسان، وصدقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة[١].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنتأدب مع الله تعالى، ولنحفظ ألسنتنا من أن نشرك مع الله في ألفاظنا ونحن نعلم، ونستغفره لما لا نعلم؛ ولنخلص في أقوالنا وأعمالنا، ونحقق توحيدنا لله رب العالمين.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) القول السديد: لابن سعدي (ص١٧-١٨).

كتاب التوحيد (٥٥) باب لا يرد من سأل بالله

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، فلا مؤخر لما قدمه، ولا مقدم لما أخره، تفرد بالملك والبقاء، والعزة والكبرياء، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

عباد الله: إن الله سبحانه وتعالى هو العظيم، عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه، عظيم في صفاته، عظيم في سمعه وبصره، عظيم في قدرته وقوته، فهو العظيم في كل شيء.

فعلى المسلم أن يعظِّم الله حق تعظيمه، ويقدره حق قدره؛ ومن تعظيم الله سبحانه وتعالى: إجابة من سأل بالله.

والمراد بالسؤال بالله هو: أن يطلب شخص من أحدٍ شيئاً، متوسلاً بالله تعالى.

وإجابته هي: إعطاؤه ما سأل.

كأن يقول: أسألك بالله أن تساعدني في كذا. أو أنشدك بالله أن تخبرني عن كذا. أو بالله عليك أعطني كذا.

والسـؤال بالله جائز؛ كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُـوا اللَّهَ الَّـذِي تَسَـاءَلُونَ بِـهِ وَالْأَرْحَـامَ ﴾ [النساء: ١]، ومعنى ﴿ تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾: يسأل بعضكم بعضاً بالله(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اسْـتَعَاذَ بِـاللَّهِ فَأَعِيـذُوهُ، وَمَـنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِـدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(٢).

ولكن الأولى: أن لا يُسأل بالله إلا الأمور المهمة، أو عند الحاجـة، تعظـيماً لله تعـالى، وإجلالاً له، ولئلا يُبتذل السؤالُ به، أو يرده المسؤول به.

ويكون السؤال بالله مكروهاً: إذا كان فيه ضرر أو مشقة على المسؤول بالله تعالى، لأنه يترتب عليه واحد من أمرين:

الأول: عدم الإجابة، وفي هذا إساءة أدب مع الله تعالى، والذي تسـبب في ذلـك هـو السائل.

الثاني: الإجابة مع حصول الضرر أو المشقة، وفي هذا إضرار بأخيـك المسـلم، ومـن حقه عليك: أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

وتستحب -عبادالله- إجابة من سأل بالله تعالى.

وإذا كان الشيء المسؤول بالله تعالى واجباً، فيتأكد وجوبـه إذا سُـئل بـالله تعـالى، وإذا كان مستحباً فيتأكد استحبابه. كما في حديث ابن عمر: «وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ».

(١) فتح القدير.
(٢) رواه أبـو داود (١٦٧٢) -وهـذا لفظـه-، وصـححه الألبـاني، وأحمـد (٥٣٦٥)، والنسـائي (٢٥٦٧)، والأدب المفـرد (٢١٦).

وتتلخص الحكمة -عباد الله- من تأكيد إجابة من سأل بالله بأمور:

منها: تعظيم الله تعالى، فليس السؤال بالله كالسؤال بغيره -كالسؤال بالرحم-، ولا كالسؤال بغير شيء -كالسؤال المجرَّد-؛ فهو جلَّ وعلا أعظم من كل عظيم، وإذا كان من سأل بعظيم في الدنيا كقرابة ونحوه يُجاب، فإجابة من سأل بالله أولى بالإجابة، ولهذا أمر الله تعالى عباده أن يجيبوا من سأل به، فكانت إجابته من كمال التوحيد.

ومن الحِكَم: ما في ردِّ السائل بالله تعالى من إساءة الأدب مع الله سبحانه وتعالى، وهذا نقص في التوحيد.

ومنها: ما فيه من إجابة حاجة أخيه المسلم؛ لأنه لا يسأل بالله تعالى إلا في أمر عظيم.

ويشترط -عباد الله- لإجابة من سأل بالله شروط:

١- أن يُعلم صدق السائل.

٢- وأن يكون السائل متوجهاً في سؤاله لمسئول معين من الناس.

٣- وأن يكون توجهه إليه في أمر معين.

٤- وقدرة المسئول على الإجابة فيما سُئل فيه.

٥- وأن لا يتضمن السؤال إثماً.

٦- وأن لا يكون فيه ضرر على المسؤول.

٧- وأن لا يتضمن السؤال إسقاط حق واجب عليه.

فإذا وجدت هذه الشروط مجتمعةً كان الإعطاء واجباً.

وقوله ﷺ: «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»: أي من دعاكم إلى طعام سواء كان وليمة عرس أو غيرها فأجيبوا دعوته، ما لم يكن عليكم في ذلك ضرر ديني أو دنيوي.

وقوله: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ»: أي من أحسن إليكم بمعروف ،

فكافئوه على إحسانه بمثله أو خير منه. «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[1].

وهذه الأوامر وإجابتها كلها فيها تعظيم وإجلال لله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح:١٣-١٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: ومما فيه تعظيم الله تعالى: إعاذة من استعاذ بالله، «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ».

وكما قال الله على لسان مريم: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨].

والاستعاذة بالله هي: اللجوء إلى الله تعالى، وطلب حمايته.

والمراد هنا: من استعاذ بالله تعالى منكم.

وإعاذته هي: إجابته فيما استعاذ بالله منه.

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص٤٢١).

كأن يقول: أعوذ بالله منك أن تأخذ حقي. أو أعوذ بالله منك أن تؤذيني. أو أعوذ بالله من شرك. أو أعوذ بالله من أذى أولادك.

وتجب -عباد الله- إعاذة من استعاذ بالله تعالى، ويحرم إيذاؤه، وإذا كان مستعيذاً بالله من فعل محرم؛ كان هذا المستعاذ منه أشدَّ تحريماً. كما في حديث ابن عمر: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ».

ويستثنى من ذلك: إذا استعاذ بالله تعالى فراراً من حقٍّ واجبٍ عليه، أو هرباً من باطل فعله، فلا تجوز إعاذته؛ لما يترتب على ذلك من: إبطال الحقوق وتضييعها على أهلها، ولأنه مبطِلٌ فلا يُعان على باطله، بل يؤاخذ بجريمته.

والحكمة من إيجاب إعاذته -عباد الله-:

ما في ذلك من تعظيم الله تعالى، فهو جلَّ وعلا أعظم من كل عظيم، ومن استعاذ بعظيم في الدنيا أعاذه؛ فأمر الله تعالى عباده أن يعيذوا من استعاذ به؛ وفي إعاذته كمالٌ للتوحيد.

ومن الحِكَم: ما في ترك إعاذته من التعدِّي على من استجار بالله سبحانه وتعالى، وهذا من نقص التوحيد.

ومنها: ما في إعاذته من إجابة حاجة أخيه المسلم، وإغاثة لهفته؛ لأنه لا يستعيذ بالله تعالى إلا في أمر عظيم.

وقد أعاذ النبي ﷺ من استعاذ بالله، وطبَّق ذلك عملياً: تزوج النبي ﷺ امرأة يقال لها: عمرة بنت الجَوْنِ، فلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَدَنَا مِنْهَا، قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الحَقِي بِأَهْلِكِ»[1]، وفي رواية أنه قال لها: «قَدْ عُذْتِ

(١) البخاري (٥٢٥٤).

بِمَعَاذٍ»[١]، وفي رواية أنه قال لها ذلك: «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[٢]، وفي رواية أنه قال لها: «أَمِنَ عَائِذُ اللهِ»[٣].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظم الله ﷻ حق التعظيم، بإجابة من سأل بالله، وإعاذة من استعاذ به، وتعظيم حق المؤمن بإجابة دعوته، ومكافأته على إحسانه بمثله أو أحسن، أو الدعاء له.

اللهم اجعل قلوبنا معظمة لك، واجعلنا ذاكرين شاكرين لك، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




---

(١) البخاري (٥٢٥٥).
(٢) المستدرك (٤/٣٩).
(٣) الطبقات الكبرى (٨/١٤٥).

كتاب التوحيد (٥٦)
باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

الخطبة الأولى:

الحمد لله معطي الجزيلَ لمن أطاعه ورجاه، شديد العقاب لمن أعرض عن ذكره وعصاه، اجتبى من شاء بفضله فقربه وأدناه، وأبعد من شاء بعدله فولاه ما تولاه، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: ربُّنا جلَّ وعلا (العظيم): ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه ﷻ.

قال ابن القيم:

وهو العظيمُ بكلِّ معنىً يوجبُ ... التـعظيمَ لا يحصيه من إنسانِ

فهو عظيمٌ في كلِّ شيء، عظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته، عظيم في رحمته، عظيم في قدرته، عظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبته وعطائه، عظيم في لطفه وخبرته، عظيم في برِّه وإحسانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق، فلا أحد يساويه، ولا عظيم يدانيه[(١)].

(١) ولله الأسماء الحسنى: الجليل (ص٢٣٤)، أسماء الله الحسنى: الأشقر.

ومن معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحقُّ أحدٌ من الخلق أن يُعظَّم كما يُعظَّم الله؛ فيستحق جلَّ جلاله من عباده أن يُعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم ، وجوارحهم.

ومن التعظيم بالألسنة -عباد الله-: سؤال الله جل وعلا ودعاؤه؛ والسؤال قد يكون في أمور الدنيا، وقد يكون في أمور الدين.

فإذا كان في أمور الدنيا فلا يُسأل بوجه الله تعالى؛ بل لا يُسأل بوجهه إلا المطالب العالية كالجنة، كما روي: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ»[1]. لأن الجنة هي الغاية التي يسعى لها المؤمنون، وهي التي تكون بها السعادة الأبدية.

والمقصود في نهيه ﷺ أن يُسأل بوجه الله شيءٌ سوى الجنة، والسؤال إذا أطلق في خطاب الشرع المراد به: ما تعلق بالدنيا؛ ويُصدِّق هذا المعنى ما رواه الطبراني بإسناد حسن عن أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ الله»[2]؛ أي سأل شيئاً من الدنيا -بوجه الله-، لا مطلق السؤال[3].

فمطلق السؤال جائز: كمن يقول: أسألك بالله، أو أسألك بالذي خلق السموات والأرض، أو أسألك بالذي أنعم عليك، أو أسألك برب العالمين أو ما أشبه ذلك، عام في أي صفة من صفات الله، أو أي لفظ يدل على ذلك، كما في حديث الثلاثة من بني إسرائيل، فإن الـمَلَك جاء إلى الأول وقال: أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال... فكل هذا يكون سائلاً بالله.

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧١) وإسناده ضعيف.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٩٤٣)- (٣٧٧/٢٢)، حسنه العراقي في فيض القدير- الدعاء للطبراني (٢١١٢).

(٣) شرح كتاب التوحيد.

أما إذا كان السؤال بوجه الله: فلا يجوز أن يُسأل بوجهه إلا الجنة. لأن هذا منافٍ لتعظيم الله؛ وذلك منافٍ للتوحيد.

أما أن يسأل بوجه الله جلَّ وعلا شيئاً من أمور الدنيا فهذا لا يجوز؛ لأن في ذلك إهانة بالعظيم، حيث سأل به الشيء الحقير، والدنيا كلها حقيرة ليست شيئاً، والسائل بهذا الشيء ما عرف الله حق المعرفة، ولا قدره حق قدره، بل تنقصه(١).

وكما يجوز سؤال الله بوجهه الجنة، فكذلك يجوز السؤال بوجهه ما يُقرِّب إلى الجنة، أو الاستعاذة مما يباعد منها.

كما ورد في دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»(٢).

ومثل ذلك: كونه يستعيذ بوجه الله من غضبه، ويستعيذ بوجه الله من أن يقع في المعاصي التي تبعده عن ربه جلَّ وعلا.

وكذلك قوله في الدعاء: «أَعُوذُ بِوَجْهِ الله الْعَظِيمِ، الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَبِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ، وَبِأَسْمَاءِ الله الْحُسْنَى كُلِّهَا، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ»(٣).

وكذلك ما ورد في كتب السير من دعاء النبي ﷺ لـمَّا ردَّه أهل الطائف فرجع مهموماً، كان من دعائه: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ

---

(١) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

(٢) أحمد (٢٥٠١٩) إسناده صحيح- ابن ماجه (٣٨٤٦)، وصححه الألباني.

(٣) موطأ مالك (ص٧٢٤).

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[(١)].

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ-أَوْ هَذَا أَيْسَرُ-»[(٢)]. فهذا كله من الوسائل التي تقرب إلى الجنة[(٣)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

---

(١) سيرة ابن هشام، ت: السقا (١/ ٤٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٨).

(٣) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.

عباد الله: قوله: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهَّ، إِلَّا الجَنَّةُ»؛ هذا من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى؛ فإنه صفة كمال، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

والنَّبِيُّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللهَّ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[1].

وطريقة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيُثبتون له ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ، وينفون عنه مشابهة المخلوق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

ورؤية وجه الله تعالى -عباد الله- يوم القيامة من النعيم؛ فعَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾» [يونس:٢٦][2].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله جل وعلا.

وثبت عن الرسول ﷺ أنه قال في بعض أدعيته: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ

(١) رواه أبو داود (٤٦٦) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٨١).

الْكَرِيمِ»[1]. ومعنى ذلك أن أعظم لذة: النظر إلى وجهه جلَّ وعلا.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظِّم الله جلَّ وعلا حق التعظيم، وذلك بدعائه وسؤاله، وأن نُنْزِلَ حوائجنا بالعظيم- مجيب الدعوات مغيث اللهفات-؛ وأن لا يكون دعاؤه بوجهه إلا الجنة أو ما يُقرِّب إليها.

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





(١) النسائي (١٣٠٥) صحيح، الدعاء للطبراني (٦٢٤) إسناده حسن -وهذا لفظه-.

كتاب التوحيد (٥٧) باب ما جاء في اللو

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾[الروم:٢٥]، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه،﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦٢]، أحمده على القضاء حلوه ومره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقامة لذكره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: القضاء والقدر، ركن من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها؛ فالله جلَّ وعلا له الملك كله، وله الحكم كله، وإليه يُرجع الأمر كله، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]؛ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

فإذا وقعت مصيبة أو بلية للإنسان فليعلم أنها مقدرة من عند الله تعالى قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ ولذلك يجب على المسلم عند المصائب التسليم لأمر الله تعالى، وعدم التضجر والتسخط بذكر بعض الألفاظ المنافية لأصل التوحيد أو لكماله.

فالرضا بقضاء الله وقدره واجب، والاعتراض عليه والتسخط منه حرام.

ومن العبارات الدارجة -عبادالله- في الاستعمال عند حصول مصيبة لفظ (لو)، لو حصل كذا لما كان كذا. ومثلها لفظ (ليت) وما شابهها.

واستعمال (لو) في الكلام على نوعين:

النوع الأول: استعمال محرم:

ومنها: استعمالها في أمر ماضٍ على وجه التَّسَخُّطِ من القضاء والقدر؛ كاستعمالها عند حلول المصائب.

كمن يقول: لو لم يسافر فلان ما مات، ولو لم يذهب مع فلان لم يصبه حادث السيارة.

والدليل على تحريمه: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(١)].

ومن استعمالاتها المحرمة: استعمالها في أمر مستقبل تمنياً للشرِّ. كمن يقول: لو كان لي سلطة لضربتُ فلاناً، واستوليت على ماله.

كما في حديث أَبِي كَبْشَةَ الْأَنَّمَارِيِّ، أنه سَمِعَ النبي ﷺ يَقُولُ: «وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ» قَالَ: «وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: هِيَ نِيَّتُهُ، فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ»[١].

والنوع الثاني من استعمال (لو) في الكلام: استعمال جائز:

ومنها: استعمالها في أمرٍ ماضٍ لا على وجه التسخط من القضاء والقدر؛ وإنما يحمل عليه الرغبة في الخير، أو الندم على فوات الطاعة.

كمن يتحسر على فوات خير أو عمل صالح بالأمس، فيقول:لو فعلت كذا وكذا بالأمس لاستفدتُ.

كما في حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال في حجه: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً..»[٢].

ومن استعمالاتها الجائزة: استعمالها في أمر مستقبل تمنياً للخير، كمن يقول: لو رزقني الله مالاً لأنفقت منه في وجوه الخير.

كما في حديث أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، أنه سَمِعَ النبي ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقَّهُ»، قَالَ:«فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ» قَالَ: «وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا؟» قَالَ: « فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ» قَالَ: «فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»[٣].

ومن صفات المنافقين-عباد الله-: استعمال (لو) في الاعتراض على القدر، والتحسر على ما يصيبهم مما قدره الله تعالى، كما فعلوا ذلك عندما وقعت الهزيمة في (غزوة أحد)،

---

(١) أحمد (١٨٠٣١) حديث حسن، وهذا لفظه، والترمذي (٢٤٧٨)، ط: الرسالة العالمية «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) رواه مسلم (١٢١٨).

(٣) أحمد (١٨٠٣١) حديث حسن، وهذا لفظه، الترمذي (٢٤٧٨)، ط: الرسالة العالمية «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

فتحسّـرَوا على من قُتل في المعركة، وزعمـوا أنهـم لـو لم يخرجـوا لمـا قُتلـوا، قـال تعـالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾[آل عمران:١٥٤]؛ فردَّ الله علـيهم وبـيَّن فســاد قولهم، وأن ما قــدره الله تعــالى كائن لا محــالة، سواء خرج الإنسان أم قعــد في بيتــه: ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُـوتِكُمْ لَـبَرَزَ الَّـذِينَ كُتِـبَ عَلَـيْهِمُ الْقَتْـلُ إِلَى مَضَـاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وكذلك ينكر الله تعالى على المنافقين الذين يعارضون القـدر بقـولهم لمـن خـرج مـع رسول الله ﷺ يوم أحد: لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج مـا قتلـوا مـع من قُتل، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَـوْ أَطَاعُونَـا مَـا قُتِلُـوا ﴾ [آل عمران: ١٦٨]؛ ويرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَـوْتَ إِنْ كُنْـتُمْ صَـادِقِينَ ﴾[آل عمران:١٦٨]، يعني إن كانــوا يقدرون على دفع القتل عمن كُتب عليه فليدفعوا الموت عـن أنفسهم، فهي أولى بالدفــع عنها، فإذا لم يقدروا عـلى الدفـــع عنهـا فغيرُهـا مـن بـاب أولى[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِـكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِـيرٌ. لِكَـيْلَا تَأْسَـوْا عَـلَى مَـا فَـاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[الحديد:٢٢-٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص:٣٧٨) بتصرف.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليـه، وعـلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْـبِرُوا وَصَـابِرُوا وَرَابِطُـوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

عباد الله: نهى الشرع عن استعمال (لو) لحِكَم منها:

ما تضمنه استعمالها من التسخط على قضاء الله وقدره وعدم الصبر عليه، والرضا به، وهو مما ينقص كمال التوحيد الواجب، لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، والاعـتراض على قضائه وقدره.

ومن الحِكَم: أن استعمال (لو) يفتح عمل الشيطان، ففي قولها انسياقٌ وراء خطوات الشيطان الذي يدعو قائلها إلى الجزع والحزن والتسخط من القضاء والقدر.

ومنها: أنه لا نفع في استعمالها على هذا الوجه، بل فيه مضرة.

وإذا علم الإنسان -عباد الله- النهي عن لفظ (لو) فيما مضى من الأقدار، فما هو البديل الشرعي لهذه الكلمة، حتى لا نقع في المحظور الشـرعي.

فالسنة للمسلم -عباد الله- عند حلول المصائب أن يقول:

«قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[1]، وفي هذا غاية التسليم والرضا بما قدر الله وقضـــى؛ وفيـه إغلاق للباب على وسوسة الشيطان الرجيم.

---

(١) مسلم (٢٦٦٤).

وكذلك يقول: «الحمدلله».

فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»(١).

وكذلك يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ويسمى الاسترجاع.

ويقول: «اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا».

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦]، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»(٢).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنسلم بقضاء الله وقدره، ولنحذر من التلفظ بـ(لو) أو غيرها على وجه التسخط عند نزول المصائب. فما قدره الله كائن لا محالة ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





(١) أحمد (١٩٧٢٥)، والترمذي (١٠٤٢)، ط: الرسالة- وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٩١٨).

كتاب التوحيد (٥٨) باب النهي عن سب الريح

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، بيده ملكوت كل شيء، لا شريك له في ملكه ولا معين؛ المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي، والإعزاز والإذلال، والضر والنفع، والإحياء والإماتة، والهداية والإضلال، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس وأتقاهم لله، وأخوفهم من عذابه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا شريعته، وتمسكوا بأحكامه، واعتبروا بآياته، وتخوفوا من عقابه، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

عباد الله: إن علاقة المسلم بما حوله من ظواهر الطبيعة علاقة شعورية تأملية، تثير التفكير، وتدعو للنظر في خلق السماوات والأرض، واستجلاء معالم القدرة الإلهية في صنعة هذا الكون البديع المتناسق، والريح من مظاهر الطبيعة التي تدعو للتأمل والتدبر والتذكر[١].

(١) كنوز رياض الصالحين (٢٠/٣٢٢).

يقول الله تبارك تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾[الذاريات:١]؛ قال ابن القيم رحمه الله: أقسم الله بالذاريات وهي الرياح التي تذرو المطر وتذرو التراب وتذرو النبات إذا تهشم؛ والرياح من آيات الله الدالة على ربوبيته سبحانه ووحدانيته وعظيم قدرته؛ ففي الرياح من العبر: هبوبها وسكونها، ولينها وشدتها، واختلاف طبائعها وصفاتها ومهابها وتصريفها، وتنوع منافعها، وشدة الحاجة إليها. فللمطر خمسة رياح: ريح ينشر سحابه، وريح يؤلف بينه، وريح تلقحه، وريح تسوقه حيث يريد الله، وريح تذرو أمامه وتفرقه.

وللنبات ريح، وللسفن ريح، وللرحمة ريح، وللعذاب ريح، إلى غير ذلك من أنواع الرياح.

وذلك يقضي بوجود خالق مصرف لها مدبر لها، يصرفها كيف يشاء، ويجعلها رخاء تارة، وعاصفة تارة، ورحمة تارة، وعذاباً تارة، فتارة يحيي بها الزرع والثمار، وتارة يغطيها بها، وتارة ينجي بها السفن، وتارة يهلكها بها، وتارة ترطب الأبدان، وتارة تذيبها، وتارة عقيماً، وتارة لاقحة، وتارة جنوباً، وتارة دبوراً، وتارة صباً، وتارة شمالاً، وتارة حارة، وتارة باردة، وهي مع غاية قوتها ألطف شيء وأقبل المخلوقات لكل كيفية، سريعة التأثر والتأثير، لطيفة المسار بين السماء والأرض. إذا قطع عن الحيوان الذي على وجه الأرض هلك، كبحر الماء الذي إذا فارقه حيوان الماء هلك، يحبسها الله سبحانه إذا شاء، ويرسلها إذا شاء. تحمل الأصوات على الآذان، والرائحة إلى الأنف، والسحاب إلى الأرض الجرز.

وهي من روح الله تأتي بالرحمة، ومن عقوبته تأتي بالعذاب؛ والمقصود أن الرياح من أعظم آيات الله الدالة على عظمته وربوبيته وقدرته.

وسل الرياح من أنشأها بقدرته، وصرفها بحكمته، وسخرها بمشيئته، وأرسلها

بشراً بين يدي رحمته؟ جعلها سبباً لتمام نعمته، وسلطاناً على من شاء بعقوبته، ومن جعلها رخاءً وذارية، ولاقحة، ومثيرة، ومؤلفة، ومغذية لأبدان الحيوان، والشجر، والنبات، وجعلها قاصفاً، وعاصفاً، ومهلكة وعاتية، إلى غير ذلك من صفاتها.

فهل ذلك من نفسها وذاتها أم تدبير مدبر شهدت الموجودات بربوبيته، وأقرت المصنوعات بوحدانيته، بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين؟

وسل الجاريات يسراً من السفن: من أمسكها على وجه الماء، وسخر لها البحر؟ ومن أرسل لها الرياح التي تسوقها على الماء سوق السحاب على متون الرياح؟ ومن حفظها في مجراها ومرساها من طغيان الماء وطغيان الريح؟ فمن الذي جعل الريح لها بقدر لو زاد عليها لأغرقها ولو نقص عنها لعاقها؟ ومن الذي أجرى لها ريحاً واحدة تسير بها، ولم يسلط على تلك الريح ما يصادمها ويقاومها، فتموج في البحر يميناً وشمالاً. تتلاعب بها الريح؟ ومن الذي علم الخلق الضعيف صنعة هذا البيت العظيم، الذي يمشي على الماء، فيقطع المسافات البعيدة، ويعود إلى بلده يشق الماء ويمخره، مقبلاً ومدبراً بريح واحدة، تجري في موج كالجبال: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ. أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٢-٣٤]، ومن الذي حمل في هذا البيت نبيه -نوح- وأولياءه خاصة، وأغرق جميع أهل الأرض سواهم؟[(١)].

إنه الله جل جلاله، الواحد الأحد الذي -يستحق أن يعبد وحده- لا شريك له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وملكوته وجبروته، وعظمته وكبريائه وجلاله، الذي اتصف

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٣/٢٧-٢٩).

بصفات الكمال سبحانه وبحمده.

فالرياح من آيات الله ﷻ: من آيات الله في تصريفها وفي إرسالها وفي كيفيتها، إذ لا يقدر أحد على أن يصرف هذه الرياح إلا خالقها عزوجل، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤][١].

فتصريف الرياح من آيات الله ﷻ، فأحياناً تكون شديدة تقلع الأشجار، وتهدم البيوت وتدفن الزروع، ويحصل معها فيضانات عظيمة؛ وأحياناً تكون هادئة، وأحياناً تكون باردة، وأحياناً حارة، وأحياناً عالية، وأحياناً نازلة، كل هذا بقضاء الله وقدره؛ ولو أن الخلق اجتمعوا كلهم على أن يصرفوا الريح عن جهتها التي جعلها الله عليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولو اجتمعت جميع المكائن العالمية النفاثة لتُوجِد هذه الريح الشديدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولكن الله عزوجل بقدرته يصرفها كيف يشاء وعلى ما يريد، فهل يحق لمسلم أن يسب هذه الريح؟[٢].

والريح -عباد الله- جند من جنود الله؛ عذب بها قوم عاد ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:٤١-٤٢]؛ وسخرها الله لسليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦/٤٧٠)، كنوز رياض الصالحين، لحمد العمار.
(٢) القول المفيد، لابن عثيمين (٣/١٣٩-١٤٠).

بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨١]؛ ونصر الله بهذه الريح نبينا محمداً ﷺ في غزوة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٩].

والريح خلقها الله سبحانه وتعالى وهو الذي يدبرها ويصرفها كيف يشاء، وسب الريح من المحرمات المنقصة للتوحيد؛ وسبها: هو شتمها وعيبها، أو لعنها والتسخط منها. كمن يقول: لعن الله هذه الريح؛ أو هذه ريح خبيثة.

فقد نهى الشرع عن سب الريح لما فيه من المفاسد، منها: أن السب في حقيقة الأمر يقع على من أرسلها وسخرها، وهو الله ﷻ، والريح ليس لها من الأمر شيء؛ ومنها: أنه سب لمن لا يستحق السب، فإن الريح خلق مسخر منقاد لأمر الله؛ ومنها: ما تضمنه من الاعتراض على قضاء الله وقدره؛ ومنها: ما تضمنه من الجزع وترك الصبر الواجب عند حلول المصائب.

فالسنة -عباد الله- أن يقال عند هبوب الريح ما ورد من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»(١).

ولنتأمل -عباد الله- تكرار كلمة (خير) ثلاث مرات في صيغة الدعاء الأولى، وتكرار كلمة (شر) بالقدر نفسه ثلاث مرات، في صيغة الدعاء الثانية، وفي تقديم الدعاء بخير الريح، على شرها: إيحاء بأن جانب الخير في الريح أقوى وأشد، وتوزيع الجمل بين هذين

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٢)، وقال: حديث حسن صحيح، ط: الرسالة العالمية.

القسمين الأخيرين في إطار الدعاء، يفصح عن التنسيق والاتزان، والاعتدال والوسطية، وهي صورة المؤمن في استقباله للأحداث؛ إن رأى خيراً شكر، وإن رأى غير ذلك صبر[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[النمل:٦٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: واعلموا أن من سب الريح معتقداً أنها الفاعلة بنفسها، أو أنها فاعلة مع الله تعالى، فهذا شرك أكبر؛ ومن سب الريح مع اعتقاده أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، فهذا محرم؛ لأنه في حقيقته سبٌّ لله تعالى.

أما وصف الريح بأوصاف مختلفة غير متضمنة للسب، بل مجرد الوصف والإخبار

---

(١) كنوز رياض الصالحين (٢٠/٣٢٣).

لا الذم والعيب، فهذا ليس من سب الريح.كمن يقول: هذه ريح شديدة؛ وهذه عاصفة قوية؛ وما أشد هذه الريح؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر:١٩]، وقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾ [فصلت:١٦].

وإذا رأى الإنسان الريح فلا يتعلق بها بنزول مطر أو غيره. قال ابن عثيمين: واعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتعلق بالريح في حصول المطر والغيم والصحو وما أشبه ذلك، لأن هذا من جنس الاستسقاء بالأنواء الذي نهى عنه النبي ﷺ، وكثير من الناس يعلق رجاءه بالريح الجنوبي يقول: إذا هبت الريح الجنوبي حصل الغيث، وتجد قلبه متعلقاً بها، وهذا لا يجوز، لأنها قد تهب ريح الجنوب كثيراً ولا يأتي أمطار ولا غيوم، وقد يكون بالعكس تأتي الأمطار والغيوم من الريح الشمالي، فالأمر كله بيد الله عزوجل، فعليك أن تعلق قلبك بالله تبارك وتعالى ا.هـ[(١)].

واعلموا -عباد الله-، أن معرفة أحوال الطقس لا تدخل في التنجيم أو ادعاء علم الغيب، -كما يظن بعض العامة- وإنما تبنى على أمور حسية وتجارب، ونظر في سنن الله الكونية. وكذلك معرفة أوقات الكسوف والخسوف، أو توقع هبوب الرياح، أو نزول الأمطار.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "معرفة الطقس أو توقع هبوب رياح أو عواصف أو توقع نشوء سحاب أو نزول مطر في جهة مبني على معرفة سنن الله الكونية، فقد يحصل

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦/٤٧١).

ظن لا علم لمن كان لديه خبرة بهذه السنن عن طريق نظريات علمية أو تجارب عادية عامة فيتوقع ذلك ويخبر به عن ظن لا علم فيصيب تارة ويخطئ أخرى"[(١)].

فلا نوقن بنزول المطر أو مجيء الرياح، ولا نقطع بعدمه.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعلم أنه يجب على الإنسان أن لا يعترض على قضاء الله وقدره، وأن لا يسبه، وأن يكون مستسلماً لأمره الكوني، كما يجب أن يكون مستسلماً لأمره الشرعي؛ لأن هذه المخلوقات لا تملك أن تفعل شيئاً إلا بأمر الله سبحانه وتعالى؛ ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية:٥].

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد...




(١) موقع الإسلام سؤال وجواب، فتوى (٨٣٨٣٧).

كتاب التوحيد (٥٩) باب قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[الروم:٢٥]، لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

عباد الله: لما ابتلع الحوت يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، نادى وهو في جوف الحوت: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧]، وهذا لحسن ظن يونس بربه جلَّ وعلا، فاستجاب الله له، ونجاه مما هو فيه.

ولقد كان النبي ﷺ حريصاً على إرشاد أمته، وشدة رأفته بالمؤمنين في جميع أحواله، حتى وهو في مرض موته ينصح لأمته؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧).

فعلى العبد أن يحسن الظن بالله تعالى، وأن يظن بالله خيراً في جميع الأمور. فحسن الظن بالله تعالى واجب؛ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي»[(١)]، وفي رواية: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»[(٢)].

ولنحذر-عباد الله- من سوء الظن بالله تعالى وهو: أن يظن الإنسان بالله شراً في أمر من الأمور.

كمن يسيء الظن بالله، في أحكامه الشرعية بجميع الأوامر والنواهي، ويقول: إن الله تعالى أمر بأشياء ونهى عن أشياء عبثاً لغير مصلحة ولا لدفع مفسدة.

وكمن يقول: في أحكامه وأقداره الكونية كالصحة والمرض، والغنى والفقر: إن الله قدَّرها لغير حكمة ولا مصلحة.

أو يقول: إن الله يخلف وعده ولا ينصر أولياءه، ولا يجيب دعاءهم ولا يغيثهم، ولا يدخلهم الجنة-والعياذ بالله-.

فنقول لمن يسيء الظن بالله: إن الله لم يأمر بشيء إلا لما فيه من الحكمة والمصلحة، ولم ينه عن شيء إلا لما فيه من المضرة والمفسدة.

وأن الله تعالى صادق في وعده؛ وللمؤمنين النصر والتمكين إذا عملوا بأسبابه، وإن تأخر ذلك فبسبب تقصير المسلمين في عمل الأسباب الموصلة إليه.

وأن الله يجيب دعوتهم ويغيثهم، وأنه إذا لم يستجب لهم في العاجل فإنه يستجيب لهم

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أحمد (٩٠٧٦).

في الآجل، أو يعوضهم ثواباً في الآخرة، أو أنهم لم يعملوا بأسباب الإجابة. وكل هذا من حسن الظن بالله تعالى.

ولقد ذكر الله تعالى -عباد الله- سوء الظن به في أعمال الكافرين؛ فالواجب على المسلم الحذر من التشبه بهم:

فمن ذلك: في غزوة أحد ظن أهل الجاهلية؛ قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

ومن ذلك: ظن المنافقين؛ قال الله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]، وذلك أنهم ظنوا أن الله والمؤمنين سيغلبهم المشركون ويقتلونهم.

وسوء الظن بالله تعالى نوعان -عباد الله-:

أولها: محرم ينقص كمال التوحيد الواجب.

مَن رأى رجلاً صالحاً أصيب بمصيبة فقال: فلان لا يستحق هذا.

أو: مَن رأى غنياً فاجراً فقال: فلان لا يستحق هذه الأموال.

أو: مَن إذا أصيب بمصيبة قال في نفسه: أنا لا أستحقُّ كلَّ هذا.

كما قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾[آل عمران:١٥٤]، فجعل الله تعالى سوء الظن به من خصال الجاهلية، والتشبه بأهل الجاهلية في خصالهم المذمومة محرم.

والنوع الثاني -من أنواع سوء الظن بالله-: كفر ينافي التوحيد بالكلية.

مثل: ظن المنافقين والمشركين أن الله تعالى لا ينصر رسوله ﷺ، وأن هذا الدين سينتهي ولن تقوم له قائمة. قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ

لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[الفتح:٦].

قال ابن القيم ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] فُسِّر هذا الظنُّ بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحِلُّ، وفُسِّر بأن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته؛ ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يُتِمَّ أمر رسوله وأن يُظهره على الدين كله. وهذا هو ظنُّ السَّوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح؛ وإنما كان هذا ظنَّ السَّوء؛ لأنه ظنُّ غيرِ ما يليقُ به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظنَّ أنه يُديلُ الباطلَ على الحقِّ إدالةً مستقرّةً يضمحلُّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدَرُه لحكمةٍ بالغةٍ يستحقُّ عليها الحمد، بل زعم أنَّ ذلك لمشيئةٍ مجردة؛ فـ ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص:٢٧].

وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السَّوء فيما يختصُّ بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَمُ من ذلك إلا من عرف اللهَ وأسماءَه وصفاتِه ومُوجبَ حكمته وحمده.

فليعتن اللبيبُ الناصح لنفسه بهذا، وليتبْ إلى الله، ويَستغفرْه من ظنه بربه ظنَّ السَّوء.

ولو فتَّشت من فتشت؛ لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقلٌّ ومستكثر، وفتِّش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجياً[1]

---

(١) زاد المعاد (٣/٢٠٥-٢١١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: لقد حرَّم الله سبحانه وتعالى إساءة الظن به لما له من الثمرات السيئة، فمن ذلك: ما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى.

وأنه يدلُّ على جهلٍ بالله تعالى وأسمائه وصفاته وقدرته.

وأنه يدعو العبد إلى التشاؤم؛ لما يصيبه به من الإحباط.

وأنه سبب لبغض الله تعالى للعبد.

وأنه سبب للسخط على قضاء الله وقدره.

والأسباب التي تؤدي إلى سوء الظن بالله تعالى -عباد الله-، نذكرها لاجتنابها والبعد عنها، منها: الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

ومنها: ضعفُ الإيمان بترك الطاعات وفعل المحرمات.

ومن أسباب سوء الظن بالله: اتباعُ خطوات الشيطان ووساوسهِ وتخويفه، قال الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

ومنها: ضعف الصبر، وقلة اليقين.

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحسن الظن بالله تعالى، ولا سيما عند الاحتضار، وعند تكالب الأعداء؛ فإن حسن الظن فيه أدب مع الله تعالى، ويدعو العبد إلى التفاؤل، لما يرجوه من ربه، بسبب حسن ظنه به تعالى. وهو سبب لمحبة الله تعالى للعبد. وسبب للرِّضا بقضاء الله وقدره. وسببٌ لتعلق العبد بربه، ودوام ذكره، ودعائه بأسمائه الحسنى.

اللهم اجعلنا ممن يحسن الظن بك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيته، واستهداك فهديته، واستنصرك فنصرته، وتضرع إليك فأجبته.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٦٠)

باب ما جاء في منكري القدر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحكمة البالغة فيما قدَّر وقضى، لا إله غيره، ولا ربَّ سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: الإيمان له ستة أركان، ومن هذه الأركان: الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو الركن السادس من أركان الإيمان.

وهذا الركن له ارتباط بالإيمان بالله؛ فالقدرة قدرة الله، والمؤمن به مؤمن بقدرة الله، والمكذب به مكذب بقدرة الله ﷻ [(١)].

والقدر –عباد الله–: هو علم الله تعالى بالأشياء قبل حدوثها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ، ومشيئته، وخلقُهُ لها.

والإيمان بالقدر واجب، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، لا يصح إيمان أحد دون أن يؤمن به. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ

---

(١) الإيمان بالقضاء والقدر، لمحمد الحمد (ص٧).

أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾[الأحزاب:٣٨].

وحقيقة الإيمان بالقدر: أن نعتقد أن الله سبحانه عالم ما العباد عاملون، قبل أن يوجدهم، وأنه كتب ذلك عنده، وأن أعمال العباد خيرها وشرها مخلوقةٌ لله، واقعة بمشيئته، وأن ضلالهم واهتداءهم، كل ذلك صادر عن مشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ وأنه لا يقع في هذا الكون شيءٌ بغير علمه ومشيئته[(١)].

وإنكار القدر -عباد الله- كفر؛ لما تضمنه من تكذيب الكتاب والسنة، وإنكار علم الله بالأشياء قبل حدوثها.

فقد سُئل ابن عمر رضي الله عنهما عن قوم يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، فقال للسائل: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».

ثُمَّ استدل بقول النبي ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[(٢)]. فهذا الأثر يدل على أن إنكار القدر كفر. وأن الأعمال الصالحة لا تقبل إلا من المؤمن[(٣)].

وقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣٥٧/١).

(٢) رواه مسلم (٨).

(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد: الفوزان (ص٣٩٢).

شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)]؛ وفي رواية: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ[(٢)].

فدلَّ هذا الأثر على وجوب الإيمان بالقدر؛ والوعيدُ الشديدُ المترتبُ على إنكار القدر؛ وإثباتُ القلمِ وكتابةُ المقادير الماضية والمستقبلةِ به إلى قيام الساعة[(٣)].

وعَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلْتَ النَّارَ» قَالَ: فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ[(٤)].

يخبر عبد الله بن فيروز الديلمي أنه حدَث في نفسه إشكالٌ في أمر القدر، فخشي أن يُفضي به ذلك إلى جحوده، فذهب يسأل أهل العلم من صحابة رسول الله؛ لحل هذا الإشكال، وهكذا ينبغي للمؤمن أن يسأل العلماء عما أُشكل عليه عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣] فأفتاه هؤلاء العلماء كلُّهم بأنه لا

---

(١) أبو داود (٤٧٠٠) وصححه الألباني.

(٢) أحمد (٢٢٧٠٥) حديث صحيح، وهذا إسناد حسن- قال الشيخ صالح العصيمي: ضعيف وما تقدم يغني عنه.

(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد: الفوزان (ص٣٩٤).

(٤) رواه أحمد (٢١٥٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩) وصححه الألباني.

بد من الإيمان بالقضاء والقدر. وأن من مات وهو لا يؤمن به كان من أهل النار[(١)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: الإيمان بالقدر لا يتم إلا بمعرفة أربعة أمور تسمى مراتب القدر، ولا يتم إيمان العبد إلا بتحقيق جميعها، لأن بعضها مرتبط ببعض، ومن أنكر واحدة منها اختلَّ إيمانه بالقدر.

المرتبة الأولى: العلم؛ ومعناها: الإيمان بأن الله بكل شيء عليم، وأنه قد علم بأعمال الخلق قبل خلقهم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

المرتبة الثانية: الكتابة؛ ومعناها: الإيمان بأن الله سبحانه كتب مقادير كلِّ شيء في اللوح المحفوظ. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢].

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد: الفوزان (ص٣٩٦).

المرتبة الثالثة: المشيئة؛ ومعناها: الإيمان بأن جميع ما يجري في هذا الكون واقعٌ بمشيئة الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[التكوير:٢٩].

المرتبة الرابعة: الخلق؛ ومعناها: الإيمان بأن الله تعالى خالقُ كلِّ شيء، ومن ذلك: أفعالُ العباد كلُّها خيرُها وشرُّها، فلا يقع شيءٌ في هذا الكون إلا وهو خالقه جلَّ وعلا. قال تعالى: ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات:٩٦].

وكتب الله مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. كما في حديث عَبْدِالله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[(١)].

ولتحقيق الإيمان بالقدر-عباد الله- أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمن؛ فمن ذلك: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

ومن الثمرات: راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

ومن الثمرات: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

ومن الثمرات: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٤٨).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنؤمن بالقضاء والقدر، "فأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل.. فالله سبحانه طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣]"[١].

اللهم اجعلنا ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) متن العقيدة الطحاوية.

كتاب التوحيد (٦١) باب ما جاء في المصورين

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الخالق البارئ المصور، له الكبرياء والعظمة، فمن نازعه واحداً منهما ألقاه في النار؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: الله تعالى هو الخالقُ البارئ المصوِّرُ؛ وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك[(١)].

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللهَّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الحشر:٢٤].

ومعنى المصوِّر، الذي صوَّر المخلوقات على أشكالها التي هي عليها، فأحسن صورتها، قال الله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن:٣].

والمراد بالتصوير -عباد الله-: إنشاءُ صورةٍ بنحتٍ أو رسمٍ أو نحو ذلك. ولا يدخل في ذلك التصوير الآلي، كالتصوير الفوتغرافي -عند جمع من أهل العلم-؛ لأنه مجرد

(١) تفسير ابن سعدي.

عكس للصورة القائمة وليس إنشاءً لها.

وأما حكم التصوير -عباد الله-: فالتصوير على قسمين:

أولها: تصوير ما ليس له روح؛ كالجبال والأشجار.

فهذا حكمه: جائز؛ لما ثبت أن رجلاً سأل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن التصوير، فقال: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ»[(١)]، وفي رواية: «كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ»[(٢)].

القسم الثاني: تصوير ما له روح؛ كالإنسان والحيوان.

مثل: صناعة التماثيل. ونحت ما له روح على الجدار أو الحجر. والرسم باليد لما فيه روح.

فهذا حكمه: محرم؛ وهو من كبائر الذنوب.

ويدل على ذلك: حديث أَبِي جُحَيْفَةَ، أن النَّبِيَّ ﷺ: «لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ»[(٣)].

وحديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ عز وجل: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[(٤)].

وللنهي عن التصوير حِكَمٌ -عباد الله-، منها:

ما فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى، بما فيه من المضاهاة والمشابهة لخلق الله، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا

---

(١) رواه مسلم (٢١١٠).

(٢) البخاري (٢٢٢٥).

(٣) رواه البخاري (٥٣٤٧).

(٤) رواه البخاري (٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١) وهذا لفظه.

ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[(١)].

ومن الحِكَم: أنه ذريعة للشرك بالله تعالى، فإن الشيطان يزين للناس عبادة الصور، ولهذا كان أول شرك وقع في بني آدم بسبب الصور، كما وقع من قوم نوح عليه السلام، حيث صوروا صور رجال صالحين، فلما قلَّ العلم، وسوس إليهم الشيطان أن يعبدوها، فعبدوها من دون الله.

ومنها: أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة؛ فعَنْ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»[(٢)].

ويجب -عباد الله- طمس الصور المحرمة حتى تزول ملامحها؛ كما في حديث أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[(٣)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: يؤخذ من حديث علي: «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا» أنه لا يجوز اقتناء الصور.

فإن اقتناء الصور على أقسام:

منها: أن يقتنيها لتعظيم المصوَّر؛ لكونه ذا سلطان أو جاه أو علم أو عبادة أو أبوة أو نحو ذلك؛ فهذا حرام بلا شك، ولا تدخل الملائكة بيتاً فيه هذه الصورة.

ومنها: اقتناء الصور للتمتع بالنظر إليها أو التلذذ بها؛ فهذا حرام أيضًا؛ لما فيه من الفتنة المؤدية إلى سفاسف الأخلاق.

---

(١) رواه البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١) وهذا لفظه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦) وهذا لفظه.

(٣) رواه مسلم (٩٦٩).

ومنها: أن يقتنيها للذكرى حناناً أو تلطفاً، كالذين يصورون صغار أولادهم لتذكرهم حال الكبر فهذا أيضًا حرام للحوق الوعيد به في قوله ﷺ: «إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة».

ومنها: أن يقتني الصور لا لرغبة فيها إطلاقاً، ولكنها تأتي تبعاً لغيرها؛ كالتي تكون في المجلات والصحف ولا يقصدها المقتني؛ فالظاهر أن هذا لا بأس به؛ لكن إن أمكن طمسها بلا حرج ولا مشقة؛ فهو أولى.

ومنها: أن يقتني الصور على وجه تكون فيه مهانة ملقاة في الزبل، أو مفترشة، أو موطوءة؛ فهذا لا بأس به عند جمهور العلماء، ولا يلحق بذلك، لباس ما فيه الصور بل هو محرم على الصغار والكبار، ولا يلحق بالمفروش ونحوه. وإنك لتأسف من بعض المصلين يأتي وعلى لباسه صورة ويصلي بها.

ومنها: أن يلجأ إلى اقتنائها إلجاء؛ كالصور التي تكون في بطاقة إثبات الشخصية والشهادات والدراهم فلا إثم فيه لعدم إمكان التحرز منه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر:٦٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٢١٤-٢١٦) بتصرف.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

عباد الله: ما دام أن تصوير ذوات الأرواح محرم؛ فقد ذكر العلماء ما لا يدخل في التصوير المحرم:

منها: تصوير أجزاء من ذوات الأرواح غير الوجه، كاليد والرجل ونحوهما سواء كان بالنحت أو الرسم أو غير ذلك.

ومنها: الصورة التي قُطع رأسها فلا يوجد أصلاً، أو طُمس فلم تظهر معالمه.

ومنها: الصورة التي لا مَعَالِمَ لها، وهي التي تكون سواداً كالظِّل.

وقد تساهل في هذا الزمن كثير من الناس في التصوير الفوتغرافي، -يعني في الكاميرات أو الجوالات ونحوها-، يصورون كل كبيرة وصغيرة، كل عظيمة ودنيئة مع أن فيها خلاف كبير بين العلماء؛ وزيادة على هذا فإن من أجازها يقول: أن الصور لها أحكام المقاصد فإذا كان لغرض محرم فهي حرام، وإن كان لغرض مباح فهذا لا بأس به والناس ابتلوا بها بلوى عظيمة وصارت منتشرة في كل شيء، ولكن يجب على الإنسان أن يعرف ويميز بين ما حرمه الله ورسوله، وبين ما لم يأت تحريمه[1].

(١) شرح رياض الصالحين: لابن عثيمين (١٧٩/٦).

وقد دلت الأدلة الشرعية -عباد الله- على عدة عقوبات للمصورين يوم القيامة، وهي:

أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة؛ فعن عَائِشَةَ ﵂، أن النبي ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»[1].

ومنها: أن الله تعالى يخلق يوم القيامة بعدد كل صورة صوَّرها نفساً يُعذَّب بها المصوِّر في جهنم. فعن عبدالله بن عباس ﵄: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ، بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا، نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»[2].

وأن المصور يكلف يوم القيامة أن ينفخ فيها صوَّره الروح، وليس بقادر على ذلك، ولكنه تعذيب له وتعجيز؛ فعن عبدالله بْن عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[3]، وفي رواية: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا»[4].

ومنها: أنه ملعون على لسان رسول الله ﷺ، كما في حديث أَبِي جُحَيْفَةَ، أن النَّبِيَّ ﷺ: «لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ»[5].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).
(٢) رواه مسلم (٢١١٠).
(٣) رواه مسلم (٢١١٠).
(٤) رواه البخاري (٢٢٢٥).
(٥) رواه البخاري (٥٣٤٧).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، فلا نصور إلا بما كان فيه مصلحة راجحة، ولا نصور كل شيء حقيراً كان أو عظيماً، حتى لا نضاهي خلق الله، وحتى لا ندخل في اللعنة أو العقوبة يوم القيامة.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




كتاب التوحيد (٦٢) باب ما جاء في كثرة الحلف

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والكمال والعظمة ؛وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: إن من صفات المسلم البارزة أن يعظم خالقه جل وعلا، فإذا عمل عملاً ذكر ربه جل وعلا، وإذا حلف فإنه يحلف بالله، مراعياً عدم الإكثار من الأيمان، خاصة إذا كان الأمر متعلقاً بشيء من أمور الدنيا؛ لأن ذلك ينافي الأدب مع الله سبحانه وتعالى[(١)].

ولذلك شُرعت اليمين للتأكيد، وهذا لا يكون إلا في الأمور المهمة والواجب.

فعلى المسلم أن يُعظِّمَ الحَلِفَ بالله تعالى.

ومن هذا التعظيم -عباد الله-:

حفظ اليمين؛ فعلى المسلم أن يحفظ يمينه، لقول الله تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة:٨٩].

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (١/١٢٩).

ومن حفظ اليمين: أن لا يحلف المسلم إلا بالله تعالى أو بأسمائه وصفاته، ويتجنب الحلف بغيره.

ومن حفظ اليمين: أن يتجنب الإكثار من الأيمان، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾[القلم:١٠]، والحلَّاف: كثير الحلف.

ومن حفظ اليمين: أن يتجنب الحِنث، أي نقض اليمين؛ إلا إذا كان الحنث خيراً له، ويكون الحنث خيراً له إذا حلف أن يترك فعل الخير، فينبغي له أن يحنث، ويكفِّر عن يمينه.

ومن حفظ اليمين: أن يكفِّر عن يمينه إذا حنِث فيها.

وقد ورد التحذير –عباد الله– من استعمال الحلف لأجل ترويج السلع؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ»[١]، وفي رواية: «مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ»[٢]، وفي رواية: «مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»[٣]، وفي رواية: «الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»[٤].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) رواه مسلم (١٦٠٦).

(٣) أبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٤٤٦١).

(٤) أحمد (٧٢٠٧).

(٥) رواه مسلم (١٦٠٧).

فقد حذَّرنا النبي ﷺ من التهاون بالحلف وكثرة استعماله؛ لترويج السلع وجلب الكسب، فإن الإنسان إذا حلف على سلعة أنه أُعطي فيها كذا وكذا أو أنه اشتراها بكذا وهو كاذب فقد يظنه المشتري صادقاً فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها تأثراً بيمين البائع، وهو إنما حلف طمَعاً في الزيادة؛ فيكون قد عصى الله، فيعاقب بمحق البركة[١].

فإن ما عند الله لا ينال بمعصيته، والدنيا وإن تزخرفت للعاصي مؤقتا فإن نهايتها إلى الزوال والعقاب في الآخرة[٢].

وقد ورد الوعيد الشديد -عباد الله- من كثرة استعمال الحلف في البيع والشراء؛ فعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهُ لَهُ بِضَاعَةً؛ فَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ»[٣].

فأخبر ﷺ عن ثلاثة أصنافٍ من العصاة يُعاقبون أشد العقوبة، لشناعة جرائمهم.

وذكر منهم:

من يجعل الحلف بالله بضاعةً له، يكثر من استعماله في البيع والشراء، فيمتَهِنُ اسم الله ويجعلُه وسيلةً لاكتساب المال[٤].

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص:٤٠٥).

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص:٤٥٢).

(٣) رواه الطبراني: الكبير (٦١١١)، والأوسط (٥٥٧٧)، والصغير (٨٢١) بإسناد صحيح.

(٤) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص:٤٠٧).

فينبغي -عباد الله- الحذر من كثرة استعمال اليمين في البيع والشراء وغيرها، وينبغي تعظيم وتوقير اليمين واحترام أسماء الله سبحانه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله: لقد ذمَّ النبي ﷺ الذين يتساهلون بالشهادة، وهي نوع من اليمين؛ فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، -قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا- ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(١).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

فخير هذه الأمة القرون الثلاثة وهم:الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين؛ لظهور الإسلام فيهم، وقُربهم من نور النبوة. ثم بعد هذه القرون المفضلة يحدث الشر في الأمة، وتكثر البدع، والتهاون بالشهادة، والاستخفاف بالأمانة والنذور، والتنعم في الدنيا، والغفلة عن الآخرة؛ وظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّه بن مسعود ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»[(٢)].

فيخبر إبراهيم النخَعي عن التابعين أنهم يلقِّنون صغارهم تعظيم الشهادة والعهد؛ لينشأوا على ذلك ولا يتساهلوا فيهما[(٣)].

ولم يكن من سنة النبي ﷺ وأصحابه الإكثار من اليمين، بل لا يكادون يحلفون إلا على الأمور العظيمة.

وفي الإكثار من الأيمان مساوئ منها: ضعف تعظيم اليمين بالله. وإذا أكْثَر من الأيمان تعرَّض للكذب فيها. وتعريض نفسه للحنث بسبب كثرة الأيمان. وتجرُّ إلى الكذب في اليمين في البيع وغيره، فإن الشخص إذا أكثر من الأيمان تعرض للكذب فيها. وأن الناس إذا علموا كثرة أيمانه لم يثقوا بيمينه. والتساهل في اليمين بسبب الإكثار منها.

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص:٤٠٩).
(٢) رواه البخاري (٣٦٥١).
(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص:٤١١).

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنحفظ أيماننا، ولا نكثر من الحَلِفِ، تعظيماً لله تعالى، ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوب ﴾ [الحج:٣٢].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير..





كتاب التوحيد (٦٣)

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

عباد الله: العهود والمواثيق التي بينك وبين الناس، أو بينك وبين الله تعالى ،يجب الوفاء بها تعظيماً لله تعالى. وهي ما يكون في ذمتك.

والذمة: العهد، وسمي بذلك؛ لأنه يلتزم به كما يلتزم صاحب الدين بدينه في ذمته. والله له عهد على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وللعباد عهد على الله، هو: أن لا يُعذِّب من لا يشركُ به شيئاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهَّ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهَّ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَّ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فهذا عهد الله عليهم، ثم قال: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[المائدة:١٢] وهذا عهدهم على الله.

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[البقرة:٤٠]، وللنبي ﷺ عهد على الأمة، وهو أن يتَّبعوه في شريعته ولا يبتدعوا فيها، وللأمة عليه عهد وهو أن يُبَلِّغهم ولا يكتمهم شيئاً.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه ما من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما هو خير.

والمراد بالعهد هنا: ما يكون بين المتعاقِدَيْنِ في العهود كما كان بين النبي ﷺ وأهل مكة في صلح الحديبية[١].

فالذمة العهد؛ والمراد بإعطاء أحدٍ ذمة الله وذمة نبيه ﷺ: مصالحته على عهد الله تعالى وعهد نبيه ﷺ.

فيحرم -عباد الله- مُصالحةُ أحدٍ على ذمة الله تعالى وذمة نبيه ﷺ.

كما في حديث بُرَيْدَةَ بن الحُصيب ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا. ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ. فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

---

(١) القول المفيد (٣/٢٣٨).

فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ. فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»[1].

فقول النبي ﷺ: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ».

فيه نهيٌ عن مصالحة أحدٍ على ذمة الله تعالى وذمة نبيه ﷺ:

وذلك من أجل: تعظيم ذمة الله تعالى وذمة نبيه ﷺ.

وأنه لو وقع نقض للعهد، فلا يكون ذلك منسوباً إلى ذمة الله تعالى وذمة نبيه ﷺ، بل يكون النقض والإخلاف منسوباً إلى من نقض عهده، وأخلف ميثاقه.

ويحرم -عباد الله- مصالحةُ أحدٍ على حكم الله تعالى.

كما ورد في الحديث: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا».

وهذا النهي: فيه تعظيمٌ لحكم الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم (١٧٣١).

وأن أمير الجيش لا يدري هل يصيب حكم الله تعالى أو يخطئ فلا يصيبه.

وأن الأحكام الاجتهادية عائدة إلى المجتهدين فيها، وقد يصيبون في اجتهادهم، وقد يخطئون، ولهذا لا يجوز نسبة الأحكام الاجتهادية إلى حكم الله تعالى، بل تُنسب إلى اجتهاد أصحابها.

أما الأحكام التي وضح دليلها فيجزم بأنها من حكم الله، مثل: وجوب الصلاة والصيام، وتحريم الخمر والزنا، وغيرها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[الإسراء:٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩].

عباد الله: العهود والمواثيق يجب الوفاء بها. ومن عاهد أحداً بالله تعالى كأن قال: عليَّ عهد الله، أو بيني وبينك الله، أو حلف له يميناً بالله تعالى وهي من العهود الموثَّقة، فإنه يجب عليه الوفاء بهذا العهد، سواء أكان هذا العهد بين شخص وآخر، أم قبيلة مع قبيلة، أم دولة مع دولة، أم بين المسلمين والكفار، أم غير هذا.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[النحل:٩١].

قال ابن كثير رحمه الله: هذا مِمَّا يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِهِ، وَهُوَ الْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ[1].

وفي الوفاء بالعهود والمواثيق –عباد الله-: تعظيمٌ لله تعالى، وللعهد به، وهو من كمال التوحيد الواجب.

وقد علل الله تعالى إيجابه للوفاء بالعهود بقوله: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١]؛ يعني: فلا يليق بكم نقض العهود وقد جعلتم الله تعالى عليكم كفيلاً بالوفاء حين حلفتم به، وتعاقدتم على اسمه، واطمأنَّ الناس منكم بذلك بسبب تعظيمكم لله والحَلِف به والتعاقدِ على اسمه جلَّ في علاه.

ولهذا قال تعالى مهدداً من نقض عهد الله وميثاقه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[آل عمران:٧٧].

فلنتق الله تعالى –عباد الله-، ولنستحضر أن الناس ينظرون إلينا، ولاسيما من كان على غير ديننا، لأنك تحمل سنةً، وتحمل توحيداً، وتحمل علماً شرعياً؛ فلا تعاملهم إلا بشيء فيه تعظيم الربِّ جل وعلا، وحتى تجعلَ أولئك يعظِّمون الله جل وعلا بتعظيمك له، ولا تستهن بشأن اليمين، ولا تخفر ذمة الله؛ لأن ذلك منقص لأثر ما تحمله من العلم والدين.

---

(١) تفسير ابن كثير.

فكم من الناس ممن يحملون سنة وعلماً ، أو يشار إليهم بالاستقامة، يسيئون بأفعالهم وأقوالهم لأجل عدم تعظيمهم لله جل وعلا وما يجب لسنة النبي ﷺ[١].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٥٨٨).

كتاب التوحيد (٦٤)

باب ما جاء في الإقسام على الله

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره ،لا رادَّ لقضائه، ولا مضادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه،﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

عباد الله: ربُّنا جل وعلا عظيم في ذاته، عظيم في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، عظيم في ملكوته، عظيم في تدبيره، عظيم في عطائه ومنعه، عظيم في شأنه كله.

فالله ﷻ موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة.

وأنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظَّم كما يعظم الله؛ فيستحق جلَّ جلاله من عباده أن يُعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته،

والذلّ له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته[١].

والجنة والنار -عباد الله- ملك لله جل وعلا يُدخل فيهما من يشاء، فلا يجوز للعبد التألّي على الله جل وعلا، والحكم بأن هذا من أهل النار، أو أن هذا من أهل الجنة، إلا من ورد فيه نص من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ[٢].

وهذا ما يسمى -عباد الله- بالإقسام على الله.

والإقسام على الله هو: الحَلِفُ على الله تعالى أن يفعل شيئاً أو ألا يفعله.

والإقسام على الله: (١) إما أن يكون الباعث على القسم حسنُ الظنِّ بالله، والثقةُ بعطائه، مع قوة الإيمان، والاعتراف بالضعف، وعدم إلزام الله بشيء.

مثل أن يقول: أقسمت عليك يا رب أن تيسِّرَ لي أمري. أو أقسمت عليك يا رب أن تنصر إخواننا المجاهدين في سبيلك. فهذا الإقسام جائز.

كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»[٣].

وحديث أَنَس، أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا الأَرْشَ، وَطَلَبُوا العَفْوَ، فَأَبَوْا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللهِ

(١) ولله الأسماء الحسنى: الجليل (٢٣٤-٢٣٦) بتصرف.
(٢) شرح فتح المجيد، لعبدالله الغنيمان.
(٣) رواه مسلم (٢٦٢٢).

القِصَاصُ»، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»[(١)].

فقول أنس: والله يا رسول الله لا تكسر ثنية الرُّبَيِّع، هو لا يريد به ردّ الحكم الشرعي، وغرضه بذلك أنه لقوة ما عنده من التصميم على أن لا تكسر ولو بذل كل غال ورخيص أقسم على ذلك. فلما عرفوا أنه مصمم ألقى الله في قلوب الأنصار العفو فعفوا؛ فقال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ». فثناء الرسول ﷺ عليه شهادة بأن الرجل من عباد الله، وأن الله أبرَّ قسمه وليَّن له هذه القلوب[(٢)].

ولكن مثل هذا لا يكون إلا لمن قويت صلته بالله تعالى؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وَأَمَّا الَّذِينَ يُقْسِمُونَ عَلَى اللهِ فَيُبِرُّ قَسَمَهُمْ فَإِنَّهُمْ نَاسٌ مَخْصُوصُونَ[(٣)].

وقد يكون الإقسام على الله: (٢) أن يكون الباعث على القسم الغرور، والإعجاب بالنفس، وأنه يستحق على الله كذا وكذا، أو تحجير فضل الله على عباده.

مثل: أن يقول: أقسمت عليك يا رب أن لا تغفر لفلان. أو والله لا يغفر الله لفلان. أو والله لا يُدخلُ الله فلاناً الجنة. أو والله لا يهتدي فلان. فهذا الإقسام: محرم.

كما في حديث جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَدَّثَ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٠٣).

(٢) القول المفيد (٣/٢٦١-٢٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١/٢٠٦).

(٤) رواه مسلم (٢٦٢١).

وفي حديث آخر عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[1].

وحُرِّم هذا النوع -عباد الله-: لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، وهذا مما ينقص كمال التوحيد الواجب. ولما فيه من تحجير رحمة الله الواسعة، وإساءة الظنِّ به جل وعلا. ولما فيه من ادِّعاء شيء من علم الغيب لم يطلعه الله عليه. وما يُشعر به من غرور الحالف، وتحكُّمِهِ في مشيئة الله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠١) وصححه الألباني.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أيها المسلمون: لله سبحانه وتعالى كمال الإجلال والتعظيم، ورحمته وسعت كل شيء، ولا أحد يحجُزَ على الله تعالى فضلَه على أحدٍ من خلقه، فلهذا يجب على المسلم: أن يتحلَّى مع ربه جل وعلا بكمال الأدب، مع الذل والافتقار، وأن يوقن أن الله تعالى هو الرب الحاكم الفاعل المتصرف في خلقه بما يشاء، وليس للإنسان من أمر الله وحكمته شيء، فلا يجوز له أن يُقسم عليه أن لا يَغْفرَ لأحدٍ من خلقه، وإن كان دافعه إلى هذا غيرتُه الدينية، وحبُّه للخير.

ولنعلم من قول أبي هريرة في الحديث: أن القائل رجل عابد قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. أنه ينبغي أن يحفظ الواحد منا لسانه. فقد ورد الوعيد الشديد بعدم حفظه؛ قال النبي ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» -يعني لسانه-، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهَّ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[١].

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٢٨٠٤) ط: الرسالة العالمية.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»[١].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[٢].

فلنتق الله تعالى –عباد الله–، ولنحفظ ألسنتنا عما لا يليق بجلال الله وعظمته، فإن السلامة لا يعدلها شيء، ولنأخذ بوصية النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[٣]، ولنبشر بموعود النبي ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»[٤].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...




(١) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) واللفظ له.
(٢) رواه البخاري (٦٤٧٨).
(٣) رواه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٧).
(٤) رواه البخاري (٦٤٧٤).

كتاب التوحيد (٦٥) باب لا يستشفع بالله على خلقه

الخطبة الأولى:

الحمدلله العظيم في قدره، العزيز في قهره، العالم بحال العبد في سره وجهره ،مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ذو الجلال والإكرام، والعظمة والكبرياء، أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيرا

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦].

عباد الله: إن الله سبحانه، هو العظيم المطلق، فهو عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه كلها، عظيم في صفاته كلها، فهو عظيم في سمعه وبصره، عظيم في قدرته وقوته، عظيم في علمه... فلا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء، لأن ذلك تحكم لم يأذن به الله.

قال ابن القيم ﷺ في نونيته مقرراً ذلك:

وهو العظيم بكل معنى يوجب ... التعظيم لا يحصيه من إنسانِ

فمن عظمته في علمه وقدرته: أنه لا يشق عليه أن يحفظ السماوات السبع والأرضين السبع، ومن فيهما كما قال: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وهناك فرق بين عظمة الخالق والمخلوق -عباد الله-:

فالمخلوق قد يكون عظيماً في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، فقد يكون عظيماً في شبابه، ولا يكون كذلك عند شيبه، وقد يكون ملكاً أو غنياً مُعظَّماً في قومه، فيذهب

ملكه وغناه أو يفارق قومه وتذهب عظمته معها، لكنَّ الله سبحانه هو العظيم أبدا[(١)].

ولذلك لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظَّم كما يعظم الله؛ فيستحق جلَّ جلاله من عباده أن يُعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذلِّ له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته[(٢)].

ولقد كان نبينا محمد ﷺ يُعظِّم الله ﷻ، ويربِّي أمته على ذلك.

ومما يضاد عظمة الله تعالى -عباد الله-: الاستشفاع بالله على خلقه.

والاستشفاع بالله على خلقه: هو اتخاذ الله تعالى واسطة يشفع للشخص عند أحد من الخلق، لطلب شيء منه.

فيحرم الاستشفاع بالله على خلقه، وهو منقص للتوحيد؛ لما فيه من سوء الأدب مع الله تعالى، ومنافاة تعظيمه.

ولما رُوي من حديث: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَّ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهَّ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهَّ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهَّ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُّ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا»، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ،

---

(١) النهج الأسمى: محمد الحمود النجدي (ص١٩٩).

(٢) ولله الأسماء الحسنى: الجليل (٢٣٤-٢٣٦) بتصرف.

«وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»(١).

ونُهي عن الاستشفاع بالله على خلقه -عباد الله- لأسباب، منها:

ما فيه من إساءة الأدب مع الله تعالى، فإنَّ الله تعالى عظيم جليل، لا يجوز أن يُتخذ واسطة عند الخلق، إذ حقيقة اتخاذه واسطة: أنَّ الله تعالى يطلب من الخلق ويرجوهم أن يُنفِّذوا بعض الأمور، كما يطلب ذلك الوسطاء عند الشفاعة لأحد. والله أجلُّ من هذا وأكبر.

وأن رتبة المتوسَّل به غالباً ما تكون دون رتبة المتوسَّل إليه، والله تعالى أعظم شأناً وأكبر وأجلُّ من كل أحد.

ونهي عن ذلك: لما فيه من ترك تعظيم الله جلَّ وعلا، والتنقُّصُ لمقام الربوبية، بمساواة الله تعالى بالمخلوقين الذين تُطلب منهم الشفاعة عند الناس.

وأنَّ الله تعالى لا يحتاج إلى أن يشفع لأحد عند أحد، إذ إنما يشفع العاجز، فيطلب من غيره أن يعين أو يفعل، والله تعالى هو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، إذا شاء أمراً أنفذه بلا شفاعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

ولما قال الأعرابي ما قال، سبَّح رسول الله ﷺ، وما زال يكرر التسبيح حتى تأثر أصحابه ﭫ، لعلمهم أنه لم يُسبِّح هذا التسبيح إلا لأمر عظيم. **ومعنى التسبيح**: تنزيه الله تعالى عن كل نقص وعيب، وإنما سبَّح النبي ﷺ لأنَّ الرجل ذكر كلمة فيها شيء من التنقص لله تعالى، فسبَّح النبي ﷺ ربه تنزيهاً لله تعالى عن كل نقص متوَهَّم، وذلك من

---

(١) أبو داود (٤٧٢٦) وإسناده ضعيف -وحسنه بعض أهل العلم كالذهبي-.

تعظيم الله تعالى الواجب على كل مسلم، وهو من تمام التوحيد.

وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته فيجوز طلب الشفاعة من النبي ﷺ في حياته، لأن ذلك من باب طلب الدعاء منه ﷺ، وطلب الدعاء ممن تُرجى إجابته من وسائل إجابة الدعاء، فكيف إذا كان رسول الله ﷺ؟ ولهذا لم ينكر النبي ﷺ على الأعرابي قوله: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ».

وأما بعد موته ﷺ فلا يجوز ذلك؛ لأنه من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وهذا نوع من الشرك الأكبر، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

فالصحابة ﷺ، لم يُنقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب، كما وقع لعمر ﷺ لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عم النبي ﷺ، فأمره أن يستسقي؛ لأنه حيٌّ حاضر يدعو ربه. فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر ﷺ والسابقون الأولون بالنبي ﷺ[(١)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:٦٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

عباد الله: إن التعظيم الحقيقي هو تعظيم القلب لله؛ كما قال ابن القيم ﷺ:

أن يتَجَاوَز هَذَا الى النّظر بالبصيرة الْبَاطِنَة، فتفتح لَهُ أَبْوَاب السَّمَاء، فيجول فِي أقطارها وملكوتها وَبَين ملائكتها، ثمَّ يُفتح لَهُ بَاب بعد بَاب حَتَّى يَنْتَهِي بِهِ سير الْقلب إِلَى عرش الرَّحْمَن، فَينْظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته، وَيرى السَّمَوَات السَّبع والأرضين السَّبع بِالنِّسْبَةِ إليه كحلقه ملقاة بِأَرْض فلاة، وَيرى الْمَلَائِكَة حافين من حوله لَهُم زجل بالتسبيح والتحميد، وَالتَّقْدِيس وَالتَّكْبِير، والأمر ينزل من فَوْقه بتدبير الممالك والجنود الَّتِي لَا يعلمهَا الا رَبهَا ومليكها، فَينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخَرين، وإعزاز قوم وإذلال آخَرين، وإنشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعْمَة من مَحل الى مَحل وَقَضَاء الْحَاجَات على اختلافها وتباينها وَكَثْرَتهَا: من جبر كسير، وإغناء فَقير، وشفاء مَرِيض، وتفريج كرب، ومغفرة ذَنْب، وكشف ضرّ، وَنصر مظلوم، وهداية حيران، وَتَعْلِيم جَاهِل، وردِّ آبق، وأمان خَائِف، وَإِجَارَة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة للمهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظَالِم، وكفٍّ لعدوان، فَهِيَ مراسيم دَائِرَة بَين الْعدْل وَالْفضل، وَالْحكمَة وَالرَّحْمَة، تنفذ فِي أقطار العوالم، لَا يشْغلهُ سمع شَيْء مِنْهَا عَن سمع غَيره، وَلَا تغلطه كَثْرَة الْمَسَائِل والحوائج على اختلاف لغاتها وتباينها واتحاد وَقتهَا، وَلَا يتبرَّم بإلحاح

الملحين، وَلَا تنقص ذرة من خزائنه، لَا إِلَه إِلَّا هُوَ الْعَزِيز الْحَكِيم؛ فَحِينَئِذٍ يقوم الْقلب بَين يَدي الرَّحْمَن مطرقاً لهيبته، خَاشِعًا لعظمته، عانياً لعزته، فَيسْجد بَين يَدي الْملك الْحق الْمُبين، سَجْدَة لَا يرفع رَأسه مِنْهَا الى يَوْم الْمَزِيد، فَهَذَا سفر الْقلب وَهُوَ فِي وَطنه وداره وَمحل ملكه، وَهَذَا من أعظم ثَمَرَته وَربحه، وأجلِّ منفعَته وأحسن عاقبته، سفر هُوَ حَيَاة الأرواح، ومفتاح السَّعَادَة، وغنيمة الْعُقُول والألباب، لَا كالسفر الَّذِي هُوَ قِطْعَة من الْعَذَاب[1].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظِّم الله في قلوبنا حق التعظيم، ولنقدره حق قدره؛ فمن تعظيم الله سبحانه أن تُجتنب نواهيه ومحارمه، وأن يُعمل بأوامره التي أمر الله بها.

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران:٧٤].

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





(١) مفتاح دار السعادة (١/١٩٩).

كتاب التوحيد (٦٦) باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حِمى التوحيد، وسدِّه طرق الشرك

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

عباد الله: وصف الله رسوله ﷺ بالحرص على أمته، ورحمته بهم، وشفقته عليهم أن يلحق بهم العنت والمشقة فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

فالنبي ﷺ حمى وحرس جناب التوحيد، وحمى حمى التوحيد، وسد كل طريق توصل إلى الشرك؛ وأعظم الذرائع التي يجب أن تسد ذرائع الشرك التي توصل إليه.

فحماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك، كان في جهة الاعتقادات ومن جهة الأقوال والأفعال.

وحديثنا في بيان حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، **فيما يتعلق بالقول الذي قد يتبعه اعتقاد**[١].

فمن ذلك: (١) نهيه ﷺ عن إطرائه.. نهى النبي ﷺ المسلمين عن إطرائه، وهو المبالغة في مدحه والثناء عليه، وذلك لئلا يبلغ بهم ذلك إلى عبادته من دون الله تعالى؛ فعن عُمَرَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»[٢].

فهذا الحديث: فيه النهي عن إطرائه عليه الصلاة والسلام؛ والإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

وكثير من طوائف هذه الأمة خالفوا أمر النبي ﷺ في النهي عن إطرائه حتى جاوزوا الحد في ذلك، فزعم زاعمهم أن له من الملك نصيباً، ولا حول ولا قوة إلا بالله. مع أنه ﷺ أرشدهم إلى ما ينبغي أن يكون عليه الأمر بقوله: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»، وهذا هو الكمال في حقه عليه الصلاة والسلام: أن يكون عبداً رسولاً، فهذا أشرف مقاماته عليه الصلاة والسلام.

والمدائح النبوية -عباد الله-:

إما أن تكون: مدائح مشروعة، وهي التي ليس فيه غلوٌّ؛ مثل مدائح الصحابة رضي الله عنهم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهما، ورسول الله ﷺ أولى بالمدح.

وإما أن تكون: مدائح محرمة؛ وهي التي فيها غلوٌّ لا يصل إلى الشرك.

---

(١) التمهيد: صالح آل الشيخ (ص٥٩٩-٦٠٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥).

وإما أن تكون: مدائح شركية؛ وهي التي فيها غلوٌّ يصل إلى درجة الشرك بالله تعالى، كالتي فيها استغاثة به ﷺ.

ومما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد -عباد الله-، فيما يتعلق بالقول: (٢) إنكاره ﷺ على من بالغ في إطرائه.

فقد كان النبي ﷺ ينكر على من بالغ في إطرائه والثناء عليه. فعن عبدالله بن الشخير قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»(١)، وفي رواية أنه ﷺ كرر ذلك ثلاثاً، فقال: «السَّيِّدُ اللهُ، السَّيِّدُ اللهُ، السَّيِّدُ اللهُ»(٢)، ففي هذا حماية لجانب التوحيد وسد الطرق المفضية للشرك.

وفي هذا الحديث أن إطلاق لفظ السيد على البشر مكروه، ومخاطبته بذلك يجب سدها، فلا يخاطبُ أحدٌ بأن يقال له: أنت سيدنا على جهة الجمع، وذلك لأن فيها نوع تعظيم من جهة المخاطبة، في الخطاب المباشر، والجهة الثانية من جهة استعمال اللفظ، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيد كما قال عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ولكن مخاطبته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع كونه سيداً كرهها ومنع منها، لئلا تؤدي إلى ما هو أعظم من ذلك، من تعظيمه والغلو فيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٦) وصححه الألباني، وأحمد (١٦٣٠٧).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٥٣٨).

وقوله: «قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»؛ لأن هذا فيه الثناء والمدح بالمواجهة، وهذا من الشيطان، فالشيطانُ هو الذي يفتحُ هذا البابَ أن يُمدح أحدٌ ويعظَّمَ في مواجهته، وذلك حتى يَعْظُمَ في نفسه فيأتيه الخذلان؛ لأن كلَّ أحدٍ تخلَّى عن (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وتخلَّى عن الازدراء للنفس، والذلِّ والخضوع الذي يعلمه الله من قلبه، فإنه يُخذلُ، ويأتيه الأمر على غِرَّة؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقال مثل ذلك القول مواجهة، ونهى عن المدح؛ لأن فيه إضراراً بالمتكلم، وإضراراً بالمقولِ فيه ذلك الكلامُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[النساء:١٧١].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤].

عباد الله: ومما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، فيما يتعلق بالقول: (٣) نهيه ﷺ أن يرفعوه فوق منزلته التي أنزله الله تعالى.

كان النبي ﷺ ينهى عن رفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وهي منزلة النبوة والرسالة؛ فعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا تَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيَاطِينُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالله، أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللهُ»[1].

فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما وصفوه هو خيرهم، وهو سيدهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكنه حمى جناب التوحيد، وحمى حمى التوحيد، حتى لا يستدلَّ أحدٌ بعده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذا الكلامِ على أنه يجوزُ أن يقالَ لمن ظنَّ الناسُ فيه ذلك، بل سدَّ البابَ في نفسه وهو سيد ولد آدمَ، وهو خيرُهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأفضلُهم، فسدَّ الباب حتى لا يدخلَ أحدٌ منه بإقراره ﷺ هذا الفعل، فيُعظَّمَ أحدٌ ويدخلَ الشيطانُ إلى ذلك المعظِّم وإلى المعظَّم، فيجعلَ القلوبَ تتعلقُ بذلك المعظَّم حتى يُشركَ به، وحتى يُعظَّمَ بما لا يجوز له من التعظيم.

فواجبٌ على المسلم أن يسدَّ كل طريق أو سبيل يجعلُ نفسَه تتعاظمُ؛ وقد ورد النهي في المدح، وتكلف الألفاظ في ذلك، ومواجهة الإنسان فيه؛ لئلا يكون ذلك وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء؛ فعن أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»[2].

---

(١) رواه النسائي السنن الكبرى (١٠٠٠٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).

قال العلماء: فالنهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يُخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح.

فلنتق الله تعالى-عباد الله-، ولنحذر من المدح المباشر في الوجه، ولنحفظ ألسنتنا عما لا يليق، حتى لا نقع في الغلو المنهي عنه. وكل ذلك صيانة للتوحيد.

وصلوا وسلموا على الهادي البشير...





كتاب التوحيد (٦٧) باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾[الإسراء:١١١]، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[المؤمنون:٩١]، لا إله إلا هو، لا خالق غيره ولا ربَّ سواه، العظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته، المستحق لجميع أنواع العبادة؛ أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيرا.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

عباد الله: إنَّ الإيمان بالله تعالى وتوحيده مبنيٌّ على التعظيم والإجلال له ﷻ.

والمراد بتعظيم الله: إجلال الله جلَّ وعلا بالقلب، واللسان، والأعمال: فعلاً وتركاً.

وأصل التعظيم يكون بالقلب، وتعظيم المؤمن لربه لا بدَّ أن يظهر على لسانه وجوارحه.

فتعظيم الله بالقلب: بأن يكون الله أجلَّ شيء في قلبك، فتخضع له وتذلَّ، وتتذكر قدرته على كل شيء، فتتعلق به في حاجاتك، وتستشعر الافتقار إليه، وتخشاه في السرِّ والعلن، وتُعظِّم شرعه.

وتعظيم الله باللسان: بذكره، وشكره، وقراءة كتابه.

وتعظيم الله بالأعمال: فعلاً: بطاعته وامتثال أوامره. وتركاً: باجتناب ما نهى عنه.

وتعظيم الله تعالى واجب، وقد أنكر الله تعالى على الذين لم يُعظِّموه ويقدروه حق قدره، فقال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

فقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر:٦٧]، يعني: ما عظَّموه حق تعظيمه، ولو عظَّموه حق تعظيمه لما عبدوا غيره، ولما أطاعوا غيره، ولعبدوه حق العبادة، ولذلُّوا له ذُلاً وخضوعاً دائماً، وأنابوا إليه بخشوع وخشية.

ثم بين جلَّ وعلا شيئاً من صفة ذاته العظيمة الجليلة، فقال سبحانه: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر:٦٧] فهذه صفات الله جَلَّ جلاله، فإن الأرض التي يتعاظمها أهلها، والسماوات التي يتعاظمها من نظر فيها، هي صغيرة وآيلةٌ في الصغر إلى أن تكون في كفِّ الرحمن جلَّ وعلا، والله سبحانه وتعالى أعظم من ذلك وأجلُّ، بل هو سبحانه وتعالى الواسع الحميد، الذي له الحمد كله، وله الثناء كله، ويبينُ لك عظمة الرب جل وعلا في ذاته، وفي صفاته(١).

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر:٦٧]، فنزَّه نفسه وقدَّسها عما يقوله الأفَّاكون من المشركين، وتنزيهه نفسَه عن مقالاتهم، فيه إثبات كمالاته الدالة على عظمته سبحانه(٢).

ومما ورد في السنة -عباد الله- مما يدلُّ على عظمة الله تعالى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ.

(٢) الدر النضيد، لصالح العصيمي.

إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧][1].

وفي رواية لمسلم: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ.. ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ.. »[2].

وفي رواية للبخاري: «جَعَلَ اللهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ.. وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ.. »[3].

وعَنْ ابن عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[4].

وورد أن كلتا يديه يمين، كما في الحديث: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[5].

---

(١) رواه البخاري (٤٨١١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٣) رواه البخاري (٧٥١٣).

(٤) رواه أبو داود (٤٧٣٢) وصححه الألباني.

(٥) رواه مسلم (١٨٢٧).

وعَنْ ابْن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَماءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةُ عَامٍ، وَبَين الْكُرْسِيّ وَالْماء خَمْسمائَة عَام، والْعَرْشُ فَوْقَ الْماءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ من أَعمالكُم»[1].

فالأرض التي أنت فيها نقطة صغيرة جداً بالنسبة إلى السماء، والأرض والسماوات مجتمعة في غاية الصغر بالنسبة للكرسي، كما قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والكرسي فوقهما، وفوق ذلك عرش الرحمن جلَّ وعلا، والكرسي متناهي الصغر بالنسبة إلى عرش الرحمن، والذي هو مستوٍ عليه جلَّ وعلا استواء يليق بجلاله.

«وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ من أَعمالكُم»، وهذا يوجب على الواحد منا مراقبة الله في السرِّ والعلانية، فمع هذه المسافات الطويلة ،إلا أنه يعلم السرَّ وأخفى، ويعلم ما في الصدور، وهو سميع بصير جلَّ وعلا؛ فلنحذر أن يفقدنا حيث أمرنا، أو أن يجدنا حيث نهانا.

ولنتذكر: «لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ من أَعمالكُم».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[يونس:٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٨٥١)، والعلو للذهبي (٧٤)، (١٧٣) حديث حسن.

الخطبة الثانية:

الحمدلله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

عباد الله: إنَّ تعظيم دين الله وشريعته من تعظيم الله تعالى، وكلما عظَّم المسلم شعائر دين الله تعالى كان ذلك دليلاً على تقواه، وتعظيمِه لربه جلَّ وعلا؛ بخلاف الذي ينتهك شعائرَ الله ولا يبالي بها، فهذا دليلٌ على ضعف تقواه، وضعف تعظيمِه لربه جلَّ وعلا، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهَّ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

فيجب على المسلم -عباد الله- تعظيم حرمات الله تعالى، وذلك باجتناب هذه المحرمات، فتعظيم هذه المحرمات من تعظيم الله تعالى، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهَّ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج:٣٠].

وفي حديث النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهَّ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ»(١).

(١) رواه البخاري (٥٢) واللفظ له، ومسلم (١٥٩٩).

ولنعلم أنَّ ارتكاب المحرمات مع عدم المبالاة بها يدلُّ على ضعف الإيمان، قال تعالى فيما قصه عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:١٣]، قال ابن عباس: ما لكم لا تُعظِّمون الله حق عظمته[1].

قال عَبْدُاللهَّ بْنُ مَسْعُودٍ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا،-يعني-:بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ[2].

وقَالَ بِلَالُ بْن سَعْدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ»[3].

ولو تأمل الناس-عباد الله- صفة الرب جل وعلا، من الكمال والجلال المطلق، لاحتقروا أنفسهم، ولعلموا أنه لا ينجيهم ولا يشرفُهم إلا أن يكونوا عبيداً له وحده دون ما سواه.

ثم تأمل كيف أنَّ ربَّنا العزيزَ الحكيم المتصف بصفات الجلال، وهو جلَّ وعلا مستوٍ على عرشه يأمر وينهى في ملكوته الواسع، يُفيض رحمته ونعيمه على من شاء، ويرسل عذابه على من شاء، ويُنعِّم من شاء، ويصرف البلاء عمن شاء، وهو سبحانه وليُّ النعمة والفضل. وترى نفوذ أمر الله في ملكوته الواسع الذي لا نعلم منه إلا ما حولنا من هذه الأرض، وما هو قريب منها، بل نعلم بعض ذلك، والله جلَّ وعلا هو المتصرف، ثم تنظر إلى أنَّ الله الجليل العظيم المتصف بهذا الملك العظيم يتوجه إليك أيها العبد فيأمرك

(١) تفسير الطبري (٢٣/٦٣٤).
(٢) رواه البخاري (٦٣٠٨).
(٣) السنن الكبرى للنسائي (١١٨٥٤).

بعبادته، وهي شرفٌ لك لو شعرتَ، ويأمرك بتقواه وهي عـزٌّ لـك لـو عقلـتَ، ويـأمرك بطاعته وذاك فخرٌ لك لو علمتَ[١].

فلنتق الله تعالى -عباد الله-، ولنعظِّم الله تعالى حق التعظيم، تعظيماً في قلوبنا وألسـنتنا وجوارحنا؛ ولنعلم أنَّ من أسباب رسوخ الإيمان في القلب وتعظيم الرب جلَّ وعـلا: أن يتعرَّف العبد على معاني أسـماء الله وصـفاته. وأن يتأمـل ويتفكـر في ملكـوت السـماوات والأرض، ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١].

وصلوا وسلموا على الهـادي البشير...





(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- كتب العقيدة:

١- متن كتاب التوحيد (محمد بن عبدالوهاب).

٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.

٤- قرة عيون الموحدين: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.

٥- شرح كتاب التوحيد: الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد.

٦- التمهيد لشرح كتاب التوحيد: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.

٧- القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين.

٨- الملخص في شرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان الفوزان.

٩- حاشية كتاب التوحيد: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

١٠- شرح فتح المجيد: عبدالله بن محمد الغنيمان.

١١- القول السديد شرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

١٢- سبيل الرشاد في هدي خير العباد: محمد تقي الدين الهلالي.

١٣- منظومة سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول: حافظ بن أحمد الحكمي.

١٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول: حافظ بن أحمد الحكمي.

١٥- الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد: صالح بن عبدالله العصيمي.

١٦- منهج كتاب التوحيد في المرحلة المتوسطة.

١٧- الأصول الثلاثة: محمد بن عبدالوهاب.

١٨- حصول المأمول في شرح ثلاثة الأصول: عبدالله صالح الفوزان.

١٩- شرح رسالة كلمة الإخلاص: لابن رجب (شرح: الشيخ عبدالرحمن البراك).

٢٠- دروس في العقيدة: عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي.

٢١- كتاب: الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة: عبدالله بن عبدالحميد الأثري.

٢٢- رسالة في حكم السحر والكهانة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٢٣- تسهيل العقيدة الإسلامية: عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين.

٢٤- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء؛ وزارة الشؤون الإسلامية- السعودية.

٢٥- الإيمان بالقضاء والقدر: محمد بن إبراهيم الحمد.

٢٦- الجديد في شرح كتاب التوحيد: محمد بن عبدالعزيز القرعاوي.

٢٧- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها: محمد بن أحمد الذهبي.

٢٨- متن العقيدة الطحاوية.

٢٩- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى: محمد الحمود النجدي.

٣٠- ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها: الجليل.

- كتب السنة والحديث وعلومه:

٣١- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري.

٣٢- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

٣٣- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي.

٣٤- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني.

٣٥- سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي النسائي.

٣٦- سنن ابن ماجه: ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني.

٣٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

٣٨- موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس الأصبحي.

٣٩- مسند الدارمي(سنن الدارمي): أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي.

٤٠- السنن الكبرى للنسائي.

٤١- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري.

٤٢- عمل اليوم والليلة للنسائي: أحمد بن شعيب بن علي النسائي.

٤٣- مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة.

٤٤- مصنف عبدالرزاق الصنعاني: أبو بكر عبدالرزاق بن همام اليماني الصنعاني.

٤٥- المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري.

٤٦- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي.

٤٧- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي.

٤٨- مسند البزار(البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو، المعروف بالبزار.

٤٩- المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني.

٥٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين، الألباني.

٥١- الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ.

٥٢- السنة: أبو بكر بن أبي عاصم.

٥٣- أسماء الله وصفاته (الأسماء والصفات): أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي.

٥٤- الزهد والرقائق: عبدالله بن المبارك.

٥٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني.

٥٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

٥٧- شرح رياض الصالحين: لابن عثيمين.

٥٨- كنوز رياض الصالحين: مجموعة من المؤلفين بإشراف: حمد ناصر العمار.

٥٩- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي، الحنبلي.

• كتب التفسير:

٦٠- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

٦١- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير: إعداد جماعة من العلماء، بإشراف: صفي الرحمن المباركفوري.

٦٢- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن): الحسين بن مسعود البغوي.

٦٣- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن): محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري.

٦٤- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

٦٥- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم): عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، الرازي ابن أبي حاتم.

٦٦- بدائع التفسير: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.

٦٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.

٦٨- تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.

- كتب الفقه:

٦٩- تحفة المودود بأحكام المولود: لابن القيم.

٧٠- مجموع فتاوى ابن باز.

٧١- مجموع الفتاوى: أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني.

٧٢- الملخص الفقهي: صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان.

٧٣- منهج كتاب الفقه في المرحلة المتوسطة.

٧٤- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري.

٧٥- تسمية المولود: بكر أبو زيد.

- كتب التاريخ:

٧٦- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي.

٧٧- تاريخ دمشق: علي بن الحسن المعروف بابن عساكر.

٧٨- صفة الصفوة لابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي.

- كتب عامة:

٧٩- زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن قيم الجوزية.

٨٠- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: لابن قيم الجوزية.

٨١- بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية.

٨٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية.

٨٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية.

٨٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان أبو حاتم، البُستي.

٨٥- الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي.

٨٦- أهمية العناية بالتفسير والحديث والفقه: عبدالمحسن بن حمد العباد.

٨٧- الصمت وآداب اللسان: أبو بكر عبدالله بن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا.

٨٨- الدر الفريد وبيت القصيد: محمد بن أيدمر المستعصمي.

٨٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: لابن قيم الجوزية.

* * * * *

والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

القنوات الرسمية لـ/ تركي بن علي بن عبداللّٰه الميمان


Telegram


YouTube